أساس فكرة التعاهد
فى
العصر الحجرى القديم والحديث

وأثر الحضارة المصرية القديمة فى تأصيل هذه الفكرة

دراسة

تاريخية وموضوعية وفلسفية عن العوامل التي أدت إلى
بلورة فكرة التعاهد بين الجماعات الإنسانية المستقلة التى
نجحت فى الانتقال من العصر الحجرى القديم إلى العصر
الحديث ومهدت لظهور التعاهد البدائى الأول، ثم
صور أخرى من التعاهدات المختلفة .

دكتور

سمير عبد المنعم أبو العينين

أستاذ تاريخ وفلسفة القانون
بكلية الشريعة والقانون جامعة الازهر بطنطا
والمحامى بالنقض والادارية العليا

رقم الإيداع القانوني
بدار الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٢/١٨٤١٥

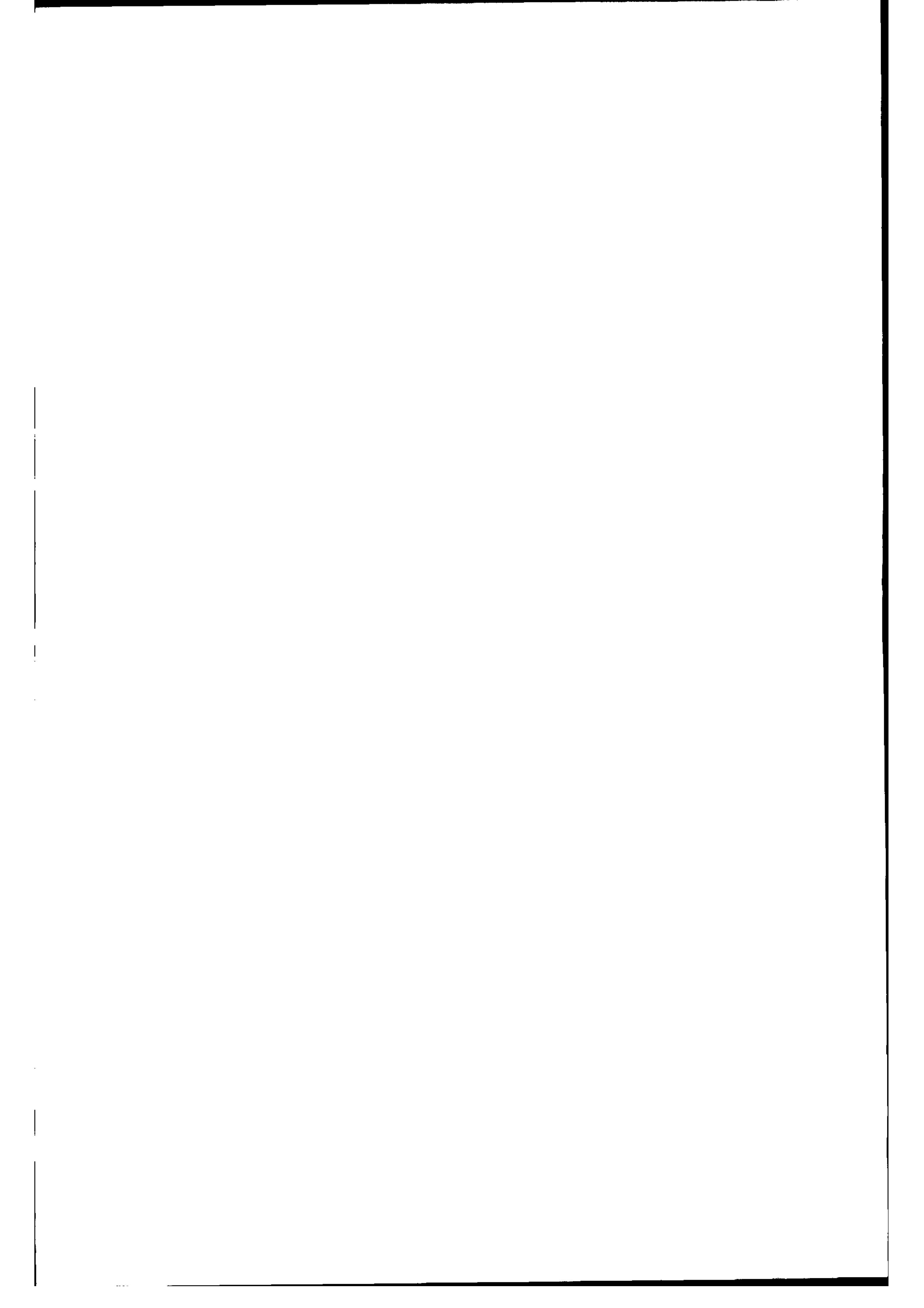
الناشر ..
دار النهضة المصرية - ٩ ش عدلي بالقاهرة

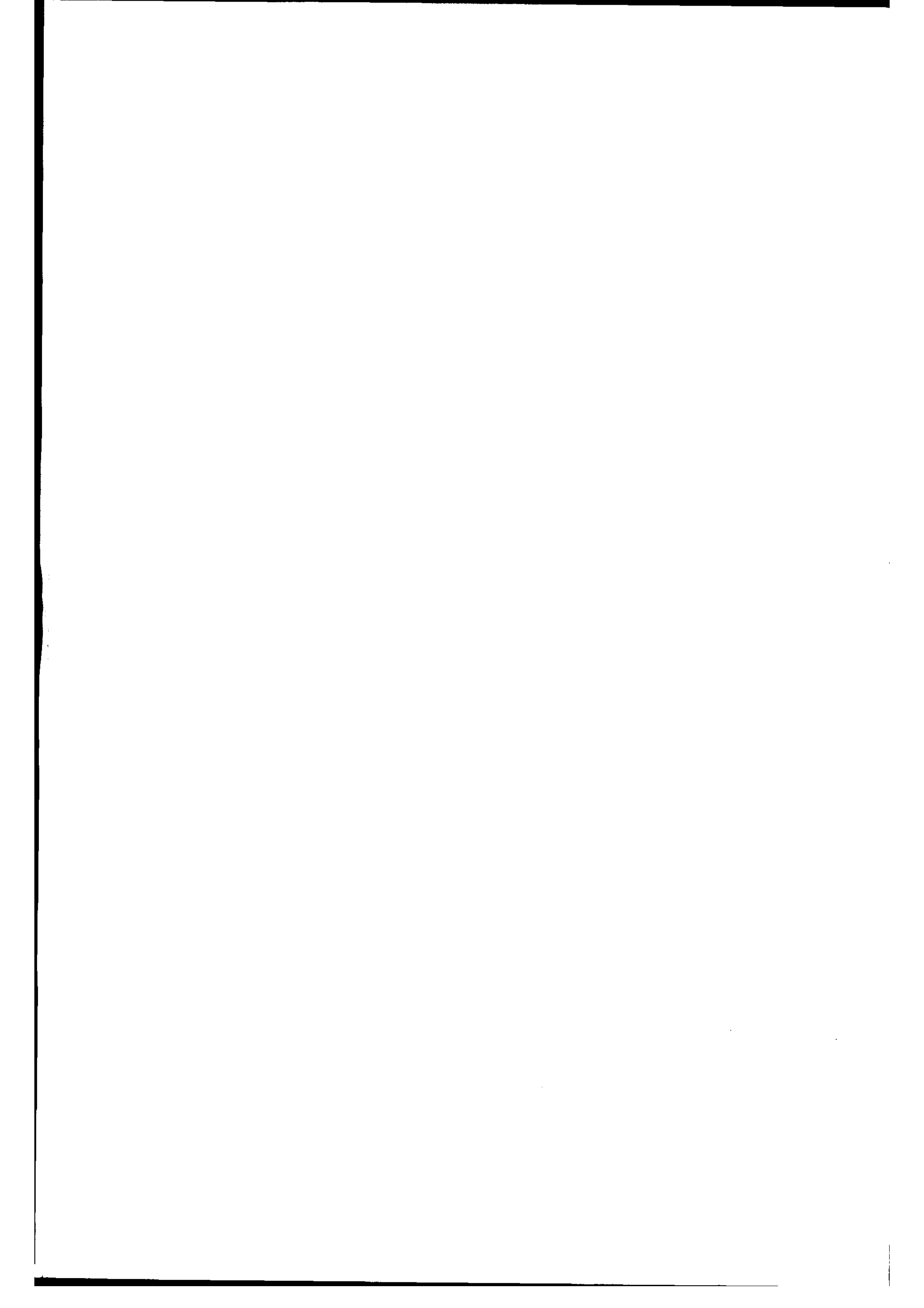
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾

سورة الإسراء الآية ٣٤

المقدمـــــة





إن الوصـــول إلى معـــرفة حقيقة كل فكرة بعثت من داخل طياتها الهامات أسست بركائز ثابتة نظام يهدف إلى تدعيم الروابط بين الشعوب ، مـــن أجل توفير السبل الفعالة التي تحقق التقارب بينهم نحو الود والمحبة والتآخي – يتطلب دائما وبحكم الضرورة البحث عن جذور هذه الفكرة في ســالف الأزمـــان لكشـــف جوهرها لأن هذا الجوهر يحوي في باطنه كل الدوافـــع والأسباب التي أدت إلى تولدها من الأصول المختزنة في الطبيعة الإنســانية لكـــي تظهـــر في صورة واقع فعلي ملموس للمتطلبات الحتمية لأمور الحياة المشتركة ، وسبل تطورها على طول عهود التاريخ . وذلك لأن تيـــار الإنسانية يتخذ دائما مسار واحد انساب فيه منذ بداية الحياة في هـــذا الكون ، وسيظل هذا التيار يتدفق حتى ينتهي الوجود البشري ، وهذه الحقيقـــة تـــبرهن بصدق بأن ما نراه ونستند عليه في الزمن الراهن ليس ســـوى صور مجسدة قد تأسست في الماضي البعيد ، وأخذت إشكال عديدة من أجل أن تتوافق أغراضها مع متطلبات كل عصر .

هـــذا رغم أن أفكار كل النظم المعروفة في عالم اليوم لا تعني أمام هذه الحتمية بأن جذورها قد تأسست في زمن واحد بعيد ، بل تأسست عند الاحـــتياج إليها في مراحل متعاقبة مع زمان كل عصر لكي تعبر بمفاهيم واضـــحة بأن الحياة الإنسانية عبارة عن حلقات متواصلة ، وتطورت من الصـــور الدنيا إلى الصور العليا بالفكر والجهد البشري ، وإن كل صورة مـــن هذه الصور ترجمة صادقة لأصل واحد لـــه جذور عميقة في أزمان الماضي المتدرج على طول عصور التاريخ .

ومـــن ضمن هذه الحقائق التي ساهمت بقدر هائل في تدعيم روابط التعاون والتقارب بين الشعوب ، وتعتبر من أهم الصور المؤثرة في طبيعة الحياة الإنسانية على مر العصور المختلفة ، هي فكرة التعاهد التي دفعتني نحو إعداد هذه الدراسة ٠٠٠٠ وذلك لأنه من استقراء أحداث ووقائع الحياة البشـــرية مـــنذ بدايتها حتى عالم اليوم يتضح أن هذه الفكرة لم تكن وليدة العصـــور الحديثة كما يقول بعض الفقهاء ولا نتاج فكر مجتمع معين دون المجـــتمعات الأخرى كما تدعى بعض الدول المعاصرة في القارة الأوربية وإنما هي كانت من ضمن الأصول الكامنة في الطبيعة البشرية ، وخرجت عند الاحتياج إليها لتحقيق التعاون والترابط بين الشعوب المختلفة في هيئة بـــذور غرســـت فـــي تـــربة الماضي البعيد ، لكي تأسس لها جذور تمثل جوهـــرها وتظهر لها في الحياة صور عديدة تصلح للتطبيق في كل زمان ومكـــان ٠٠٠ وهـــذه الصور لم توجد في المراحل الأولى للحياة للإنسانية الـــتي تمـــثل العصـــر الحجري القديم ، لأن ظروف وأوضاع الجماعات البشرية في هذا العصر كانت لا تسمح بوجودها ، وإنما وجدت وطبقت في تـــدرج مـــتزايد فـــي العهود التي تلت هذه المراحل خلال أزمان العصر الحجـــري الحديـــث بعد أن عرفت هذه الجماعات أمور الرعي والزراعة وبعض الصناعات والحرف اليدوية البسيطة واستوطنت في مناطق معلومة الحدود بصفة دائمة ومستقرة ٠

وإذا كانت هناك رأي لبعض العلماء والفقهاء ينكر تماما وجود أي فكرة للتعاهد بالمعنى الفني الدقيق في العصر الحجري الحديـــــث وفي

العصـــور القديمة والوسطى لاعتقادهم بأن التعاهد لا يمكن إبرامه إلا بين الـدول كامـلة السيادة ، وإن هذه الدول لم يتبلور كيانها السياسي وتصبح ممثـلة للأسرة الدولية أو للمجتمع الدولي بأسرة إلا في العصور الحديثة ، وعـلى الأخص بعد معاهدة وستفاليا التي أبرمت في عام ١٦٤٨ م وأنهت الحـروب الديـنية الـتي طحنت الشعوب الأوربية على مدى ثلاثين عاما وأظهـرت المفـاهيم المتكامـلة للدولة الحديثة كاملة السيادة [١] ، فإن هذا الـرأي قد نظر إلى فكرة وجود الدولة بوضعها الراهن وتأثر بكل ما جاء في نظرية السيادة التي أسسها الفيلسوف الفرنسي جان بودان ، في حين إن ظاهرة الدولة في مفهومها المعاصر ليست سوى صورة متطورة للجماعات المستقلة التي ظهرت في عصور ما قبل التاريخ وعلى الأخص في العصر الحجـري الحديـث - وذلك لأنه بإجراء المقارنة بين الدولة في وضعها الحالي وبين أي جماعة إنسانية كانت مستقلة ومستقرة في منطقة محددة في ازمان العصر الحجري الحديث نجد وجود تشابه بينهما في كل العناصر ، ولا يوجد أي اختلاف سوى في مراحل التطور التي تتصف بها الدولة في الـزمن المعاصـر وذلك لأن سجلات التاريخ تثبت بأن الجماعة الإنسانية المسـتقلة الـتي ذاقت طعم الاستقرار بعد أن عرف إفرادها أمور الرعي والـزراعة وبعض الصناعات والحرف اليدوية البسيطة في العصر الحجر الحديـث ، كـانت تقطـن في إقليم محدد بصفة مستقرة ولها رئيس يمثل

---

(1) F. Martens – le droit international contemporain des peuples civilises – Tome 1 – 1887 – paris – U.N . univeraity – pp 180 – 182.

السلطة المركزية ، ويقوم بتنظيم العمل والعلاقات بين الأفراد إلى جانب ضبط سلوكهم مع الاهتمام بتأمين الكيان السياسي للجماعة وحماية أوضاعها في الداخل والخارج ، وبالتالي كانت الجماعة تقوم على ثلاثة عناصر واقعية هي مجموعة من الناس ، وإقليم ، ثم تنظيم سياسي حكومي وقانوني – وهذه العناصر الثلاثة هي التي تقوم عليها الدولة في الزمن المعاصر لأنها طبقا لأحدث التعريفات تمثل مجموعة من الناس (شعب) يقيمون بصفة دائمة على إقليم محدد ويخضعون لسلطة سياسية في إطار تنظيم حكومي وقانوني [١] – وعلى هذا الأساس فإن الجماعة الإنسانية في العصر الحجري الحديث كانت عبارة عن دولة أو مملكة صغيرة ثم تطورت بعد ذلك حتى أخذت صورة الدولة في الزمن المعاصر ، وأن العلاقات التي كانت تقوم بها هذه الجماعة مع أي جماعة أخرى أو أكثر لن تخرج عن كونها علاقات خارجية تتشابه في أثارها مع العلاقات التي تقوم بها الدولة حاليا مع دولة أخرى أو أكثر مع مراعاة مراحل التطور التي حدثت طوال فترة هذا الزمن البعيد الذي قد يزيد عن ٧٠٠٠ سنة لبعض الجماعات الإنسانية التي كونت أول حضارات تألقت في تاريخ البشرية مثل التي ظهرت في مصر وبلاد ما بين النهرين والصين والهند – ولذا فإن فكرة التعاهد قد تأسست وظهرت لها بعض الصور في العصر الحجري الحديث ، بعد أن أصبحت الجماعة تتشابه في عناصرها الثلاثة

---

(١) د / إبراهيم العناني : القانون الدولي العام – طبعة ١٩٩٠ – المطبعة التجارية الحديثة – كلية الحقوق جامعة عين شمس – ص ١٧٦ وما بعدها .

مع الدولة المعاصرة ، وكان يعترف باستقلالها وكياناها السياسي من جانب الجماعـــات الأخرى ، اعتراف يشابـــــــه في مضمونة وآثاره إلى حد ما الاعتراف الدولي في الزمن الراهن ٠

كمــا كــان معيــار وجود الجماعة يتطابق في مضمونة مع معيار الدولــة المعاصـــرة الــذي يرتكــز على ثلاثة أركان رئيسية هي السيادة والاستقلال وعدم التدخل [١] ٠

** وأيضا هناك اتجاه فقهي آخر ، يعارض بشدة اكتساب ما ابرم بيــن الجماعـــات الإنسانية في العصر الحجري الحديث أي صفة قانونية لمفهــوم الــتعاهدات ، على أساس أن التعاهد في رأي أنصار هذا الاتجاه يجــب أن يطابق بصفة عامة مفهومة السائد حاليا في الفكر المعاصر بأنه عــبارة عــن اتفاق يعقد كتابة بين شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولـــي بقصــــد إحداث آثار قانونية معينة – أي يشترط في التعاهد بصفة عامـــة :

- أن يكون مكتوبا في وثيقة واحدة أو أكثر ٠
- أن يخضع في ابرامه لقواعد القانون الدولي ٠
- أن يكون القصد منه إحداث آثار قانونية معينـــة ٠

وحيــث أن بعــض هـــذه الشروط غير متوافرة في الاتفاقات التي أبـــرمت بين الجماعات الإنسانية في العصر الحجري الحديث فلا يمكن أن

---

(1) M. Korowiez – some present aspects of sovereignty in international law – RCADI – 1961 – pp102 ets .

تـأخذ صـفة الـتعاهدات التي تعقد في عالم اليوم – لأنه على فرض أن الجماعة الإنسانية كانت تشبه الدولة ، وإن الجماعات التي ظهرت وتألقت حضـاريا في العصر الحجري الحديث كانت تمثل في ذلك الوقت مجتمع العالم القديم ، وإن الاتفاقات التي تمت بينها كان بهدف أحداث آثار قانونية معيـنة – إلا أن قواعد القانون الدولي كانت غير موجودة لكي تخضع هذه الاتفاقات لاحكامها ، كما أن الكتابة كانت غير معروفة في ذلك العصر – لكي تعقد هذه الاتفاقات في وثائق مكتوبة وتأخذ على أثر ذلك صفة وطبيعة التعاهدات بالمعنى الفني الدقيق ٠

– وإذا كـان هـذا الاتجاه يضم حاليا معظم فقهاء القانون الدولي انصـار مدرسة ثنائية القانون الذين يفرقون بين القانون الداخلي والقانون الدولي ويجعلون لكل منهما دائرة مستقلة تماما عن الأخرى [١] ٠

إلا أنـه قد نظر إلى التعاهد بمفهومه وطبيعته المعاصرة فقط دون أن يـنظر إلى الحالية البدائية التي أبرم فيها خلال أزمان العصر الحجري الحديـث أي نظر إليه بعد أن مر بمراحل تطوريه عديدة ٠ ولم يلتفت إلى بوادره الأولية التي ظهر بها في هذا العصر ٠ وذلك لأن قواعد القانون قد مـرت بخمـس مراحل تطورية حتى وصلت إلى وضعها الحالي ، وهي مرحلة القوة ، ثم مرحلة تهذيب القوة ، التي أعقبها مرحلة القواعد الدينية ،

---

(١) د / محمـد سامي عبد الحميد ٠ أصول القانون الدولي العام ٠ القاعدة الدولية ٠ الطـبعة الخامسة ١٩٨٠ ٠ مؤسسة الثقافة الجامعيـة بالإسكندريـة – ص ١٠٩ وما بعدها ٠

ثـم مرحلة القواعد العرفية ، التي أعقبها مرحلة التدوين – وأنه في بداية هـذا العصـر قـد ظهرت مرحلة تهذيب القوة القائمة على نظام التصالح والـتحكيم ، وفـي منتصـفه ظهرت القواعد الدينية ، وفي نهايته ظهرت القواعـد العـرفية وبالتالي كانت توجد قواعد يمكن إخضاع هذه الاتفاقات لأحكامهـا وإن كانت قواعد بدائية وتدخل جميعها في نطاق دائرة واحدة ، يطلق عليها حاليا مدرسة وحدة القانون التي لا تفرق بين القانون الداخلي ، والقـانون الدولـي وهي التي تسود الآن وبصفة غالبة عن مدرسة الثنائية معظم مجالات الفكر القانوني المعاصر .

أيضـا إذا كـانت الكتابة غير موجودة في هذا العصر فإن ذلك لا يـؤدي مطـلقا إلى فقـدان الاتفاقات التي ابرمتها الجماعة لصفة وطبيعة الـتعاهدات – لأنـه من الممكن أبرام تعاهد شفهي أو ضمني – وهذا ما نصت عليه المادة الثالثة من اتفاقيتي فينا للمعاهدات عامي ١٩٨٦ ، ١٩٦٩ حيـث قـررت صراحة بأن [عدم وجود الشكل الكتابي لا يؤثر في القوة القانونيـة للاتفاقيـات غير المكتوبة ، ولا يمنع من إمكانية تطبيق القواعد الـتي تضمنتها على هذه الاتفاقيات] ، هذا ويقر العرف الدولي أيضا كل التعاهدات الغير مثبتة في وثائق مكتوبة ، كما أكدت محكمة العدل الدولية الدائمـة ذلك في حكمها الصادر عام ١٩٣٢ في قضية جرينلند الشرقية ، الـتي تقدمـت فيها الدانمارك بطلب إلى المحكمة للقضاء بعدم قانونية ما أعلنـته الـنرويج فـي ١٠ يوليو ١٩٣١ من أن جرينلند الشرقية تخضع لسيادتها – حيث استندت الدانمارك في طلبها على تصريح وزير خارجية النرويج في ٢٢ يوليو ١٩١٩ الذي قرر فيه صراحة بأن [خطط حكومـة

الدانمـــارك المتعـــلقة بسيادتها على كل جرينلند لن يلق عقبات من جانب الـــنرويج] – وعلى أثر ذلك قد قررت المحكمة بأن [التعهد الشفهي الذي تضـــمنه تصريح وزير خارجية الدولة وباسم حكومته في مسألة تدخل في اختصاصه وذلك أثناء اتصالات دبلوماسية مع الدولة الأخرى يعتبر ملزما لدولة التي هو وزير خارجيتها ٠٠٠٠] ٠

وأيضا توجد أحكام أخرى صادرة من محاكم التحكيم تؤكد ذلك مثل حكـــم الـــتحكيم الصـــادر في ٢٢ ديسمبر ١٩٦٣ في قضية تفسير الاتفاق الجـــوي المعقـــود فـــي ٢٧ مارس ١٩٤٦ بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، حيث اعتبر الحكم أن سلوك الأطراف الشفهي والمواقف التي اتخذوهـــا يمكن أن يعتبر مصدرا لتعديل لاحق للمعاهدة ، أي يعتبر اتفاقا شـــفهيا وضمينا لاحقا للمعاهدة السابقة ٠٠٠٠ وعلى هذا الأساس يمكن أن يكـــون الـــتعاهد ثـــابت في وثيقة مكتوبة ويمكن أيضا أن يكون شفهي أو ضمنـــي (١) ٠

وبناء على ذلك فإنه لإيضاح هذه الأمور تفصيليا مع كشف الجذور الأولية لأساس فكرة التعاهد في هذا الزمن البعيد سنعرض دراسة متكاملة عن هذا الموضوع في ثلاث أبواب على النحو التالي : .

---

(١) د م إبراهيم العناني – القانون الدولي العام ٠ مرجع سابـــــق ص ٢٨ وما بعدها ٠

الباب الأول : سنشير فيه إلى أهم الأسباب الداخلية والخارجية التي منعت ظهور فكرة التعاهد في العصر الحجري القديم ٠

الباب الثاني : سنوضح فيه أساس فكرة التعاهد في العصر الحجري الحديث وظهور التعاهد البدائي الأول في تاريخ البشرية ٠

الباب الثالث : سنعرض فيه أهم صور التعاهدات التي أبرمتها الجماعات الإنسانية التي تألقت حضاريا في شرق وغرب العالم القديم خلال أزمان النصف الثاني للعصر الحجري الحديث ٠



الباب الأول

****

فكرة التعاهد
في العصر الحجري القديم

****



يطلق المؤرخون على هذا العصر الذي يمثل البداية الأولية لحركة الحيـاة الإنسـانية في تاريخ البشرية بما يسمى بعصر الوحشية أو عصر جـامعي القـوت على أساس أن الإنسان البدائي قد عاش في هذا العصر بمفـاهيم محـدودة للغاية ويعتمد على ما يمتلك من قوة عضلية في تأمين حياتـه ، وكـان مصدر رزقه الوحيد قائم على الصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض من حشائش وثمار [١] .

وقد بدأ هذا العصر بعد فلول عصر الجليد منذ حوالي ٢٥٠٠٠ سنة قـبل الميـلاد إلى حوالي ١٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد في الجماعات البشرية الـتي ظهرت في بلاد الشرق ، ومن حوالي ١٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد إلى حوالي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد في الجماعات البشرية إلى ظهرت في القارة الأوربية .

ولذلـك فهـو يمـثل بعد انتهاء عصر الجليد أول المظاهر الفعلية لحركة الحياة الإنسانية على سطح هذه الأرض [٢] .

وحيـث إن الإنسـان الـبدائي قد صنع بمفاهيمه المحدودة بعض الأدوات والآلات البسـيطة جـدا من الحجارة وعظام الحيوانات دون أن يصـقلها لكـي يستخدمها في جمع قوته اليومي وفي الدفاع عن نفسه من

---

(١) د . عـبد الناصـر العطـار - الوجيز في تاريخ القانون . كلية الحقوق - جامعة أسيوط - ١٩٧٠ - ص٢٠ .

(2) A.G.Diamand. L'evolutian de la loi et de L ordre – paris – 1954 – pp 11. ets .

المخاطــر التي كانت تحيط به بصفة دائمة ومستمرة • فقد أطلق على هذا العصــر التسـمية الــتي أطلقها عليه الجيولوجيون وهي العصر الحجري القديــم [١] •

وقــد اثبت علماء الاجتماع والانثروبولوجيا – بأن كل إنسان عاش فــي هذه الحياة البدائية لهذا العصر ، كان ليس بمقدوره أن يتحدى مفرده قســوة الطبيعة ، وأن يواجه لوحده المخاطر والكوارث التي كانت تلاحقه أثــناء جمع قوته من أجل أن يكتب لـــه البقاء لحين ميعاد أجله المحتوم ، وإنمـــا استطاع بعد أن تلاقى مع أمثاله وكون معهم جماعة كانت محدودة العدد في البداية ليحتمي بداخلها وتعاون مع أفرادها في جمع القوت اليومي ويتضـــامن فطـــريا معهـــم فـــي دفع المخاطر والكوارث التي كانت تهدد حياتهـــــم •

وقد أكد المؤرخون وعلماء الاقتصاد والسياسة هذه الحقيقة واعتبروا حـــدث تلاقي الإنسان مع أخيه الإنسان وتكوين جماعة بدائية من شخصين أو أكـــثر هـــو الذي ساعد الحياة الإنسانية على الاستمرار ودفعها بعد ذلك نحـــو التطور على مر العصور المختلفة على أساس أن حدث التلاقي هو الـــذي وضـــع الأســـس الأوليـــة لفكرة الحياة المشتركة •في هذا الزمن السحيـــق[٢] ، وقام في بكورته على مفاهيم الروابط الاجتماعية المطبوعـــة

---

(1) J. D. Mrtgan . ptehistorie Man – New york. 1927 – P 211 .

(٢) ول دبورانـــت – قصـــة الحضارة – المجلد الأول – ج١ ، ترجمة د • زكي نجيب محمود – القاهرة ١٩٤٥ – ص ٤٩ •

فـــي فطـــره الإنســـان منذ مولدة والتي أظهرت شكلا وموضوعا الجوهر الحقيقـــي لصفته وكيانه ، وما يكنه في نفسه ووجدانه وعقله بانه اجتماعي بطـــبعه ، ولا يســـتطيع عـــلى الإطـــلاق أن يعيش منفردا أو منعزلا عن الآخـــرين ، وإنما لا بد أو حتما أن يعيش مع غيره في داخل جماعة لكي يحفظ نوعه ويؤمن حياته ومستقبله ويتمكن من التغلب على مصاعب حياته ومصدر رزقه ويكتب له البقاء إلى أن يأتي ميعاد أجله المحتوم [١] .

وإذا كـــانت هـــناك نظـــريات عديدة تفسر كيفية تكوين الجماعات الـــبدائية عقب حدث تلاقي الإنسان مع أخيه الإنسان – وهذه النظريات قد صـــاغها عـــلماء اختـــلفوا في تحديد التصور الأساسي الذي شكلت عليه الجماعات البدائية مما أدى إلى اختلاف كل نظرية على الأخرى – والدليل عـــلى ذلـــك هـــو أن أشهر هذه النظريات وهي نظرية القبيلة ، ونظرية العشيرة التوتمية ، ونظرية الأسرة كل منها متباينة عن الأخرى في منهج تفسيراتها لأن نظرية القبيلة التي تزعمها العالم الإنجليزي ماك لينـــــــان [Mac Lennan] تقرر بأن أفراد الجماعة قد تلاقوا بالصدفة البحتة من أجـــل تحقيـــق مصالح مادية مشتركة دون أن يكون بينهم أي ارتباط من الناحية الروحية أو من ناحية الدم ٠ ونظرية العشيرة التوتمية التي تزعمها أميـــل دور كهايم [E.Durkheim] تقرر بأن أفراد الجماعة قد جمعتهم رابطـــة روحيـــة نـــتيجة اعـــتقادهم بأنهم جميعا منحدرون من نوع واحد

---

(١) د ٠ عـــبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابـــق – ص ١٣ ٠

مــن الحيوانات أو النباتات أو الجماد أطلق عليه الباحثون اسم [التوتم] - ونظــرية الأسرة ومعظم أنصارها من علماء الأديان السماوية الثلاثة وهي اليهوديـــة والمســيحية والإسلام تقرر بأن أول جماعة إنسانية تكونت من أسرة أدم وحواء ، وأن الأسرة الأبوية التي تتكون من الزوجين وأولادهما ويرتـــبط أفرادها برابطة الدم هي الأساس الأول لتكوين الجماعات البدائية في سالف العصور .

إلا أن هذا التباين الظاهر بين كل نظرية وأخرى يقتصر فقط على تفسير كيفية تكوين الجماعات البدائية ولا يتعدى ذلك - لأن الحقيقة المؤكدة تثــبت بــأن جميع هذه النظريات متحدة في مضمونها الذي يرتكز بأن كل جماعـــة إنســـانية بدائية قد تكونت بعد أن اتفق أفرادها سواء صراحة أو ضمنيا على تحقيق هدفين أساسيين هما :

الهدف الأول : هــو تحقيــق التعاون بين أفراد الجماعة في جمع القــوت اليومـــي بالصيد والقنص والنقاط ما تجود به الأرض من حشائش وثمــــار .

الهدف الثاني : هــو تحقيق التضامن بين أفراد الجماعة من أجل التصــدي لــلمخاطر والكوارث التي كانت تحيط بهم في مراحل حياتهــم الأولى (١) .

---

(١) د . عبد السلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا - الطبعة الأولى ١٩٦٤ - ص ١٠ وما بعدها . ==

وأيضـــا اختـــلفت وجهات نظر الفلاسفة والعلماء في وصف حالة الأفــراد داخــل الجماعــات الــبدائية ، وانقسموا على أثر ذلك إلى أربع اتجاهــات ، وكــل اتجاه اختلف في تفسيره مع الاتجاهات الأخرى [1] في وصف هذه الحالة وذلك على النحو التالي :

الاتجاه الأول : تزعمه الفيلسوف الإنجليزي **توماس هوبز** حيث قرر في كتاباته بأن حالة الأفراد في الجماعات الفطرية الأولى كانت في صراع دموي دائم أي في حالة حرب مستمرة بين الأفراد وبعضهم نتيجة اعتقاده بـــأن الإنسان تتملكه غريزة واحدة هي غريزة المحافظة على حياته، وهذه الغريزة قد دفعته في بداية حياته وقبل أن يحتكم لعقله إلى الاقتتال مع غيره وبالـــتالي وصـــف حالـــة الأفـــراد في الجماعات البدائية الأولى وقبل أن

- د • صوفي أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٧ – القاهرة – دار النهضة العربية ص ٣٩ وما بعدها •
- د • محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الأولى ١٩٧٠ مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٣٧ وما بعدها •
- د • ثـــروت أنيـــس الأســـيوطي – نظـــام الأسرة (بين الاقتصاد والدين – الجماعات البدائية) طبعة ١٩٦٦ القاهرة – ص ٣٠ وما بعدها •
- Edmasan Hoebel – Man in the Primitive world- london- 1963 – p. 345 .
- انظـــر مؤلفـــا عن مفهوم التعاقد في العصر الحجري القديم والحديث – طبعة ٢٠٠٢ القاهرة – ص ٢٨ وما بعدها •

(١) د • بطرس بطرس غالي ، د • خيري عيسى – المدخل في علم السياسية – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٩ – ص ٣٦٩ •

ينــبذوا اللجــوء المستمر إلى القوة ويخضعوا لسلطة تحكمهم بنظام مطلق بأنها كانت أكثر من وحشية وأطلق عليها حرب الكل ضد الكل [١] .

الاتجاه الثاني : ويتزعمه العالم الأمريكي لويس مورجان حيث قرر في كتاباته وعلى الأخص في مؤلفه (المجتمع القديم) بأن حياة الأفراد في الجماعــات الفطرية الأولى كانت تتصف بالوحشية فقط ولكن لم تصل إلى حالــة الصراع الدموي الدائم أو حرب الكل ضد الكل كما وصفها توماس هوبــز وإنمــا كــانت أخف وطأة رغم أن القوة كانت هي العامل الوحيد لاكتساب الحق وحمايته [٢] .

الاتجاه الثالث : ويتزعمه الفيلسوف الانجليزي جون لوك حيث قرر في كتاباته بأن حالة أفراد الجماعات البدائية الأولى كانت تتصف فقط بعدم الاســتقرار وليــس بالصــراع الدمــوي الدائم كما قرر توماس هوبز أو بالوحشية كما يقرر لويس مورجان [٣] .

الاتجاه الرابع : ويــتزعمه الفيلســوف الفرنسي جان جاك روسو

---

(1) G.E. Catlin – thomas Hobbes As philosopher -pubbcist ard man of letters – ox ford 1922 – p. 12 ets .
- Thamas Hobbes – leviathen . paht 1 and 11 – Bobbs Merrill. Indianpolis1958- pp 106 ets .

(2) Lewis Margan – Ancient society – New york – 1978- PP. 18 – 21 .

(3) Francis Fukuyama – the END of History and the last Man – New york – 1993 – P. 143 – 149 .

الذي قرر بأن حالة الأفراد في بداية حياتهم داخل الجماعات البدائية كانت مثالية وأن كل فرد كان يتمتع في حياته الأولى بكامل حقوقه الطبيعية ، ولم تفـرض عـليه أي قيـود تحد من حريته أو تنقص من حقوقه – وبالتالي يعـارض جان جاك روسو كل الاتجاهات الثلاثة السابقة وينفي تماما بأن حالة الأفراد في الجماعات الفطرية الأولى كانت في صراع دموي دائم أو كانت تتصف بالوحشية أو بعدم الاستقرار (١) .

وأمـام هـذه الاتجاهـات الأربعـة – فقد تبين أن أغلبية الفلاسفة والمؤرخيـن وعلماء الاجتماع والانتروبولوجيا يؤيدون في آرائهم الاتجاه الـثاني ، أي اعتـبروا حالـة الأفراد في الجماعات البدائية الأولى كانت تتصـف بالوحشـية ، وكـانت القـوة هي أساس الوحيد لاكتساب الحق وحمايتـه .

وحيـث ثبت من وقائع سجلات التاريخ أن كل جماعة بدائية كانت مستقلة تماما عن الجماعات البدائية الأخرى حتى التي كانت تتجاوز معها في منطقة واحدة ، إلا أنه خلال العصر الحجري القديم كان لا يوجد بينهم أي ارتـباط أو تقـارب سـلمي عـلى الإطلاق – لأن مفاهيم أفراد هذه الجماعـات كـانت في ازمان هذا العصر محدودة للغاية ، ولم يوجد لديهم

---

(١) د . بطـرس بطرس غالي ، د . خيري عيسى – المدخل في علم السياسة . مرجع سابق . ص ٣٧١ وما بعدها .

- Henry thamas – the great philosophers – New york – 1962 – pp 242 ets .

أي فكـر سياسـي مـتكامل عن أهمية التقارب والتعاون مع الجماعـات الأخرى ٠

وإذا كـان في نهاية هذا العصر ، قد ظهرت مرحلة تهذيب القوى من خلال ظهور نظام التصالح والتحكيم ، إلا أن أثارها قد ظلت داخل كل جماعة ولم تمتد خارجها وتحدث آثارا مع الجماعات الأخرى إلا مع بداية العصر الحجري الحديث [١] ٠

ولذلـك فإنه في ضوء ما تقدم لم تكن لفكرة التعاهد أي وجود على الإطـلاق بيـن الجماعـات الإنسـانية التي ظهرت خلال أزمان العصر الحجري القديم ٠ ولكي نوضح تفصيلا هذه الحقيقة سنعرض في هذا الباب دراسـة موضوعية عن الأسباب التي أدت انعدام ظهور فكرة التعاهد في العصر الحجري القديم ونقسمها إلى فصلين على النحو التالي :

الفصل الأول : سـنعرض فيه الأسباب الداخلية التي كانت توجد داخـل كل جماعة إنسانية بدائية ، ومنعت ظهور فكرة التعاهد في ازمان العصر الحجري القديم ٠

الفصل الثاني : سنوضح فيه الأسباب الخارجية التي كانت توجد بيـن كل جماعة إنسانية وأخرى وترتب عليها انعدام فكرة إبرام أي تعاهد بينهما خلال ازمان العصر الحجري القديم ٠

---

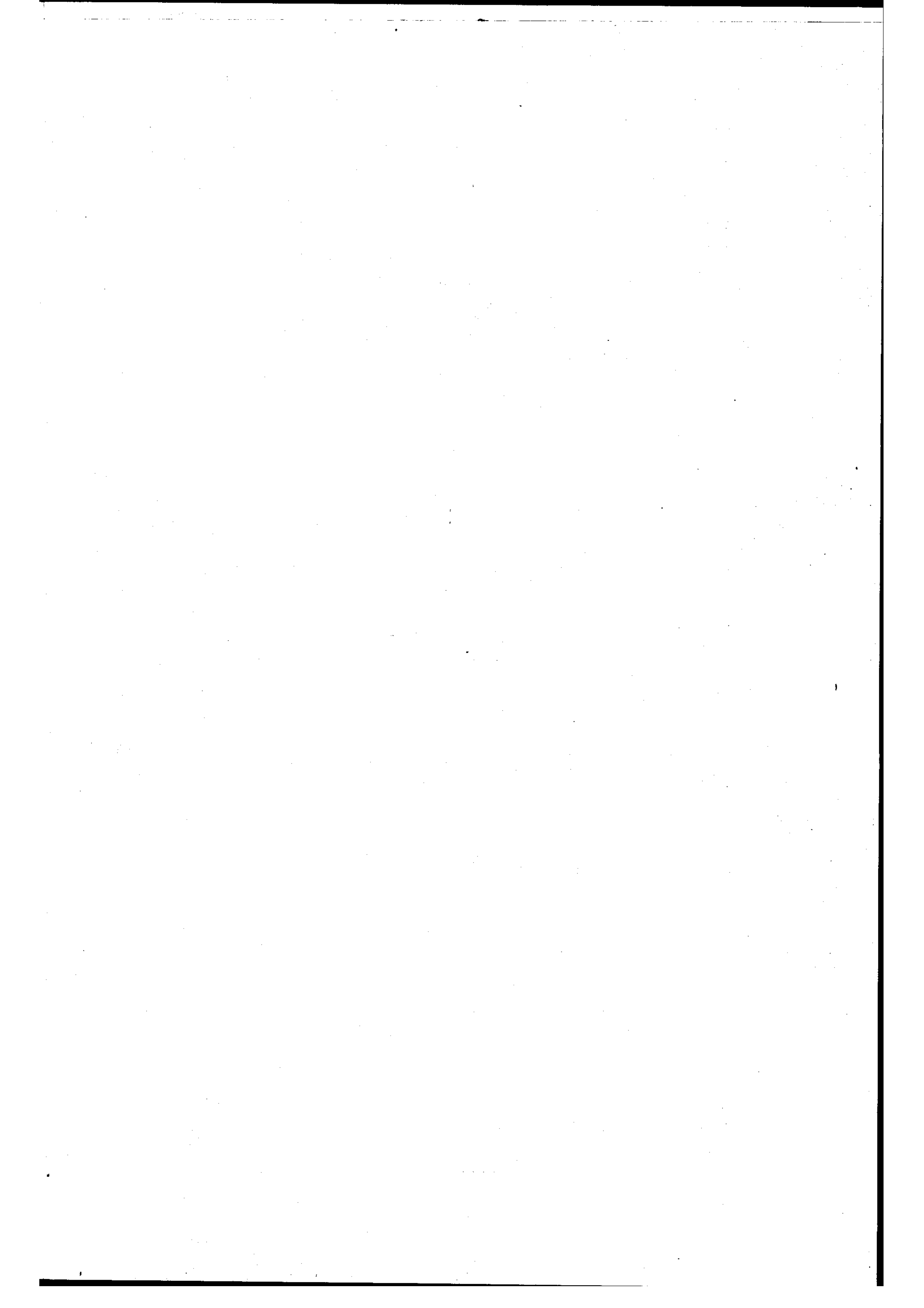
(1) Ralph linton – TREE Of culture – part I – 1955 – New york – pp 31 ets .

الفصل الأول

الأسباب الداخلية التي منعت ظهور فكرة التعاهد

في

العصر الحجري القديـــم



كـــانت الجماعـــات الإنسانية الأولى التي تكونت بعد حدث تلاقي الإنسان مع أخيه الإنسان في بداية العصر الحجري القديم عبارة عن أقوام بشـــرية منفصـــلة تمامـــا ولا يوجد بينها أي ارتباط على الإطلاق – وكل جماعـــة كان عدد أفرادها محدود ويعيشون في العراء كلما سمح لهم الجو بذلـــك أو يـــتقوقعوا داخـــل الكهـــوف ومخابئ الأرض لحماية أجسادهم وأرواحهـــم مـــن تقلبات الجو وقسوة الطبيعة أو من الحيوانات المفترسة ، وكانوا ينتقلون دائما من مكان لآخر في هيئة قطيع بشري من أجل البحث عـــن قوتهم اليومي بالصيد والقنص والتقاط ما كانت تجود به الأرض من حشائش وثمار [١] ، وبالتالي فإنه أمام ظروف معيشتهم القاسية التي كانت تشـــبه إلى حـــد ما معيشة الحيوانات ، وعدم اهتمامهم سوى بالصراع من أجـــل حماية حياتهم وجمع قوتهم اليومي ، فلم يوجد في فكرهم أو إدراكهم أي أمـــور أخـــرى غيـــر ذلك ، الأمر الذي جعل معظم الفلاسفة والعلماء يصـــف حياتهم خلال هذا العصر بالوحشية (وذلك كما سبق إن وضحنا) وعـــلى هـــذا الأســـاس لم تغرس أي بذور لفكرة التعاهد داخل أي جماعة إنســـانية بدائيـــة تكونت في أزمان العصر الحجري القديم ، ولإظهار هذه الحقيقـــة تفصـــيليا سنعرض في هذا الفصل أهم الأسباب التي كانت توجد

---

(1) Andre AYMARD et jeannine auboyer – Histoire generale DES civilisations . Tome I – L' orient et la GRECE ANTIQUE – paris – 1962 – P 24 .

داخل كل جماعة إنسانية فطرية ومنعت تماما ظهور ميلاد فكرة التعاهد في العصر الحجري القديم وذلك على النحو التالي :

- **المبحث الأول : جمع القـوت ٠**
- **المبحث الثاني : انعدام السلطة المركزية ٠**

المبحث الأول

جمـــــع القـــوت

****

الإنســـان يأكل ليعيش ، وإحساسه بالجوع يدفعه للبحث عن الطعام وبفضـــل هـــذا الطعـــام ينمو جسمه ، وتتولد لديه الطاقة اللازمة لحركته ونشـــاطه – لذلـــك يعـــد جمع القوت بالصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض مـــن حشائش وثمار أول حرفة عرفها الإنسان من أجل أن يعيش ويكتب له البقاء حيا فوق الأرض [١] .

وحيـــث كان الإنسان في بداية حياته يعاني صعوبة بالغة في جمع قوته اليومي كما كان يتعرض لمخاطر كثيرة إثناء صيد الحيوانات أو أثناء تجولـــه بمفرده للبحث عن الطعام – فإن هذه الظروف الاقتصادية الصعبة كـــانت مـــن أهـــم الأسباب التي جعلته بعد أن تلاقي مع أخيه الإنسان أن يشـــترك مـــع غيره في تكوين جماعة ليأتلف بداخلها ويتعاون مع أفرادها حتى يتغلب على بعض المصاعب الخاصة بجمع طعامه اليومي [٢] .

وعـــلى هذا الأساس كانت الظروف الاقتصادية لكل جماعة بدائية تكونـــت في أول مراحل طفولة الإنسانية قاسية ، ولذا كان الاهتمام الأكبر

---

(١) د . ثروت أنيس الاسيوطي – مبادئ القانون – طبعة ١٩٦٥ – كلية الحقوق – جامعة القاهرة – ص ٢٧ .

(٢) مؤلفـــنا مـــن مفهوم التعاقد في العصر الحجري القديم والحديث ص ٤٩ وما بعدها .

الذي شغل فكر أفرادها المحدود هو جمع القوت اليومي من أجل أن يعيشوا وينموا ويكتب لهم البقاء ، وبالتالي لم يفكروا أو يدركوا أي مفهوم يدعو إلى التقارب أو التعاون مع الجماعات الأخرى التي كانت تعيش بالقرب منهم ويتحرك أفرادها مثلهم من مكان لآخر في هيئة قطيع بشري من أجل البحث عن القوت اليومي .

وإذا كانت هذه الظاهرة تطابق الواقع والمنطق ولا يوجد في سجلات التاريخ والآثار ما ينفيها - إلا أن جانب من الفلاسفة والعلماء وبعض فقهاء الأديان السماوية الثلاثة ينكرونها ويعارضون بشدة بأن أفراد الجماعات الفطرية الأولى كانوا في بداية حياتهم يعيشون في ظروف اقتصادية قاسية وأنه بسبب هذه الظروف كانوا مثل الوحوش في جمع الطعام بعمليات الصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض من ثمار وحشائش وفي الترحال الدائم من مكان لمكان وفي المعيشة داخل الكهوف والمغارات (١) - وإنما قرروا عكس ذلك على النحو الآتي

(أ) إن التاريخ يحدثنا بأن الجماعات الإنسانية الأولى قد تكونت بعد حدث التلاقي وعاشت في بلاد الشرق وحول حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهي مناطق تتميز بالخيرات ولا يحتاج الإنسان البدائي الذي يعيش فيها إلى عناء كبير في جمع قوته ، وبالتالي غير مقبول القول بأن أفراد الجماعات الإنسانية الأولى قد تعرضوا لظروف اقتصادية صعبة في

---

(1) F. Fukuyama – the END of History and the last Man-op. cit – p. 1 28 .

بدايـــة حياتهم وكان يوجد حولهم خير وفير من الثمار مثل التفاح والكروم وبلح النخيل ومن الدواجن والطيور والحيوانات الأليفة بطبيعتها – ولذا فإن الحياة كانت سهلة عند الجماعات الإنسانية الأولى ولم تكن قاسية ، كما كان أفرادها لا يشبهون الوحوش في معيشتهم مادام كل واحد منهم يجد قوته في يسر وسهولة مما حبى الله به الأرض من خيرات (١) .

٢ – إنسان الجماعات البدائية الأولى قد تمتع بكامل حقوقه الطبيعية ولـــم تفـــرض عليه أي قيود تحد أو تنقص أي جزء منها – من جانب أي شـــخص آخر – كما لم يتعرض لمخاطر قاسية جعلت حياته مليئة بالقسوة والشقاء والبؤس وإنما كانت هادئة ولا يشوبها سوى فترات نادرة من عدم الاستقرار ، وحيث إن حاجة جان روسو من أهم زعماء هذا الاتجاه ، فقد قرر صراحة بأن [حياة الإنسان في الجماعات البدائية الأولى كانت أفضل من حياة الإنسان في المجتمعات المتمدينة ، لأن إنسان الجماعات البدائية الأولى كان يتمتع بكل حقوقه وحرياته الطبيعية ولم يكن حسودا ولا باغيا ولا حقـــودا ولا تواقـــا إلى القتال لأنه كان على طبيعته ، والإنسان خير بطـــبعه – في حين إنسان المجتمعات المتمدنية بعد أن اتسع ادراكه ونما عقلـــه قـــد اصبح ميالا للشر ولا تشبعه أي خيرات تتوافر لـــه ، ويتطلع دائمـــا إلى اكتســـاب حاجات غيره ، مما يدفعه إلى الانحدار نحو الالحاد والعيـــش فـــي بيـــئة فاســـدة يمـــوج فيها الشر والرذيلة – ولذلك فأن

---

(١) د . عبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابـــــق – ص ٥٦ .

العلاج الوحيد للشر ينحصر في التخلي عن المدنية ، لأن الناس جميعا خيرون إذا تركوا على سجيتهم الأولى ، فمن يعطى الإنسان البدائي شيئا يسد به رمقه فلن يجد منه إلا صديقا وحبيبا لجميع أقرانه داخل الجماعات التي يعيش ويأتلف بداخلها لأن أبسط الحاجات ترضيه وتجعله قنوعا] [١] .

٣ - السبب في القول بأن إنسان الجماعات البدائية الأولى قد عاش في ظروف اقتصادية صعبة يرجع إلى الكتاب الأوروبيين - لأن الجماعات البدائية الأوربية قد عاشت في ظروف جوية واقتصادية قاسية بسبب صعوبة الطقس الشديد البرودة في القارة الأوربية - وهذه الأوضاع هي التي دفعت الباحثين الغربيين إلى القول بأن إنسان الجماعات الفطرية الأولى قد عاش في ظروف اقتصادية قاسية وتتناقل هذا الزعم عنهم بعض كتاب الشرق دون تمحيص أو تروي [٢] .

لأنه قول غير صحيح مطلقا ، لأن الجماعات الفطرية الأولى قد ظهرت أولا في الشرق قبل أن تظهر في أوربا بما يزيد عن ١٠٠٠٠ سنة، والمناطق الشرقية عموما مليئة بالخيرات والأنهار والسهول الخصبة والجو المعتدل [٣] .

---

(1) Henry thomas – THE GREAT philosophers – op . cit-pp.. 256 – 258 .

(١) د . عبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٥٦ .

(2) R.G. Colling wood – the idea of History – oxford – 1939 – P 41 .

٤ - إذا كان بعض العلماء يستندون إلى ما ذكره العهد القديم من أن الله عز وجل غضب على آدم عندما عصاه ، وقال لــه [لأنــك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا بالا تأكل منها . فإن الأرض مــلعونة بســببك ، بالــتعب تــأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكا وحــطــا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل ، وبعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود] .

وأنه على أساس ذلك قد قرروا بأن إنسان الجماعات البدائية الأولى قــد عاش حياة اقتصادية قاسية - فإن القرآن الكريم لم يرد فيه شيء من ذلــك ، بل توجد فيه آيات عديدة واضحة تشير بأن آدم تاب من معصيته وأن الله سبحانه وتعالى قبل توبته ثم اهبطه من الجنة إلى الأرض لا عقابا لــه وإنما لكي يباشر رسالته التي قدرها الله لــه في أن يكون خليفة له في الأرض ليعمــرها [١] - مثل قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين ﴾ [٢] ، وقولــه تعالى : ﴿ يا بني آدم أما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن أصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [٣] وقوله جل شأنــــه : ﴿ ولقــد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا ﴾ [٤] .

---

(١) د .عبد الناصر العطار- الوجيز في تاريخ القانون- مرجع سابق- ص ٥٧

(٢) سورة الأعراف . الآية ٣١ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٧ .

٥ - أصحاب القول بأن إنسان الجماعات البدائية الأولى قد عاش حياة اقتصادية قاسية - قد زعموا ذلك من أجل أن يثبتوا بأن الإنسان بعد أن تغلب على ظروفه الاقتصادية القاسية يرجع إليه الفضل في وجود ما على الأرض من خيرات - وهذا الزعم غير صحيح على الإطلاق ، لأن الإنسان لم يخلق هذه الخيرات ولا يستطيع يوما أن يخلقها ، وقد نبه الله سبحانه تعالى الناس جميعا في القرآن الكريم إلى نعمه حتى لا يجحد أحدا منهم وينساق وراء هذا الزعم [١] ، مثل قوله تعالى : **﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ٠ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ٠ إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون ٠ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ٠ والنجوم مسخرات بأمره ٠ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ٠ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ٠ أن في ذلك لآية لقوم يذكرون ٠وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ٠ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٠ وألقى وعلامات وبالنجم هم يهتدون ٠أفمن يخلق كمن لا يخلق ٠أفلا تذكرون ٠ وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ٠ إن الله لغفور رحيم ﴾** [٢] ٠

وهذه الآيات واضحة في أن نعم الله علي الإنسان لا تحصى ، فلا يصح مطلقا إن يزعم أصحاب هذا الرأي بأن الإنسان هو صاحب الفضل

---

(١) د ٠ عبد الناصر العطار - الوجيز في تاريخ القانون - مرجع سابق ص ٥٧

(٢) سورة النحل الآيات من ١٠ - ١٨ ٠

في خيرات الأرض وهو لم يخلق شيئا من ذلك كله ، وإنما هو الله سبحانه وتعـالى الخالق الأوحد لكل هذه الخيرات التي أنعم بها الإنسان في حياته منذ بداية ظهور الحياة الإنسانية .

وأمام ذلك الرأيين . **الأولى** ويمثله اغلبيه العلماء الذين قرروا بأن إنســان الجماعات البدائية الأولى قد عاش حياة اقتصادية قاسية – **والثاني** ويمثله بعض العلماء والفلاسفة مثل جون لوك وجان جاك روسو إلى جانب بعـض علماء الإسلام الذين يذهبوا إلى القول بأن إنسان الجماعات البدائية الأولى قـد تمتع بكل حقوقه وحرياته الطبيعية وعاش حياة اقتصادية طيبة ومليئة بالخيرات .

فأنـه في ضوء أيماننا بقدرة الله سبحانه وتعالى إلى جانب نظرتنا بمـا هـو مسجل في التاريخ وما اكتشفه علماء الآثار عن حياة الجماعات الإنسانية الأولى – نرى أن إنسان هذه الجماعات قد عاش في البداية وهو محـدود الإدراك حيـاة اقتصـادية ليست سهلة ولكن لم تصل إلى درجة الصـعوبة أو القسـوة لوجـود خيرات كثيرة من فضل الله في الأرض – وعـندما بـدأ إدراكـه يتسع ويكتسب بعض الخبرات مع مرور الزمن ، وفرض لنفسه سلطانا على الأرض والأشجار والأنهار لكي يستثمرها وينعم بمـزيد من الخيرات التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، قد بدأ يشعر منذ ذلك الحين بضرورة بذل الجهد حتى يحصد الخيرات التي يحتاجها ، لأنه أدرك أهميـة ذلك ، وتأكد بأنه إذا لم يبذل الجهد ويعرق من جبينه وسواعده لم يحصل على رزقه واحتياجاته الضرورية وهذا الرأي الذي نذهب إليه هو رأي وسط بين الرأيين السابقين ويتفق تماما مع ما جاء في القرآن الكريـم

ويقـبله العقـل والمنطق • لأن الحياة الإنسانية بدأت بفضل الله وحكمته والأرض مليئة بالخيرات لكي يعيش أبناء وأحفاد سيدنا آدم عليها ويجتهدوا فـي استثمارها ليحققوا فيها بعرقهم خيرا وفيرا ينعموا به طوال هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

وهـذا الرأي الذي نقرره قد سبق أن ذهب إليه بعض العلماء وذلك مثل الأستاذ الدكتور عبد الناصر العطار حيث قرر صراحة في كتابـه [الوجيز في تاريخ القانون] بأن [إنسان الجماعات البدائية الأولى لم يكن متوحشا بل كان إنسانا منذ البداية وأنه عاش في البداية حياة اقتصادية سهله ومليئة بخيرات الله سبحانه وتعالى • لأن الحياة بدأت سهلة عند الجماعات الإنسـانية الأولى ثـم تعقـدت شيئا فشيئا عند تكاثر البشر ورحيل بعض الجماعات إلى أماكن أخرى ، وشاء الله ذلك حتى يستغل الإنسان كل جهده فـي استغلال الأرض وعمارتها ، والواقع أن إنسان العصر الحاضر يكاد يجـد قوته بصعوبة بالغة بينما كان إنسان الجماعات الإنسانية الأولى يجد قوته في يسر وسهوله من الخيرات التي خلقها الله له في الأرض] (١) •

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن إنسان الجماعات البدائية وإن كان قد عاش في البداية حياة اقتصادية سهلة وغير معقدة إلا أن إدراكه المحدود للغاية قد اقتصر فقد على جمع القوت وحماية نفسه من المخاطر والكوارث

---

(١) د • عبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابـق – ص ٥٧ •

التي كانت تحيط به في بعض الأحيان أثناء تنقله من مكان لآخر بحثا عن الماء والطعام ، وليس سوى ذلك أي لم يشغل باله بأي أمور أخرى – وبالتالي انعدمت تماما في فكرة ووجدانه وهو في حياته البسيطة أي فكرة عن مفهوم التعاهد بين الجماعة التي يعيش بداخلها وبين الجماعات الإنسانية الأخرى .

المبحث الثاني
انعدام السلطة المركزية

****

تشير المعلومات التاريخية ، بأن الجماعات الإنسانية البدائية التي تكونت في العصر الحجري القديم – كانت لا توجد فيها سلطة عليا ذات نفوذ وسيادة يخضع لها الأفراد ، ويعترفوا بما لديها من قدرة وفاعليه على أحكام السيطرة عليهم ، وعلى فرض الأوامر التي تلزمهم وتضبط سلوكهم وتنتهي المنازعات والمشاكل التي تنشب بينهم – وبالتالي كان أفراد كل جماعة بدائية طلقاء من أي سلطة عليهم ، وتسود بينهم المشاعبة البدائية خلال أزمان العصر الحجري القديم • وذلك لأن كل جماعة بدائية قد تكونت من مجموعة محدودة من الأفراد بعد أن تلاقوا واتفقوا أن يعيشوا حياة مشتركة من أجل أن يتعاونوا في جمع قوتهم اليومي ويتضامنوا سويا في دفع المخاطر التي كانت تحيط بهم وليس دون ذلك – أي لم يتفقوا على أن يكون أحدهم سيد عليهم ، أو لـه حقوق أكثر منهم ، أو يكون لـه نفوذ وسلطان لينظم علاقاتهم ويضبط سلوكهم ، وإنما كان جميعهم متساويين تماما في الحقوق والواجبات ، لأن تكوينهم للجماعة واندماجهم فيها قام فقط على الروابط الاجتماعية الفطرية المغروسة في طبيعتهم ، وهي الرغبة في المعيشة المشتركة من أجل التعاون والتضامن فقط في بداية حياتهم الأولى [1] .

---

(1) Ralph Linton – TREE of culture – op. cit – pp. 71 ets .

وإذا كانت توجد بعض الآراء تشير بأن هذه الجماعات البدائية بعد أن انتشرت في مناطق مختلفة وازداد عدد أفرادها في النصف الثاني للعصر الحجري القديم قد ظهر فيها نظام رئيس الجماعة أي أصبح لكل جماعة رئيس في أزمان النصف الثاني لهذا العصر ، وإن هذا الرئيس كان يتم اختياره على أساس قوته المادية وما كان يملك من ثقافة وحكمة وفكر ، وأنه استطاع أن يوزع العمل بين الأفراد ، وأن يضع الاطر للنظام والضبط والربط داخل الجماعة ليحافظ على أمنها وسلامتها ويعاقب كل من يخرج على أوامره أو يخرج على تقاليد الجماعة ومعتقداتها الدينية (١) فإن هذا الرأي غير صحيح وتوجد أدلة عديدة تؤكد عدم إمكانية تصوره أهمها الآتي :

١ – أفراد كل جماعة بدائية كان يسود بينهم خلال أزمان العصر الحجري القديم مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه وهو نظام العدالة الخاصة أو القضاء الخاص – حيث كان كل إنسان يكتسب حقوقه ويحافظ عليها بما كان يملك من قوة جسمانية ويدفع ما يقع عليه من عدوان بنظام الثأر ليغسل العار الذي لحقه من الاعتداء الذي وقع عليه ويشفى غليله منه بشهوة الانتقام وظل هذا النظام الذي يمثل أولى مراحل ظهور القانون حتى الزمن الأخير للعصر الحجري القديم حيث لم تظهر مرحلة تهذيب القوة التي قامت على نظام التصالح والتحكيم وتمثل المرحلة الثانية من مراحل

---

(1) G. Burdeau – Traté de science politique tom. 2 – paris – 1949 – pp 43 ets 0
- T. Hobbes – Leviathan – op . cit – pp 106 ets.

ظهور القانون إلا في نهاية هذا العصر وحلول العصر الحجري الحديث ، وذلك بعد ظهور البوادر الأولية لنظام الرعي واستصلاح بعض الأراضي وزراعتها بأساليب بدائية للغاية ببعض المحاصيل الزراعية ٠ وبالتالي لا يمكن أن يكون للجماعة رئيس لــه سلطة ونفوذ في ظل مبدأ استخدام القوة أو نظام العدالة الخاصة [١] ٠

٢ - فكــرة المال الخاص أو الملكية الخاصة للأشياء كانت غير موجــودة أو معدومــة تمامــا عند أفراد كل جماعة بدائية تكونت في هذا العصــر بعــد حدث التلاقي ، لأن الأرض وأماكن الإيواء كانت مشاعة ، والغــذاء كــان لا يختزن ، والآلات والأدوات غير المصقولة التي صنعها أفراد الجماعة من الحجارة وعظام الحيوانات كانت لا تمثل أي أهمية على الإطلاق إلا عند من صنعها ، وجميع أنواع الثمار والحيوانات ومنابع الماء كــانت أيضا مشاعة وغير مملوكة لأحد [٢] - ولذلك كان أفراد كل جماعة سواســية ولا يوجد بينهم من هو غني ومن هو فقير، وإنما كان كل واحد مــنهم يمــاثل الآخر ويقوم بكافة الأعمال دون أن يستغل غيره أو يفرض عليه نفوذه أو سيطرته ٠٠٠ وحيث أن الملكية الخاصة وما ينتج عنها من معــاملات مالية مختلفة هي المناخ الأساسي لظهور فكرة السلطة الحاكمة

---

(١) د ٠ ثــروت أنيــس الأسيوطي - مبادئ القانون - مرجع سابق - ص ٢١ ، ص ٤٢ ٠

(٢) د ٠ محمــود عز العرب السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ٣٤ ٠

داخل الجماعة ، فإن انعدامها وعدم وجود دائرة معاملات خلال أزمان هذا العصـــر ينتفي تماما أي رأي يشير إلى وجود سلطة لها نفوذ وسيادة داخل الجماعات البدائية خلال أزمان العصر الحجري القديم [١] .

٣ – كـــل الجماعات البدائية التي تكونت في أزمان هذا العصر لم يعـــرف أفرادها على الإطلاق نظام الطبقات ولا نظام الرق – وذلك لأن أفـــراد كل جماعة كانت تسودهم المشاعية البدائية ومبدأ العدالة الخاصة – ولذلـــك كانوا متساوين تماما في الحقوق والحريات ولا يوجد منهم من هو ســـيد أو وضـــيع أو شخص حر وآخر عبد أو صاحب مكانة ونفوذ وآخر معدوم ، وبالتالي فإنه على أساس هذه المساواة البدائية كان لا يوجد في أي جماعة فطرية حكام ومحكومين . أي لم يظهر نظام السلطة المركزية في الجماعات البدائية التي تكونت في أزمان العصر الحجري القديم [٢] .

وبالتالي لم توجد سلطة مركزية ذات نفوذ وسيادة داخل أي جماعة مـــن الجماعـــات البدائية التي تكونت في العصر الحجري القديم بعد حدث الـــتلاقي ... وهذه الحقيقة كانت من أهم أسباب هدم أساس نظرية العقد الاجـــتماعي واضـــمحلال أفكارهـــا بعـــد أن اتصفت بأنها نظرية خيالية ومســـتحيلة التطبيق ، لأن أنصارها وعلى رأسهم ، توماس هوبز ، وجون

---

(1) Walter A. Fairservis – the origins of oriental civilzation – the new american library – new york – 1959 – pp 32 ets .
(2) Francis Fukuyama – the END of History AND the last MAN – op . cit – p. 144 .

لــوك ، وجــان جاك روسو وهم من أشهر فلاسفة العصور الحديثة ، قد قــرروا بــأن الأفراد بعد أن تلاقوا في المراحل الأولى للحياة الإنسانية قد أبــرموا عقد اتفقوا فيه جميعا على أن يعيشوا داخل جماعة ويكون أحدهم حــاكم عــليهم لينظم علاقاتهم ويضبط سلوكهم [١] ، وهذا الحاكم قد جعله توماس هوبز صــاحب سلطة مطلقة ولا يحق لأفراد الجماعة مقاومته أو عــدم إطاعــته لأنه قرر بأن هؤلاء الأفراد قد تنازلوا بموجب اتفاقهم في العقــد عــن كــل حقوقهم وحرياتهم الطبيعية – في حين جعله جون لوك صــاحب سلطة مقيدة لأنه قرر بأن الأفراد لم يتنازلوا له في العقد عن كل حقوقهــم وحــرياتهم الطبيعية وإنما عن جزء منها فقط نظير أن يوفر لهم الأمــان والاستقرار ويتمتعوا بالجزء الباقي من حقوقهم وحرياتهم الطبيعية فإذا أخل بهذا الالتزام وجعل حياتهم ترتابها الفوضى والفساد أو منعهم من التمتع بالجزء الباقي من حقوقهم وحرياتهم يحق لهم أن يعلنوا الثورة علية لخــلعه أو لتدمير عرشه وتعين حاكم آخر بدلا منه يتوافر فيه صفة العدل والحكمــة – أما جان جاك روسو فقد جعل السيادة للجماعة حيث قرر بأن كل فرد قد تنازل بموجب هذا العقد عن بعض حقوقه للمجموع الذي يمثل كيــان الجماعــة ككــل ، وسيادة المجموع لا يمكن بأي حال من الأحوال التــنازل عــنها كما أنها لا تقبل التجزئة ، ولكي يكون للجماعة من يمثلها ويــرعى حقوق وحريات أفرادها ، فإن أفرادها بموجب هذا العقد يختاروا

---

(١) د . عبد الحميد متولي – أصل نشأة الدولة – مجلة القانون والاقتصاد ١٩٤٨ ص ٧٠٢ وما بعدها .

مـــن بينهم شخصاً ليكون وكيلا عنهم في رعاية حقوقهم وفي إدارة شئونهم وتدبير أمورهم ، وهذا الوكيل يأخذ صفة الحاكم ويستمد سلطته المشروعة من إفراد الجماعة ، ولذلك فإنه لا يحق له أن يتعسف معهم أو يستبدهم أو يجور على حقوقهم فإذا خالف هذا الاتفاق يحق لهم جميعا أن يفسخوا العقد ويقومـــوا بعزله أو خلعه من الحكم لأنه قد أخل بشروط الوكالة – وتعين شخص آخر بدلا منه (١) .

لذلــك فإنـــه فـــي ضـــوء أفكار هؤلاء الفلاسفة عن نظرية العقد الاجـــتماعي ونظـــام الحاكم الذي يتولى السلطة والنفوذ داخل كل جماعة بدائيـــة تكونت في العصر الحجري القديم ، يتضح أنها أفكار تخمينية ولا يمكـــن أن يقبلها عقل لأنها تتعارض تماما مع الحقيقة والمنطق ، لأنه من المســـتحيل أو لا يتصور مطلقا أن يكون أفراد العصر الحجري القديم وهم يعيشون على جمع قوتهم اليومي ولا دراية لهم مطلقا بالشئون السياسية قد اجـــتمعوا وأبرموا عقدا اجتماعيا اتفقوا فيه أن يتولى أحدهم السلطة لينظم علاقـــاتهم ويضـــبط ســـلوكهم ويوفر لهم سبل الأمان والاستقرار ويرعى حقوقهم ويدير شئونهم ، فإن هذا بالطبع مستحيل أو من واقع الخيال ، كما لا يوجد أي سند يشير إلى ذلك مطلقا في سجلات التاريخ (٢) .

---

(1) R.G.Gettell – political science – New york – 1947 pp- 66 ets
- Henry thamas – the GREAT philosophers – op – cit – pp 240 ets .

(٢) د • بطـــرس بطرس غالي ، د • خيري عيسى – المدخل في علم السياسة – مرجع سابق ص ٣٧٧ وما بعدها •

وعلى هذا الأساس كانت السلطة المركزية معدومة تماما داخل كل جماعـة بدائية تكونت في العصر الحجري القديم على الروابط الاجتماعية الفطـرية المغروسـة فـي طبيعة الأفراد والتي تأكد واقعها الملموس في مظاهـر الحياة منذ بدايتها حتى عالم اليوم بأن الإنسان اجتماعي بطبعة - وحيث أن إبرام أي تعاهد بين أي جماعة وجماعة أخرى مستقلة عنها تقوم بـه السـلطة المركزية الموجودة في كل من الجماعتين - أي أن السلطة المركـزية في كل جماعة هي التي تقوم نيابة عن أفرادها بإبرام أي تعاهد مـع أي جماعة أخرى لأنه من الصعب جدا أن يشترك كل أفراد الجماعة في إبرام هذا التعاهد مع أفراد جماعة أخرى - فإنه إمام عدم وجود حاكم أو سلطة مركزية داخل كل جماعة بدائية يجعل من المستحيل أن يتم إبرام أي تعاهد بين أي جماعة بدائية وجماعة أخرى في أزمان العصر الحجري القديم .

وبـناء عـلى ما تقدم - فإن حياة جمع القوت ، وعدم وجود سلطة مركزية لكل جماعة بدائية هما من أهم الأسباب الداخلية التي منعت ظهور فكـرة التعاهد أو حتى غرس بذورها بين الجماعات الإنسانية التي ظهرت في العصر الحجري القديم .

الفصل الثاني

الأسباب الخارجية التي منعت ظهور فكرة التعاهد

في

العصر الحجري القديم

الجماعات الإنسانية البدائية التي تكونت في العصر الحجري القديم علـى مفـاهيم الـروابط الاجتماعية الفطرية المغروسة في طبيعة الأفراد وكانت تتنقل من مكان آخر كالقطيع البشري بدون رئيس أو زعيم من أجل الـبحث عن القوت اليومي ، أو الهروب من المخاطر التي كانت تتعرض لهـا بين الحين والآخر ، لم يكن بينها أي ارتباط ، وإنما كانت كل جماعة منفصـلة تماما عن الأخرى ، وتنظر لها نظرة عداء بصفة مستمرة طوال أزمـان هـذا العصر الذي قام على جمع القوت وكان يسود فيه مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه .

لذلك لم تظهر على الإطلاق أي بوادر لفكرة التعاهد بين أي جماعة وأخـرى خلال عهود هذا العصر نتيجة لعوامل أخرى خارجية إلى جانب العوامـل الداخلية التي سبق عرض أهمها في الفصل السابق – ولا يضاح ذلك بالتفصيل سنعرض في هذا الفصل أهم الأسباب الخارجية التي ساهمت هي الأخرى في منع ظهور فكرة التعاهد في العصر الحجري القديم وذلك على النحو التالي :

- **المبحث الأول : الترحل المستمر وعدم الاستقرار .**
- **المبحث الثاني : التضامن المطلق بين أفراد الجماعة .**

المبحث الأول

الترحل المستمر وعدم الاستقرار

****

تشـــير سجلات التاريخ والمعلومات الأثرية التي عثر عليها علماء الآثار ، وعلى الأخص علماء السويد المشهورين مثل اندرسن ، ودافيدس بـــلاك ، وزوانســـكي ، وبولين – والعالم الأمريكي ولترجرانجو ، والعالم الصـــيني بيني ونج تشونج – بأن الجماعات الإنسانية الأولى التي تكونت بعد حدث تلاقي أفرادها ، كانت كل واحدة منها تتكون من عدد محدود من الأفراد ، وظلت طوال أزمان العصر الحجري القديم تتجول في هيئة قطيع بشري مستقل عن الجماعات الأخرى في المناطق المختلفة التي يتوافر فيها المـــاء والطعام لكي تجمع قوتها اليومي بالصيد والقنص والتقاط ما كانت توجـــد بـــه الأرض من زراعات [١] – وأنه على أساس ذلك لم يكن لأي جماعـــة إنســـانية بدائية إقليم ثابت أو موقع محدد تستقر فيه خلال العصر الحجري القديم ، لأنها في أزمان هذا العصر لم تكن منتجة للقوت ، وإنما كـــانت تجمعـــه مـــن المـــناطق المختلفة ، وبالتالي كانت لا تستطيع على الإطـــلاق أن تســـتقر فـــي مكـــان محدد إذا جف منه الماء واختفت منه الزراعات والحيوانات والطيور ووسائل جمع القوت المختلفة ، لأن معنى

---

(1) Walter A. Fairservis – the origins of oriental civilization – op . cit – pp 80 ets .

ذلـــك أنها سوف تستسلم للموت عطشا أو جوعا ، وأيضا كانت تهرب من مكـــان لآخر للفرار من مخاطر الحيوانات المفترسة وكوارث الطبيعة التي كـــانت تـــتعرض لهـــا في بعض الأحيان ولا تستطيع التغلب عليها [١] ، ولهـــــذا لـــم تكن للأرض قيمة دائمة إمام كل جماعة بدائية وإنما كانـــت ذات قيمـــة مؤقتة فقط إذا كانت بها زراعات فإذا التهم أفراد الجماعـــة هـــذه الـــزراعات الموجودة عليها ، أصبحت الأرض بعد ذلك عديمـــة القيمـــة ولابد من هجرها حتى لا يموت أفراد الجماعة من هلاك الجوع ، والـــبحث عـــن أرض أخرى بها حشائش وثمار يمكن جمعها لتوفير قوتهم اليومي [٢] .

وقـــد وصف العالم الاقتصادي الشهير آدم سميث [Adam smith] حركة التنقل المستمرة للجماعات الإنسانية التي تكونت في العصر الحجري القديـــم ، وجعـــلها الأســـاس الذي ساعد هذه الجماعات على جمع القوت اليومـــي وإنقـــاذ أفـــرادها مـــن هلاك العطش والجوع كما أكسبهم خبرة اقتصـــادية اســـتطاعوا بهـــا أن يدخـــلوا اعتاب العصر الحجري الحديث ويـــنجحوا في تنمية غريزتهم الاقتصادية ويصبحوا منتجين للغذاء بدلا ما كانوا جامعين له فقط [٣] .

---

(1) E. Hobel – Man in the primitive world – op . cit – pp 31 ets

(٢) د . ثروت أنيس الأسيوطي – مبادئ القانون – مرجع سابق – ص ٤٥ .

(3) J. Gras – An throploqy and econamics – in the social sciences and their interelations – New york – 1927 – p. 12 .

وأيضا وصف العالم الاقتصادي الأمريكي ليزلي هوايت [Leslie white] حـركة التـنقل المستمر للجماعات الإنسانية البدائية في العصر الحجري القديم –[بأن القوة التي تمثلت في طاقة إفراد الجماعات في هذا العصر ، وكانت أساس نشاطهم الاقتصادي القائم على جمع القوت اليومي فقـط ، قد ارتكزت على القوة العضلية التي مكنتهم من الحركة المستمرة والتحول الدائم في الأماكن المختلفة للبحث عن مصدر الماء لحمايتهم من هـلاك العطش وجمع الغذاء النباتي والصيد البري والسماكه ، فمن غير هـذه القوة العضلية التي اكسبت أفراد هذه الجماعات قدرة التحمل على الانـتقال مـن مكان آخر للبحث عن الماء وجمع الغذاء ما استطاعوا أن يكـتب لهم البقاء ويتطوروا من الطاقة العضلية القائمة على جمع القوت إلى الطاقـة المنـتجة القائمـة عـلى الـرعي والإنبات ، لأن كثيرا من الجماعـات هلكت بسبب ضعف قوة أفرادها العضلية وعدم تحملهم مشقة الحركة المستمرة للانتقال من مكان لأخر للجمع قوتهم اليومي][١] .

وأيضا كان العالم الأمريكي لويس مرجان الذي أطلق على العصر الحجـري القديـم عصـر التوحش وقسمة إلى ثلاث عهود [العهد الأدنى للـتوحش ، العهد الوسيط للتوحش ، العهد الأعلى للتوحش] – من ضمن الذين اهتموا بوصف حركة تنقل الجماعات البدائية خلال عهود هذا العصر حيث أشار بأن[التنقل المستمر لهذه الجماعات من مكان إلى آخر قد ساعد

(1) Leslie white – An Anti Evolutionist fallacy – london – 1945 – pp 12 ets .

أفرادها بإدراكهم المحدود للغاية على جمع القوت وإنقاذ حياتهم من هلاك الجـوع والعطـش وإن هذا الانتقال هو الذي دفعهم لاكتساب الخبرة في بعـض أمـور الحيـاة وجعلهم ينجحون في الانتقال من العهد الأدنى إلى العهـد الوسيط ثم إلى العهد الأعلى للتوحش حتى تمكنوا من دخول العهد الأول للعصر الحجري الحديث ويصبحوا منتجين للغذاء بالرعي والزراعة .... ولذلـك فإن الجماعات التي تعثر أفرادها في الانتقال من الأماكن الجدبة إلى الأماكن الوفيرة بالماء والغذاء هلكوا من أثر الجوع والعطش وكتب عليهم الفناء ....] [1] .

وحيث أن استقرار أي جماعة إنسانية مستقلة في مكان ثابت أو في مـنطقة محـددة من السمات الأساسية لمظاهر كيانها الفعلي ومن الأمور المحققـة لسـيادتها الإقليمية ولوضعها السياسي بين الجماعات الأخرى – والتـنقل مـن مكان لآخر يجعلها عديمة الاستقرار أو يفقدها صفة الوجود الـثابت المستمر في منطقة معينة تمارس عليها سيادتها الفعلية – فإنه في ضوء ذلك لا يمكن أن يتم تعاهد بين جماعة وأخرى لأنه من شروط تعاهد أي جماعة إنسانية مستقلة مع جماعة مستقلة أخرى هو أن يكون لكل منها إقـليم محدد تمارس عليه سيادتها الفعلية بصفة دائمة ، ولا يجوز لأي فرد أجنبي أو مجموعة أفراد من جماعة أخرى أن تدخل هذا الإقليم بدون أذن منها ، أو تعتدي عليه أو على أي جزء فيه بقصد الاستيلاء عليه أو بهدف

---

(1) Lewis Morgan – Ancient society – op. cit – pp 15 ets .

سلب ما به من ثروات وخيرات [١] .

وبالـتالي فإنه من المستحيل أن تقوم جماعة مستقلة بعقد تعاهد مع جماعة مستقلة أخرى ويكتسب هذا التعاهد الصفة القانونية الملزمة من أجل تحقيـق مصالح معينة فيما بينهما ، وكل طرف في هذا التعاهد ليس لدية إقـليم معيـن ومحـدد يمتلكه ويمارس عليه سيادته الفعلية ، وإنما يتجول عشوائيا في مناطق عديدة ومختلفة لكي يجمع إفراده قوتهم اليومي بالصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض من زراعات مختلفة .

وعلى هذا الأساس كان التنقل المستمر للجماعات الإنسانية البدائية من مكان لآخر بصفة دائمة ومستمرة من أهم العوامل الأساسية التي منعت ظهـور فكرة التعاهد بين أي جماعة مستقلة وجماعة أخرى أو أكثر خلال أزمـان العصـر الحجري القديم ، لأنه ليس من المعقول أن تبرم جماعة تعاهد مع جماعة أخرى ، وفي اليوم التالي أو بعد فترة قصيرة يرحل أفراد كل جماعة طرف في هذا التعاهد إلى منطقة أخرى وقد لا يتم لقائهما بعد ذلـك إلى الأبد لأن كل جماعة كانت تتجول عشوائيا كالقطيع البشري في مـناطق مختـلفة للـبحث عن الماء والغذاء وليس دون ذلك خلال أزمان العصر الحجري القديم .

---

(1) R. Redslob – traite de droit des gens – paris – 1950 – pp 151 ets.

المبحث الثاني
التضامن المطلق بين أفراد
الجماعة البدائية

****

الجماعات البدائية التي تكونت في العصر الحجري القديم بعد حدث تلاقي أفرادها – من أجل أن يتعاونوا في جمع القوت ويتضامنوا سويا في دفع المخاطر والكوارث التي كانت تلحق بهم بين الحين والآخر ، كان يسود بينهم مبدأ استخدام القوة الذي يعد أول مرحله من مراحل ظهور القانون ، لأن بداية ظهور القانون كان في صورة إحساس نفسي من جانب أفراد كل جماعة بوجود حقوق وواجبات ، وحيث أن هؤلاء الأفراد كانوا في الحالة البدائية الأولى وإدراكهم محدود للغاية ولا توجد لديهم سلطة مركزية تنظم علاقاتهم وتضبط سلوكهم ، فقد كان المظهر الخارجي لهذا الإحساس هو استعمال القوة حيث اعتبرت الوسيلة الوحيدة التي تنشئ الحق وتحميه [١] .

وتشير المصادر التاريخية بأن أفراد الجماعات البدائية في ظل مرحلة استخدام القوة التي يطلق عليها أيضا مرحلة العدالة الخاصة أو القضاء الخاص كانت تفرق بين ثلاث أنواع من الجرائم على النحو الآتي :

---

(1) H. Hogbin – Law and order in polynesia – New york – 1934 p. 145 .

أولا : الجرائم الخاصة : وهــي التي كانت تنتج من الاعتداءات الــتي كــانت تقع بين الأفراد داخل الجماعة ، وكان يعطي فيها للفـــرد الــذي وقع عليه الاعتداء الحق في أن يقدر العقوبة ويقتضيها بنفســـه من المعتدي ، لأنه كان يعتبر الاعتداء الذي وقع عليه يمثل عاراً يلحق به أمـــام كــل أفراد الجماعة حتى يتمكن بنفسه من غسله بالقوة من الشخص المعتدي .

ثانيا : الجرائم العامة : وهي التي كانت ترتكب داخليا مـــن أحــد الأفراد وتمس كيان جماعته وتهدد مصالحها العليا مثل الخـــروج عــلى تقاليدهــا أو تدمير المصدر الذي كانت تحصل منه على المـــاء أو القيــام بأفعــال تضــعف من قوتها وتجعلها فريســة سهلة للجماعـــات الأخـــرى - وفي هذه الجرائم كان كل أفراد الجماعة يتكاتفـــون استنادا عـــلى مـــبدأ التضـــامن ويقتصوا من الجاني بقسوة ووحشيـــة ، وفـــي الغـــالب كـــانوا يقتلوه لتخلص منه ومن أفعاله الشريرة التي هددت كيانهم ومصالحهم .

ثالثا : الجرائم الخارجية : وهي التي كانت ترتكب بين الجماعات فـــي حالـــة ما إذا اعتدى فرد من جماعة على فرد آخر من جماعة أخرى حيـــث كان أفراد جماعة المعتدي عليه يتكاتفون جميعا ويقوموا يدا واحدة اســـتنادا عـــلى تضامنهم المطلق بالعدوان بكل قوة ووحشية على جماعة المعتدي من أجل مناصرة فردها وغسل ما لحقه من ضرر وما ألحق بهـــا

من عار من قيام أجنبي بالاعتداء عليه [١] .

وعلى أثر هذا التقسيم لأنواع الجرائم يتضح أن التضامن بين أفراد الجماعــة كان في ظل مبدأ استخدام القوة تضامن مطلق استند ببدائية على المصــلحة الماديــة فقط – وأنه قد ساعد هؤلاء الأفراد في غياب السلطة المركــزية عــلى التماسك والترابط في مواجهة المخاطر والكوارث التي كانوا يتعرضوا لها في بعض الأوقات – إلا أن هذا التضامن المطلق كان يــنهار داخليا في الجرائم الخاصة التي كان يعتدي فيها أحد أفراد الجماعة عــلى فرد آخر من جماعته وفي الجرائم العامة. التي كان يعتدي فيها أحد الأفــراد عــلى كيان جماعته ومصالحها العليا – ولم ينهار مطلقا في ظل تطــبيق مــبدأ استخدام القوة في الجرائم الخارجية التي كانت ترتكب بين جماعة وأخرى [٢] .

وحيث أن مبدأ استخدام القوة قد ظل مطبقا خلال العصر الحجري القديم ، فإن التضامن المطلق قد جعل أفراد كل جماعة بدائية يعتقدون بأن

---

(١) د . عــادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – طبعة ١٩٩١م – كلية الحقوق – جامعة القاهرة – ص ٣٥ .

- مؤلفــنا عن المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع – طبعة ١٩٩٨ – دار النهضة المصرية بالقاهرة – ص ١٢٢ وما بعدها .

(2) E. Hobel – Man in the primitive world – op . cit – pp 49 ets.

- د . عــبد السلام الترمانيني – محاضرات في تاريخ القانــــون – ص ٢٤ وما بعدها .

الجماعـــات الأخـــرى تطمـــع فيهم وتسعى إلى دمارهم لاغتصاب حقوقهم وسلب خيراتهم ، ولذا كانوا يتكاتفون جميعا من أجل الانتقام من أي جماعة سواء لدفع اعتداء وقع عليهم أو لسلب واغتصاب حقوقها حتى يكون لهم شـــرف الغلبة إلى جانب الافتخار بقوتهم أمام الجماعات الأخرى لإرهابها حتى لا تفكر في الإغارة عليهم (١) .

وعـــلى هذا الأساس كان يسود بين أفراد هذه الجماعات البدائية في ضـــوء التضامن المطلق نظرة عداء مستمرة خلال هذا العصر ، وأن كل جماعـــة كانت تعتبر أي شخص أجنبي عنها وينتمي إلى جماعة أخرى هو عـــدوا لهـــا ويجب قتله بعد أن يتم الاستيلاء على كل ما يحمله من متاع وأشياء لأن وجوده يمثل خطرا عليها – وذلك لأن مفهوم التضامن المطلق قـــد غـــرس فـــي نفـــوس أفراد كل جماعة مبدأ عدم احترام حقوق أفراد الجماعـــات الأخـــرى ، ومشـــروعية الإغـــارة عليهم وقتلهم بعد سلب ما بحوزتهـــم من خيرات من أجل أن يكتب لهم البقاء والصمود في مواجهة قسوة المعيشة والتغلب على مخاطر الحياة خلال أزمات هذا العصر (٢) .

لذلك فإنه من المستحيل في ضوء هذا التضامن المطلق أن يتم أي تعـــاهد بيـــن أي جماعة بدائية وجماعة أخرى مادام أن أفراد كل جماعة

---

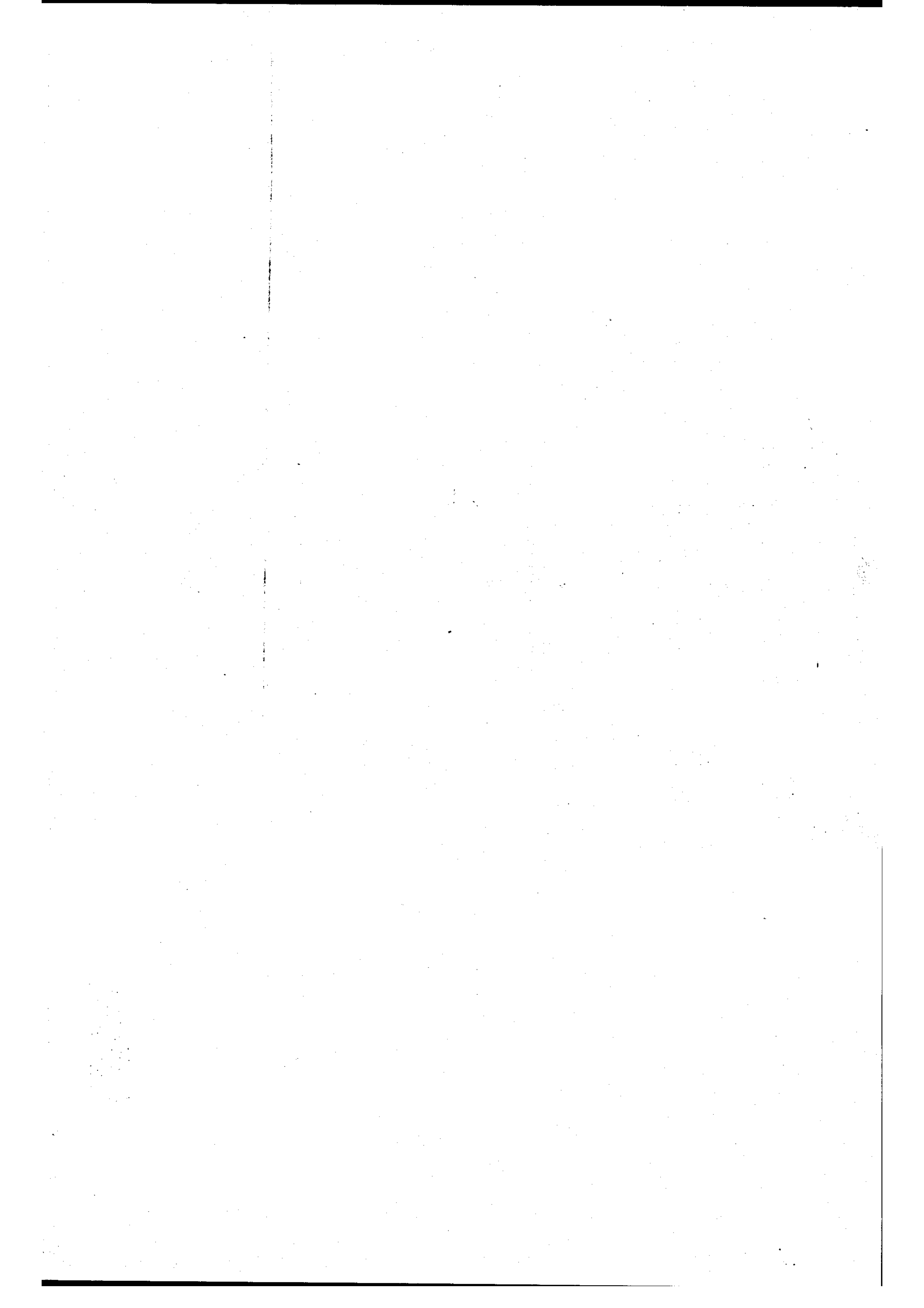
(١) د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٦ وما بعدها .

(2) P. Mammand – cultural and social antropology – New york – 1964 – p 150 .

يـــنظرون إلى أفراد الجماعات الأخرى نظرة عداء بصفة دائمة ومستمرة طـــوال أزمان العصر الحجري القديم الذي ساد فيه مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه ٠

وإذا كان في أواخر هذا العصر قد بدأت ملامح مرحلة تهذيب القوة تظهر آثارها بين أفراد كل جماعة بعد أن بدأت تظهر فيهم البوادر الأولية لـــنظام الـــرعي واستئناس بعض الحيوانات ، إلا أن ذلك لم يغير شيئا من النظرة العدائية بين الجماعات وإنما استمرت حتى نهاية هذا العصر ، ولم يتم تخفيف قسوتها والحد من شراسة الاقتتال وتضييق دائرة الانتقام إلى حد مـــا ٠ إلا بعـــد أن دخلت هذه الجماعات أعتاب العصر الحجري الحديث وعـــرف أفـــرادها نظام الرعي واستصلاح الأراضي وزراعتها بأساليب بدائية ببعض المحاصيل الزراعية ٠

وترتيـــبا على ما تقدم كانت العوامل الداخلية التي تركزت في جمع القـــوت وانعدام السلطة المركزية ، والعوامل الخارجية التي تركزت أيضا فـــي التنقل المستمر لأفراد الجماعة وعدم استقرارهم في منطقة معينة إلى جـــانب تضامنهم المطلق في استخدام مبدأ القوة والنظرة العدائية المستمرة بين أفراد كل جماعة وأخرى ٠٠٠ من أهم الأسباب التي منعت غرس إلى بـــذور لفكـــرة التعاهد بين أي جماعة بدائية وأخرى خلال أزمان العصر الحجري القديم ٠



الباب الثاني

****

فكرة التعاهد
في
العصر الحجري الحديث
وظهور التعاهد البدائي الأول

تقديـــم :

تفيـد الآثـار الـتاريخية بأن الجماعات الإنسانية التي تكونت في العصر الحجري القديم ، لم تدخل جميعها أعتاب العصر الحجري الحديث وتتطور بعد ذلك حضاريا طوال أزمان هذا العصر في النواحي الاجتماعية والاقتصـــادية والسياسية ، وإنما بعضها فقط نجح في ذلك والبعض الآخر فشـــل ولـــم يصل إلى هذه المرحلة وظل يعيش على جمع القوت أو تهدم كيانه وكتب عليه الفناء والمحو من الوجود لقدم قدرة أفراده على الصمود فـــي مواجهـــة الظـــروف الصعبة التي تعرضوا لها في المراحل الأولى لمعيشتهم البدائية [١] .

وتشـــير كل الأدلة والوثائق التاريخية بأن الجماعات الإنسانية التي نجحت في دخول العصر الحجري الحديث وكونت أقدم المراكز الحضارية فـــي العالم القديم ، كانت جميعها في وديان الأنهار الشرقية الكبرى ، لأن هـــذه الوديان قد تميزت بالجو المعتدل وكانت بها أراضي صالحة للرعي والزراعة سهلت على أفراد هذه الجماعات القيام برعي المواشي والأغنام، وزراعة بعض المحاصيل الزراعية أي ساعدت أفراد هذه الجماعات على أن يذوقوا البشائر الأولى لطعم الاستقرار وأن يتحولوا من جامعين للقوت إلى منتجين لهذا القوت ، ولذلك شيدت الحضارات الأولى في العالم القديم بجـــانب نهـــر الـــنيل فـــي مصر ، ونهر دجلة والفرات في بلاد ما بين

---

(1) R.G. colling wood – the idea of History . 1939. oxford . pp 41 ets .

الـــنهرين ، ونهر السند في الهند ، ونهر الهوانج هو (النهر الأصفر) في الصين وجميع هذه الحضارات كانت في المناطق الشرقية ، لأن الجماعات الإنسانية التي كانت موجودة في القارة الأوربية لم تنجح في دخول اعتاب العصـــر الحجري الحديث إلا بعد ذلك بوقت طويل جدا يصل إلى حوالي ٥٠٠٠ ســـنة ، وكانت البداية الحضارية الأولى لهذه الجماعات فـــــي بلاد الإغريق ثم في روما (١) - ولذلك فإن العصر الحجري الحديـــــث قد بـــدأ كما يقول علماء الجيولوجيا منذ حوالي ١٠٠٠ سنـــــة قبل الميلاد فـــي الجماعات الإنسانية التي ظهرت في بعض مناطــــــــق الشرق ، ومـــن حوالـــي ٥٠٠٠ ســـنة قبل الميلاد في الجماعات الإنسانيـــــة التي ظهـــرت فـــي بعض المناطق الأوروبية بالقرب من حوض البحر الأبيض المتوسط (٢) .

ويقول علماء الانتربولوجيا ، بأن الجماعات الإنسانية التي ظهرت فـــي الشرق ودخلت أعتاب العصر الحجري الحديث وكونت أقدم المراكز الحضارية في العالم القديم ، وإن كانت قد سبقت الجماعات الأوروبية في هذا النجاح بما يزيد عن ٥٠٠٠ سنة ، إلا أن هذا السبق لا يعني مطلقا بأن كـــل هـــذه الجماعات الشرقية قد دخلت في وقت واحد أعتاب هذا العصر وإنمـــا بعض هذه الجماعات كانت لها البداية عن جماعات أخرى بأزمان

---

(1) Rolph linton . TREE of culture – op. cit – pp 207 ets .

(٢) د . عبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابـــــق – ص ٢٠ .

بعيدة [١] .... وفي ذلك يقول العالم الأمريكي رالف لنتون الأستاذ السابق للدراسات الانثروبولوجيه في الجامعات الأمريكية في مؤلفه (شجرة الحضارة) بأن [الجماعات الإنسانية التي انتشرت في مصر وبلاد ما بين النهرين هي أولى الجماعات التي نجحت بقدرة هائلة في دخول العصر الحجري الحديث وفي تكوين أقدم المراكز الحضارية في العالم القديم ، وأنه بعد ما يزيد عن ١٥٠٠ سنة استطاعت الجماعات التي انتشرت في وديان نهر السند في الهند وفي وديان نهر الهوانج هو [النحر الأصفر] في الصين أن تدخل هذا العصر وتشارك بقوة مصر وبلاد ما بين النهرين في صنع الجذور الأولى للحضارة العالمية في تاريخ الإنسانية – وأنه بعد ذلك بفترات طويلة دخلت جماعات أخرى وكونت حضارات في الشرق الأدنى مثل الفينيقيين والحثيين والفرس ... إلا أن هذه الحضارات بعضها قد ظهر مع حضارة الإغريق أو أعقبها والبعض الآخر قد ظهر مع حضارة الرومان ...] [٢] .

تفيد سجلات التاريخ بأن الجماعات التي وصلت أعتاب هذا العصر كان بسبب نجاح أفرادها في استئناس بعض الحيوانات وتربية بعض المواشي والأغنام والدواجن ، وفي استصلاح بعض الأراضي وزراعاتها بأساليب بدائية.ببعض المحاصيل الزراعية ، وأن هذا قد جعلهم يذوقوا

(١) د . فاروق العادلي ، د . سعد جمعه . الانثروبولوجيا مدخل اجتماعي وثقافي طبعة ٢٠٠٠م– كلية الآداب– جامعة القاهرة– ص ٢٦٥ وما بعدها .

(2) Ralph lintan – TREE of culture – op. cit – pp 210 ets .

البشائر الأولية لطعم الاستقرار في السهول الخصبة وحول الأنهار ويصبحوا لأول مرة منتجين للغذاء بعد ما كانوا يتجولون بصفة مستمرة وبجهد شاق من مكان لآخر في الوديان والجبال والأحراش والغابات من أجل جمع قوتهم اليومي في العصر السابق [١] .... هذا بالإضافة إلى أنهم استطاعوا أن يعتمدوا لأول مرة على عقولهم بجانب ما كانوا يملكونه من قوة عضلية فنجحوا في ابتكار بعض الآلات والمعدات من الأحجار والعظام المصقولة ومن بعض المعادن بعد أن اكتشفوا عمليات صهرها ، وهذه الآلات والمعدات قد ساعدتهم على فلاحة الأرض وتربية الماشية ، كما مكنتهم من تصنيع بعض الأواني الخشبية والفخارية اللازمة لأمور معيشتهم وساعدتهم أيضا في بناء مساكن لكي يقيموا فيها بعد أن أصبح لهم موقع ثابت استقروا فيه بدلا ما كانوا يقيمون في الكهوف والمخابئ أو في الأكواخ المصنوعة من القش والجريد ، وعلى أثر هذا التطور قد عرفوا لأول مرة نظام الملكية الخاصة للمنقولات بعد أن أصبح لديهم رزق وفير من الزراعة وتربية المواشي والأغنام والدواجن ، وابتكروا وسائل عديدة لتخزين ما كانوا ينتجونه من أجل الاحتياط للمستقبل ، أو من أجل إجراء مقايضة عليه بمنتجات أخرى يحتجونها في أمور معيشتهم – ثم عرفوا بعد ذلك نظام الحيازة الزراعية ، ثم نظام الملكية الخاصة للعقارات بداية بالأراضي الزراعية بعد أن شعر كلّ واحد منهم بحقه في البقاء بالأرض التي يحوزها لكي يزرعها على سبيل الدوام ويستأثر وحده بإنتاجها

(1) Lewis morgan – Ancient society – op . cit – pp 21 ets.

دون غير من أفراد الجماعة – وهذه الأوضاع المستحدثة قد نتج عنها حدوث تطور في حياة الجماعات خلال العصر الحجري الحديث في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وهذا التطور قد مكنهم من الوصول إلى حياة مجتمع المدنية ثم تكوين ممالك وإمارات ذات كيان سياسي مستقل دخلوا بها بعد ذلك العهود الأولى للعصور القديمة [١] .

وفي ضوء هذا التطور الحضاري غرست منذ بداية هذا العصر البذور الأولية لفكرة التعاهد بين الجماعات الإنسانية التي استقرت في مناطق معينة وكانت كل جماعة منها قريبة من الأخرى أو تتجاور معها في الحدود – ولا يضاح هذه الحقيقة سنعرض في هذا الباب من خلال ما توفر لدينا من معلومات تاريخية دراسة تفصيلية عن أهم العوامل التي ساعدت على تأسيس فكرة التعاهد في العصر الحجري الحديث ، ومهدت

---

(١) د . محمود السقا – تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية – مرجع سابق . ص ٣٠ وما بعدها .

- د . ثروت أنيس الأسيوطي – نظام الأسرة [بين الاقتصاد والدين – الجماعات البدائية] مرجع سابق – ص ٢٦ وما بعدها .
- فوستيل دي كولانج – المدنية العنيفة – ترجمة د . عباس بيومي – الطبعة الثالثة – ١٩٥٤ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ص ٦٣ وما بعدها .

لظهـــور أول تعـــاهد بدائي في تاريخ البشرية وبالتالي سنقسم دراستنا إلى فصلين على النحو التالي :

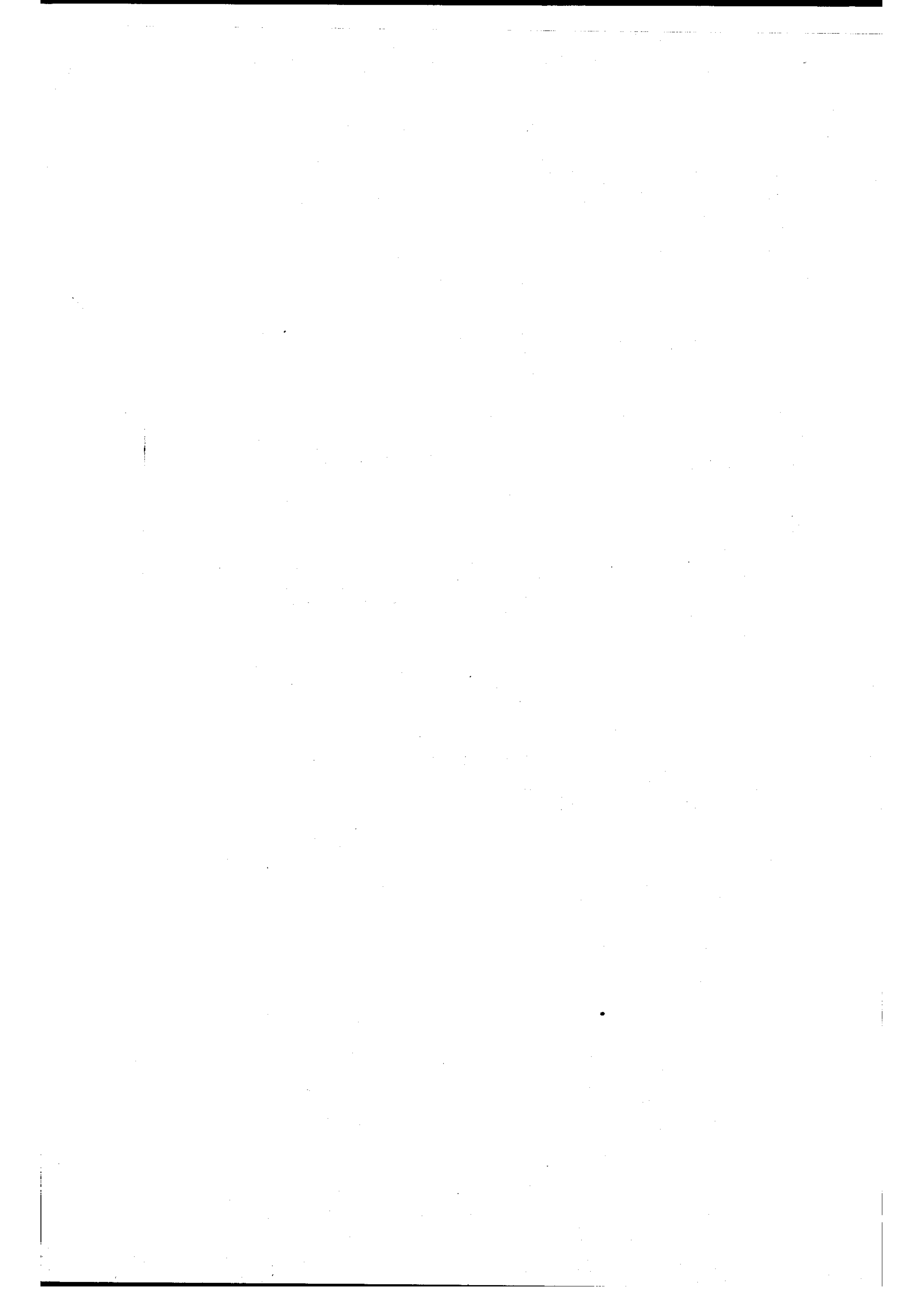
<u>الفصل الأول</u> : أهم العوامل التي ساعدت على تأسيس فكرة التعاهد في العصر الحجري الحديث ٠

<u>الفصل الثاني</u> : أثر هذه العوامل في ظهـــــور أول تعاهـــد بدائي في تاريخ البشرية ٠

الفصل الأول

أهم العوامل التي ساعدت على تأسيس فكرة التعاهد في العصـــر الحجـري الحديـث

****



تقديـــــم :

أن الــتطور الــذي حدث في الجماعات الإنسانية منذ بداية العصر الحجري الحديث - يرجع إلى عوامل عديدة - وهذه العوامل قد غيرت من شكل هذه الجماعات ومن كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي - فبعد مــا كــانت كل جماعة منها تتكون من عدد محدود من الأفراد الذين كانوا ينتقــلون بصفة دائمة ومستمرة من موقع إلى موقع آخر في صورة قطيع بشري من أجل جمع القوت ، قد ازداد عددهم ونظمت أوضاعهم واستقروا في مكان ثبات ومحدد في العصر الحجري الخديث - كما أخذوا يصعدون درجــات ســلم التطور ، ودخلوا في هيئة مدن كبرى مستقلة أو في شكل ممالك أو إمارات في العهود الأولى للعصور القديمة .

أن الوصـــول إلى عوامـــل تطور الجماعات الإنسانية في العصر الحجـــري الحديث قد جاء نتيجة كشف حقائق مستمرة من علوم كثيرة أو مســتخرجه مــن الجماعات المختزنة في المتاحف إلى جانب الاستنتاجات الحسية للعلماء والباحثين عن طبيعة الحياة في هذا العصر [١] - لا شك أن الــزمن الــبعيد جدا لهذا العصر وما حدث فيه من تأكل وانحلال قد جعل معرفة كل أصوله الحضارية آمر بالغ الصعوبة على أي شخص يحاول أن يــنظر إليــه بشكل مجرد بعيدا عن ما توصل إليه العلماء والباحثين لأن هؤلاء العلماء والباحثين في علوم الآثار هم الذين تمكنوا بعد جهد شاق من

---

(1) F. Keesing – cultural Anthropology – New york – 1958 – pp . 9 ets .

الوصــــول إلى هـــذه الحقـــائق مـــن خلال حفنات من الخــــــزف المهشم والأحجـــار المرســـومة وشطايا العظام الآدميــــــــة حيث اعتبروها هدية رفيعـــة لعـــلم الآثار ، وتوصلوا بها بعد الفحص الدقيق والدراســــــــة العميقـــة إلى تشـــخيص الجماعات الإنسانية التي نجحت في دخول عهود العصر الحجري الحديث ، واستعادوا بها بقدر الإمكان أهم الأصـــــــول الحضارية التي حققتها هذه الجماعات طوال أزمان هذا العصر - ذلك لأن أساس مثل هذه الأدلة القليلة يروى تاريخ حضارة هذه الجماعات من جديد لا عـــلى أنه رأى نظري ولكن بوصفه تفسيرا صحيحا لهذه الأدلـــة القليلة الـــتي صنعت في الأزمان السحيقة للعصر الحجري الحديــــــث وكتبت لهـــا البقاء والنجاة من هلاك التآكل والانحلال عبر ماضي زمن العصور الـــتي تلت هذا العصر والذي يتراوح أبعاده ما بين ٧٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة تقريبا (١) .

وفي ضوء ذلك ، فإذا كانت عوامل التطور التي غيرت شكل هذه الجماعـــات ، وجعـــلت حياتهـــا مستقرة خلال عهود هذا العصر هي التي أولدت الظروف وهيئت الأوضاع لغرس مفاهيم الأولية لبذور فكرة التعاهد وأن هـــذه العوامل عديدة ومتنوعة ، إلا أنه من استقراء حقائق هذا العصر يمكـــن تصـــنيفها وعـــرض أهـــم ملامحهـــا في أوجه النظم الاقتصادية والاجـــتماعية والسياســـية الـــتي ظهرت وطبقت داخل هذه الجماعات -

(1) Walter A. Fairservis – the origins of oriental civilization – op . cit – pp 5 ets .

ولتوضيح ذلك سنقسم دراستنا في هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

المبحث الأول : أهم العوامل الخاصة بالنظم الاقتصادية ·

المبحث الثاني : أهم العوامل الخاصة بالنظم الاجتماعية ·

المبحث الثالث : أهم العوامل الخاصة بالنظم الثقافية والدينية والأخلاقية ·

المبحث الرابع : أهم العوامل الخاصة بالنظم السياسية ·

المبحث الأول

أهم العوامل الخاصة بالنظم الاقتصادية

****

كـان لظهـور نظـام استئناس بعض الحيوانات وتربية المواشي والأغنام والدواجن في بداية هذا العصر – ثم أعقبه ظهور نظام استصلاح الأراضي وزراعتها بأساليب بدائية ببعض المحاصيل الزراعية ، أثر هائل فـي تطويـر الحيـاة الاقتصادية لأفراد الجماعات الإنسانية الذين نجحوا بجهودهـم فـي القيـام بهذه الأعمال ، حيث تحولوا من نظام جمع القوت اليومـي الذي كان يسبب لهم الخوف والقلق والجوع في العصر السابق ، إلى نظـام آخـر أكـثر اطمئنانا وأفضل استقراراً في هذا العصر بعد أن أصـبحوا منتجين للغذاء من أعمال الرعي والزراعة ، وبالتالي تمكنوا من الحصول على اللحوم والجلود من المواشي والأغنام التي قاموا بتربيتها بعد مـا كـانوا يلهـثوا بقسـوة وشقاء ورائها في الجبال والغابات والأحراش ليصطادوها ، وتوصلوا إلى معرفة استنبات التربة وجني بعض المحاصيل الـزراعية بعد ما كانوا يبحثون بعناء شديد عن الجذور والثمار والأعشاب التي تجود بها الطبيعة في المناطق المختلفة .

وهذا التحول قد ساعد على ظهور نظام الملكية الخاصة للمنقولات ثـم لـلعقارات ، وذلك بعد أن شعر كل فرد في الجماعة بحقه في الآلات والمعـدات والأواني التي قام بصنعها ، وفي المواشي والأغنام والدواجن التي قام بتربيتها وفي الحيوانات التي قام باستئناسها ، وفي قطعـة الأرض

التي اجتهد بعرقه في استصلاحها وقام بزراعتها على سبيل الدوام واستأثر لوحده بإنتاجها دون غيره من أفراد الجماعة [١] .

وصاحب ظهور نظام الملكية الخاصة لأفراد الجماعات ظهور نظام التخصص في الإنتاج الذي بلور بشكل أكثر أوجه الأنشطة الاقتصادية داخل كل جماعة ، لأن بعض الأفراد قد تخصصوا في أعمال الصيد أو الرعي والبعض الآخر قد تخصصوا في الزراعة أو في الصناعات والحرف اليدوية المختلفة مما أدى إلى تنوع الإنتاج وظهور عمليات التبادل أو المقايضة بين الأفراد التي بلورت بشكل واضح نظام التعاقد وإبرام أنواع عديد من العقود [٢] .

وقد كانت لهذه العوامل الاقتصادية أثر فعال في تطوير مفاهيم أفراد الجماعات بعد أن أحسوا بقيمتهم في الحياة بمدى قدرتهم في أن يحققوا لأنفسهم الأمان والاستقرار – وهذا قد أدى إلى تغير النظرة العدائية المستمرة بين أفراد كل جماعة وأخرى وضيق نطاقها إلى حد ما ، وغرس الجذور الأولية لمفاهيم الود والصفاء والتقارب التي أسهمت بشكل فعال في

---

(١) د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) د . عبد الناصر العطار – الوجيز في تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٦٠ .

انظر مؤلفنا عن مفهوم التعاقد في العصر الحجري القديم والحديث – مرجع سابق ص ١٠٢ وما بعدها .

ظهور فكرة التعاهد بين أي جماعة وأخرى لكي يسود بينهما سلام وترابط بدلا من العداء والاقتتال وتدمير أحدهما للأخرى كما كان سائد في العصر السابق ٠

وقد أكد ذلك جميع علماء الأنثروبولوجيا الذين اهتموا بدراسة الحياة الاقتصـــادية في الجماعات البدائية التي انتقلت من العصر الحجري القديم إلى العصـــر الحجري الحديث حيث أشاروا بأن [العوامل الاقتصادية التي طــورت حيـــاة الجماعـــات وجعلت أفرادها في العصر الحجري الحديث يشـــعروا بالأمان والاستقرار وبقدرتهم على إنتاج الطعام الذي يكفيهم أياما كـــثيرة بـــدلا ما كانوا يرتا بهم الخوف والفزع والقلق المستمر من خطر الجـــوع والعطـــش وهم يعتمدون فقط على الصدقة البحتة في جمع قوتهم اليومـــي في العصر الحجري القديم - قد ساعدت بفاعليه على فتح مفاهيم أفـــراد كـــل جماعـــة وتنمية إدراكهم في بعض أمور الحياة ، كما جعلتهم يهذبون سلوكهم وتصرفاتهم ويبتعدوا تدريجيا عن الاستخدام المستمر للقوة فـــي حل منازعاتهم ومشاكلهم ، وإن هذا قد أدى إلى تغير نظرتهم العدائية لأفراد أي جماعة أخرى وأولد في نفوسهم شعور بالود والتقارب معهم بدلا مـــا كـــانت نفوسهم في العصر السابق مليئة فقط بالحق والكراهية والعداء الدائم نحوهم والاندفاع نحو سفك دمائهم لاتفه الأسباب أو لإرضاء إحساس أجـــوف بـــالقوة والفخر ٠٠٠ وإن هذا الشعور الجديد الذي عبر عن أول أســـس الـــتعايش الســـلمي هـــو الذي ساعد على إقامة علاقات عديدة بين الجماعات الإنسانية في عضون أزمان العصر الحجري الحديث ٠٠][١] ٠

---

(١) د ٠ فـــاروق العـــادلي ، د ٠ ســـعد جمعه - الانثروبولوجيا مدخل اجتماعي وثقافي مرجع سابق - ص ٢٦٦ - ٢٧٠ ٠

المبحث الثاني
العوامل الخاصة بالنظم الاجتماعية

****

حدثـــت تغيـــرات في البناء الاجتماعي الخاص بكل جماعة دخلت أعـــتاب العصر الحجري الحديث ، حيث تطورت العلاقات التي تربط بين الأفـــراد وأصـــبحت تميل إلى الود والتقارب والجنوح نحو السلام والخير وذلك بعد أن ذاقوا البشائر الأولى لطعم الاستقرار وهجروا حياة الترحل ، وأصـــبحوا يملكون رزق وفير يؤمن حياتهم ومستقبلهم ، هذا رغم انقسام أفـــراد الجماعة لأول مرة في هذا العصر إلى أغنياء وفقراء نتيجة لظهور نظـــام المـــلكية الخاصة حيث أصبح الأغنياء فقط هم المالكون للمنقولات والعقارات ، والفقراء لا يملكون شيئا ، ومع أتساع هذه الفجوة ظهر أيضا لأول مرة نظام تعدد الطبقات ونظام الرق الذي جعل أفراد الجماعة عبارة عـــن أحـــرار وعبيد ، والأحرار انقسموا إلى أشراف وعامة وذلك بعد ما كـــانوا جميعا أحرار ومتساوين تماما في الحقوق والواجبات خلال العصر السابـــق [١] .

والعوامل الأساسية التي ساعدت على أحداث هذا التطور في البناء الاجتماعي الخاص بكل جماعة يتلخص أهمها في الآتي :

١ - ظهـــور كيان ثابت للجماعة في منطقة معينة ومحددة المعالم

---

(1) C. winck – Dicticonary aF Anfhropology- paterson (U.S.A) 1961 – P 315 .

والحدود ، وهذا أعطى رؤية واضحة على ارتكازها واستمرار وجودها ، بعدمـــا كـــانت تتـــنقل مـــن مكان لمكان بحثا عن جمع القوت في العصر السابـــق .

٢ - حـــدوث تـــزايد في الروابط الاجتماعية بين أفراد الجماعة نـــتيجة لبلورة نظام الأسرة ونظام القرابة ونظام المصاهرة وهذا التزايد قد ســـاعد على تدعيم روابط الأخوة والود والمحبة بين الأفراد وجعلهم أكثر تماسكا داخل الجماعة .

٣ - ظهر تنوع بين الأفراد في العمل والمهام الاجتماعية الأخرى حيـــث أصـــبح يوجد بينهم الراعي والمزارع والصانع والبناء والمحارب .... إلـــخ ، وذلـــك بعـــد مـــا كانوا جميعا في العصر السابق ذو مهام اجتماعية واحدة ويؤدون عمل واحد هو جمع القوت اليومي من أجل إنقاذ حياتهم من هلاك الجوع والعطش [1] .

٤ - ظهـــور نظام تهذيب القوة منذ بداية هذا العصر ، حيث عدل أفـــراد كل جماعة عن اللجوء المستمر إلى استخدام القوة التي جرتهم إلى سفك الدماء والخراب والدمار بعد أن ذاقوا طعم الاستقرار وأصبحت لديهم

---

(1) F.Kessing – cultural Anthropology- New york – 1958 – p. 32 .
- E. pritchard – cultural Anthropology – oxford – 1940 – pp 39 – 41 .
- R. Brown – structure and function in primitive society – london – 1952 – pp 191 – 192 .

ممتلكات ومصالح يخشوا عليها من الفقد والهلاك واتجهوا تدريجيا إلى هذا النظام القائم على التصالح والتحكيم من أجل حصر القوة في أضيق نطاق وتشـــخيص العقوبـــة والاقـــتراب من دائرة العدل في حل المشاكل وإنهاء المنازعات التي كانت تنشب بينهم – وهذا النظام الجديد الذي يمثل المرحلة الثانية من مراحل ظهور القانون قد تبلور مفهومه بفضل ما ظهر من نفوذ لرؤســـاء الجماعـــات على الأفراد (كما سنرى بعد ذلك) من أجل حقن الدماء وتضيق دائرة الانتقام التي كانت تتسع دائما في العصر السابق نتيجة الاعتماد المستمر على القوة فقط كمصدر لاكتساب الحق وحمايته وكوسيلة وحيـــدة لحل المشاكل والمنازعات مهما كانت درجة أهميتها [١] – ونظام تهذيـــب القوة يعتبر من أهم العوامل التي ساهمت بفاعلية في غرس بذور مفاهيم فكرة التعاهد وفي ظهور أول تعاهد في تاريخ البشرية (كما سنرى فيما بعد) ٠

مـــن أثـــر تبـــلور مفهوم العقيدة الدينية في هذا العصر ، واعتبار

---

(١) د ٠ محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٨٢ ، ٨٣ ٠

د ٠ صـــوفي أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٦٩ ، ص ٧٨ ٠

د ٠ عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – مرجع سابق – ص ٣٣ ص ٣٤ ٠

- Gaston may – intraduction a la science du droit - paris – 1932 – pp 53 ets .

الكهـنة فـي نظر أفراد الجماعات بأنهم رسل أو مبعوثي الآلة لهدايتهم أو بـأنهم الوسـطاء الذيـن ينقلون لهم تعاليم وأوامر ونواهي الآلة ... فقد اتجهـوا إليهم يعرضون عليهم منازعاتهم ومشاكلهم بدلا من استخدام القوة أو مـن اللجوء إلى نظام التصالح والتحكيم ، واستمر هذا الوضع إلى أن أصـبح الاحـتكام إلى الكهـنة في كافة المنازعات بداية من منتصف هذا العصـر أمرا شائعاً وواجبا على أفراد الجماعة ، وبالرغم من أن الأحكام الـتي كان يصدرها الكهنة للفصل في المنازعات التي كانت تعرض عليهم لم تخرج عن كونها اجتهادات شخصية من جانبهم فقط ، إلا أن الأفراد قد اعتبروا هذه الأحكام عبارة عن أحكام إلهية مقدسة ، ولذا التزموا بتنفيذها خشـية أن تغضب عليهم الألهة – وبالتالي انتقلت الجماعات منذ منتصف هـذا العصر من مرحلة تهذيب القوة إلى مرحلة أخرى جديدة هي مرحلة الـتقاليد الدينية أو القواعد الدينية التي تمثل في نظر علماء تاريخ القانون المرحلة الثالثة من مراحل ظهور فكرة القانون .

ونـتيجة لـتواتر الأحكام الإلهية في المنازعات المتشابهة وظهور عـادات وتقاليد أخذت طابع ملزم في علاقات إفراد الجماعات ، ظهر مع نهايـة هـذا العصـر ودخـول أبواب العصور القديمة العرف الذي يمثل المرحـلة الـرابعة لظهـور القانون وهي أهم المراحل التي تبلورت فيها بوضوح قواعد القانون [١] .

---

(١) مؤلفنا : المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع – مرجع سابق ص .

وممـــا لا شك فيه أن كل مرحلة من مراحل ظهور القانون كان لها دور فعال في ظهور فكرة التعاهد خلال هذا العصر ٠

٥ - ظهور تكتلات أسرية ومهنية مثلت وحدات اجتماعية مختلفة داخــل كل جماعة ، وهذه التكتلات قد أحدثت توازن في القوى وفرضت ســمات وأنماط ، وسلوك اجتماعي يميل إلى دوام السلم والترابط المستمر القـــائم عــلى الود والتسامح من أجل صيانة المصالح الخاصة بها والعمل عــلى تــزايدها مــن خلال تنمية العلاقات الاجتماعية القائمة بينها [1] في نواحي عديدة ٠

هــذه هــي أهــم العوامل الخاصة بالنظم الاجتماعية التي ساهمت بفاعلية في بلورة المفاهيم التي قامت بغرس البذور الأولى لفكرة التعاهد ، وظهور أول تعاهد في تاريخ الإنسانية في العصر الحجري الحديث ٠

---

(1) Leslie white – An Anti – Evolutionist fallacy – op . cit – p. 28 .

المبحث الثالث
العوامل الخاصة بالنظم الثقافية والدينية والأخلاقية

****

تطـورت صفات ومهارات أفراد الجماعات في الفنون وفي التقدم الفكري والعلمي وفي البناء القيمي والأخلاقي والديني في العصر الحجري الحديث وذلك نتيجة ظهور عوامل عديدة أهمها يتلخص في الآتي :

١ - اكتسـاب أفـراد كل جماعة أنماط وسمات ثقافية كانت غير موجـودة مـن قـبل فـي العصر الحجري القديم نتيجة لظهور أوضاع واحتياجات جديدة أشعلت فكرهم وهيئت لهم البدايات الأولية للحصول على المعـرفة والـتوجه نحـو أعمال الفن والابتكار لمسايرة المتطلبات التي اسـتحدثت فـي حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا قد ساعد على نمو إدراكهـم ودفعهم لكشف المزيد من أسرار الطبيعة وحقيقة الوجود البشري من أجل تحقيق معيشة أفضل لهم بصفة دائمة ومستمرة (١) .

٢ - تبـلور مفهـوم العقـائد الديـنية والقيم الأخلاقية عند أفراد الجماعـات الإنسـانية خلال هذا العصر ٠ لأن المفاهيم الدينية والأخلاقية إلتي كانت سائدة في العصر السابق ، كانت تأخذ في الغالب الصفة الفردية

---

(١) د ٠ مصـطفى الخشاب – دعائم علم الاجتماع وحقائقه – مطبعة لجنة البيان العربي – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٥٨ – ص ١٥٠ وما بعدها ٠

– ما كيفر – المجتمع – مرجع سابق – ص ١١٥ وما بعدها ٠

وتقــوم عــلى الخوف والرهبة – أما في هذا العصر فقد تبلورت وأخذت نطــاق أوسع قام على الصفة الجماعية المتحلية بالورع والتقوى ، وأصبح لكــل جماعــة رجــال ديــن أطلق عليهم الكهنة ، تزعموا إقامة الطقوس والشــعائر الدينية واهتموا بغرس مبادئ العقيدة والقيم الروحية والأخلاقية فــي نفــوس الأفراد ، ورغم أنهم قد أضروا بالناس قديما حيث احتكروا ضــروب المعرفة ، ورسخوا الخرافات والجدل في عقولهم ، إلا أنه يرجع إليهم الفضل في الحد من استخدام القوة وتضيق دائرة الانتقام ، وفي تلقين الأفــراد أمور العلم والمعرفة مع تهذيب سلوكهم – ولذلك فقد كانوا موئلا للتراث الثقافي المتزايد ، وعزاء للضعيف إمام القوى ، والعامل الفعال في بــناء الأخلاق الشخصية للإنسان ، وفي تكوين أخلاق الجماعة على القيم والمــبادئ المستمدة من الواجب والفضيلة المقررة في العقيدة الدينية التي تولوا أمورها ، وغرسوا أصولها في نفوس الأفراد [١] .

وعــلى هــذا الأســاس كان للعقائد الدينية وما بها من قيم ومبادئ

---

(١) د ٠ محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٤٤ وما بعدها .

د ٠ صوفي أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – مرجع سابق ص ٩٦ .

د ٠ أحمــد الخشاب – دراسات في النظم الاجتماعية – طبعة ١٩٥٨ – مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٣٦٤ .

د ٠ إبــراهيم أبو الغاز – علم الاجتماع القانوني – ١٩٧٨ – دار المعارف – بالقاهرة ص ١٩١ .

روحيـــة وأخلاقية دور هام جدا خلال هذا العصر في تدعيم كيان الجماعة واســتقرارها ، وفي توحيد رموز الإخلاص والولاء والثقة والقيم المقدسة بيــن كل أفرادها [١] • وهذا قد ساعد وبدور فعال جدا على ظهور وبلورة فكــرة الــتعاهد بيــن كل جماعة إنسانية وأخرى خلال العصر الحجري الحديث •

٣ - ظهــور بــوادر أوليـــة لفكر فلسفي من جانب بعض أفراد الجماعات التي كانت أكثر تطورا في النظم الحضارية المختلفة خلال هذا العصر وعلى الأخص التي كانت تتمركز في مصر وبلاد ما بين النهرين والهــند والصين - يعبر بصدق وبوضوح على إن الإنسانية طبيعة واحدة وجســد واحــد وروح واحدة ، وجذور الحياة نمت على روابط من الوفاء والإخـــلاص والمحبة ، وإن العيش في ود وسلام واتحاد أخوي هو أساس الوجــود البشـــري في هذا العالم الفسيح [٢] ، وهذا قد دعم بفاعلية ظهور مفهوم التعاهد في هذا العصر •

وفـــي ضـــوء ذلــك كانت للعوامل الخاصة بالنظم الثقافية والدينية والأخلاقية دور هام في بلورة فكر وإدراك الأفراد نحو ظهور مفهوم فكرة التعاهد بين الجماعات الإنسانية خلال أزمان العصر الحجري الحديث •

---

(1) Ralph Linton – tree of culture – op . cit – pp 91 ets .

- ما كيفر – المجتمع – مرجع سابق – ص ٢٣٣ •

(2) Henry thomas – the Great philosophers – op. cit – pp 7 ets .

المبحث الرابع

العوامل الخاصة بالنظم السياسية

****

ظهــرت عوامل هامة ساعدت على نمو الوعي السياسي لدى أفراد الجماعــات خــلال هذا العصر بعد ما كانوا لا يدركون شيئا عن أي نظم سياسية في العصر السابق – الأمر الذي أسهم بفاعليه في بلورة مفاهيمهم السياســية التي مهدت السبل لظهور فكرة التعاهد في هذا العصر ٠ وهذه العوامل وإن كانت عديدة إلا أن أهمها يتلخص في الآتي :

١ – إذا كان بعض العلماء والمؤرخين يشيرون في مؤلفاتهم بأنه فــي العهد الأخير للعصر الحجري القديم قد ظهر لكل جماعة رئيس يدير شــئون أفرادها ويدبر أمورهم [١] إلا أن الحقائق المؤكدة التي استدل عليها مــن بعــض الآثار التي خلفتها جماعات هذا العصر وعلى الأخص التي كــانت توجــد في الشرق الأوسط وجنوب شرق أسيا تفيد بأن هذا الرئيس كان عبارة عن شيخ أو زعيم يتم تعينه بالاختيار أما لكبر سنة أو لقوته أو لحكمته أو لمهارته في جلب الرزق لكي ينظم (شئون أفراد الجماعة فقط دون أن تكون له أي سلطة أو نفوذ) عليهم أو يتمتع بأي مكانة أو بأي ميزة معينة ، كما كان غير متفرغ وإنما يعمل لجمع قوته اليومي مثل باقي أفراد الجماعــة ، وذلك لأن مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات كان هو السائد

---

(1) H.L.Movius – Early : Man and pleistacene stratigraphy in southern and eastern Asia – Harvard university – 1944- p. 21 .

حتى ذلك الوقت بين كل أفراد الجماعة - وبالتالي لا يمثل ظهور هذا الرئيس البداية الأولية لميلاد السلطة المركزية وإن كان يمثل النواة الأولى لها ، لأن وظيفته اقتصرت فقط على تنظيم أمور الأفراد في عمليات جمع القوت وفي انتقالهم من مكان لمكان آخر دون أن يكون له نفوذ أو سلطة عليهم كما كان في بعض الأحيان يتولى رئاسة بعض الطقوس الدينية بعد انتشار فكرة التوتم وعبادة الاسلاف داخل الجماعات في ذلك الوقت دون أن تكون له أيضا أي سلطة دينية أو كان يأخذ صفة الكاهن الأكبر أو الأعظم داخل الجماعة - وبذلك كانت السلطة الزمنية والدينية غير موجودة بفاعلية خلال العصر الحجري القديم [١] .

أما مع بداية العصر الحجري الحديث بعد تبلور نظام الرعي وظهور البوادر الأولية للزراعة قد أصبح لهذا الرئيس الذي كان يتم اختياره أيضا على أساس قوته المادية أو الفكرية سلطة ونفوذ حيث استطاع بجانب توزيعه للعمل على الأفراد أن يضع الأطر العامة للنظام داخل الجماعة ليحافظ على أمنها وسلامتها ، ويعاقب كل من يخرج على تقاليدها ومعتقداتها أو يهدد مصالحها العليا ، كما كان له دور فعال في نشر نظام تهذيب القوة من أجل حقن الدماء وتضييق دائرة الانتقام بين أفراد الجماعة التي كانت تتسع دائما في العصر السابق وتؤدي في أغلب الأحيان إلى الهلاك والدمار - وهذا الوضع الجديد لرئيس الجماعة قد جعل الأفراد

---

(1) R.G. Gettell . political science – New York – 1947 – pp. 61 – 63 .

يعرفون المفاهيم الأولية لفكرة التنظيم السياسي وبأن الجماعة التي ينتمون إليهـا تشـكل أمـام الجماعات الأخرى وحدة مستقلة سياسيا واقتصاديـا واجتماعيـا [١] .

٢ - ظهـور شعور بين أفراد كل جماعة بأن لهم كيان مميز عن الجماعات الأخرى ، وهذا الشعور قد دفعهم بقوة نحو الترابط وحب الولاء لكيـان الجماعة ككل ليكونوا أكثر تماسكا من العصر السابق ، كمـا بـلور مفـاهيمهم نحـو ضرورة الوفاء بكل ما يساعد على تدعيم تطور الجماعـة والتضـحية بكـل ما يملكون من أجل بقائها واستمرار وجودها ويعتبر هذا الشعور هو النواة الأولى لفكرة القومية والانتماء الوطني لشعب الدولـة [٢] .

٣ - تولـد إحسـاس عـند أفـراد كل جماعة بأن من حق أفراد الجماعات الأخرى أن يعيشوا في أمن وسلام واستقرار مثلهم ، وأن يكون لهـم وجود فعلي وكيان مستقل ، وهذا الإحساس يمثل طفرة هائلة في فكر أفـراد الجماعـات خـلال هذا العصر بعد ما كانت نظرة العداء هي التي تسـيطر عـلى مفـاهيمهم في العصر السابق [٣] - كما أن هذا الإحساس

---

(1) F. Fukuyama – the END of Histary AND the last Man-op . cit – pp 144 – 146 .

(٢) د . عـبد الحميـد متولي – أصل نشأة الدولة – مرجع سابـق – ص ٧٠٢ وما بعدها .

(٣) د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ١٣ وما بعدها .

==

البدائي يعتبره بعض فقهاء القانون الدولي والمتخصصين في علم السياسية هو النواة الأولى لمفهوم الاعتراف الدولي الذي ظهرت له صور عديدة في العصور الحديثة [١] ٠

وفـــي ضوء ذلك يتضح أن هذه العوامل قد وضعت الأطر الأولية لبـــلورة الفكر السياسي عند أفراد الجماعات وهذا قد ساعد أيضا وبفاعلية على ظهور فكرة التعاهد في هذا العصر ٠ وجعلها تخرج إلى خير الوجود بين كل جماعة وأخرى ٠

= د ٠ زكـــي عبد المتعال – تاريخ النظم السياسية والقانونية والاقتصادية – مرجع سابق – ص ٨ وما بعدها ٠

د ٠ بطرس بطرس غالي ، د ٠ خيري عيسى – المدخل في علم السياسية – مرجع سابق ص ٣٧٨ وما بعدها ٠

(1) R.G. Gettell . political science – op . cit – p 72 .

الفصل الثاني

****

التعاهد البدائي الأول
في
تاريخ البشرية

تقديـــم :

فكرة هذا التعاهد البدائي الأول هي اجتهاد شخص تم الاهتداء إليها مـــن خلال استقراء واقع تاريخ الجماعات الإنسانية التي نجحت في دخول العصـــر الحجـــري الحديث إلى جانب الاستناد على ما توصل إليه علماء الانـــثروبولوجيا مـــن معلومات عن طبيعة حياة أفراد هذه الجماعات وهم يذوقـــوا لأول مـــرة بشائر طعم الاستقرار بعد أن خطوا خطوة واسعة في ميادين الرقي والتقدم وهجروا حياة الصحراء والجبال والغابات والأحراش واتجهـــوا إلى حيـــاة الـــوادي ، وبدأوا يألفوا الحياة بجوار ضفاف الأنهار واســـتغلوا أراضيها الخصبة في أعمال الرعي واستئناس بعض الحيوانات ثم بتمهيد تربتها وزراعتها ببعض المحاصيل الزراعية ، وبنوا منازل من فروع النباتات والطمي ليسكنوا فيها ، وصنعوا أدوات وآلات من الأحجار والعظام بعد صقلها ، واتقنوا صناعة الفخار ، ونسجوا من أصواف الأغنام أرديـــة بعـــد ما كانوا يتخذوا فقط من جلودها لباسا – وبالتالي انتقلوا نقله كبيرة غيرت وطورت صور حياتهم الإنسانية [١] .

هـــذا بالإضافة إلى استنادنا على ما هو مغروس في طبيعة الإنسان بأنه اجتماعي بطبعة ولا يستطيع أن يعيش بمفرده أي بمعزل عن الأخرين وأنه مفطور على الخير ويحب دائما العيش في أمان وسلام واستقرار ولا

---

(1) P. Mammand – cultural and social Anthropoloyy – op . cit pp 71 ets .
- J. Gras – Anthropology and Economics – op . cit – pp 141 ets .

يجنح إلى الشر إلا لظروف وعوامل خارجية تفرض عليه وبعيدة تماما عن أصل فطرته وذلك تصديقا لقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريـــم : **﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم .... ﴾** [١].

ولقوله أيضا جل شأنه **﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾** [٢] ، وأيضا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال [كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه] ومعنى ذلك أن كل إنسان قد ولـد وفطرته طاهرة ومليئة بالأيمان الحق والأخلاق الفاضلـــة أي ولـد وفطرته مطبوعة على الخير والأيمان وغير ملوثة على الإطـــلاق بـأي عـامل من عوامل الشر ، وبالتالي لا يجنح إلى ارتكاب أي شر إلا نـتيجة عوامـل خارجيـة فاسـدة تدفعه لذلك وهي بعيدة تماما عن أصل طبيعتـــه [٣] .

---

(١) سورة التين – الآية ٤ .

(٢) سورة الروم – الآية ٣٩ .

(٣) الشـيخ عبد الجواد رجب – مع الله [نظرات في الكون والحياة] تقديم الشيخ محمـد الغزالي – الطبعة الثانية ١٩٧٤ – دار الاعتصام بالقاهرة – ص ٣٨ وما بعدها .

د . محمد بيصار – العقيدة والأخلاق – وأثرهما في حياة الفرد والمجتمـع – الطـبعة الـثانية ١٩٧٢ – مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

ولذلـــك فإذا نجح أفراد كل جماعة إنسانية في الانتقال إلى العصر الحجري الحديث وتغيرت ظروفهم من القلق والخوف والفزع وشقاء جمع القــوت ، وذاقــوا لأول مرة طعم الأمان والاستقرار، لابد أن يعودوا إلى أصـــل طبيعــتهم المفطورة على الخير وتتغير نظرتهم العدائية نحو أفراد الجماعـــات الأخرى التي كانت سائدة في العصر السابق إلى نظرة أخرى تميـــل على الأقل إلى المهادنة والحد من الاستخدام المستمر للقوة للابتعاد بقدر الإمكان عن الاقتتال وسفك الدماء في إنهاء المشاكل والمنازعات التي كانت تنشب بينهم (١) – وهذا قد أكده جميع الفلاسفة الذين يؤمنون بمذهب الفطــرة الخيرة على مر العصور المختلفة مثل في العصور القديمة [بتاح حتب واخناتون في مصر الفرعونية ، وبوذا في الهند ، وزرادشت في بلاد الفرس ، وكونفوشيوس في الصين ، وسقراط وأنصار الفلسفة الرواقية في بـــلاد الاغــريق ، والامـــبراطور ماركوس أوريليوس في روما] – وفي العصـــور الوسطى مثل [القديس توما الأكويني] ، وفي العصور الحديثة مـــثل فراسيس بيكون وباروخ سبينورا ، وولت وتمان ••• ، وجاك جاك روسو الذي عبر عن ذلك بوضوح دافع في الفكر الفلسفي المعاصر عندما قـــرر صـــراحة [بـــأن الإنسان خير بطبعة ولكن بيئته غير الطبيعية هي وحدها التي تجعل منه شريرا ••• ولهذا فالناس جميعا خيرون إذا تركوا عـــلى سجيتهم ••• فإذا أعطى لاحد منهم شيئا يسد به رمقة فلن نجد منه

---

(1) F. Fukuyama – the END of History AND the last Man – op . cit – p . 144 .

إلا صديقا وحبيبا لجميع أقرانه ......] [1] .

ومــع وجــود هذه القرائن التي لا يوجد ما يجحدها برأي واضح وصــريح وخالي من الأفكار الخاصة البعيدة عن أصل الطبيعة البشرية ، إلى جــانب الــنظر بموضــوعية وعمق للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والأخلاقية التي استجدت في هذا العصر وسبق الإشــارة إليهــا ، والتي جعلت كل جماعة تأخذ في البداية هيكل القبيلة أو العشــيرة ، وتشكل كيان فعلي مستقل أمام الجماعات الأخرى ، ويكون لها مكــان ثــابت ومحــدد المعالم تمارس عليه سيادتها ونشاطها الاقتصادي والاجــتماعي والسياسي بعد ما كانت غير مستقرة وتتحرك دائما من مكان لآخر في هيئة قطيع بشري من أجل جمع القوت اليومي في العصر السابق كما يكون لها رئيس له سلطة ونفوذ على أفرادها بعد أن أدركوا لأول مرة المفــاهيم الأوليــة لفكرة التنظيم السياسي ، نجد أن هذه العوامل هي التي مهدت أولا لفتح الطريق أمام مرحلة تهذيب القوة لكي تظهر وتطبق داخل كل جماعة بصور التصالح والتحكيم للحد من اللجوء المستمر إلى استخدام

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – p 257.

- مؤلفنا – التفسيرات الأولية لدوافع السلوك الإجرامي في العصور القديمة • طبعة ٢٠٠١ – القاهرة – ص ٧٩ وما بعدها .... وأيضا :
- مفهوم التعاقد في العصر الحجري القديم والحديث – مرجع سابق – ص ٧٢ وما بعدها .... وايضا :
- أصول الأخلاق الدولية – طبعة ١٩٩١ – مكتبة الانجلو المصرية – ص ٢٥ وما بعدها •

القـوة وتضـيق دائرة الانتقام والاقتراب نحو شخصية العقوبة والعدل كما أنها هي التي ساعدت على إيقاظ مفاهيم الود والتقارب والتسامح والروابط الاجـتماعية الأخـرى الموجودة في طبيعة أفراد هذه الجماعات وجعلتها تخـرج إلى حيز الوجود الفعلي والملموس بعد ما كانت كامنة داخلهم (١) ، وغيرت بالتالي النظرة العدائية التي كانت موجودة في العصر السابق بين أفـراد كل جماعة وأخرى وجعلتها تميل في البداية إلى المهادنة وتجنب ما يشعل الاقتتال وسفك الدماء بينهم (٢) .

فإنـه فـي ضـوء ذلك قد أخذت كل جماعة تبحث بأفكار أفرادها الـبدائية عـن الوسـيلة التي تجعلها تعيش في أمان وسلام واستقرار مع الجماعـات الأخرى وعلى الأخص التي تقطن في مناطق تجاور حدودها لكي تحافظ على ما حققته من مكاسب .. ومع استمرار هذا البحث ووجود رئيـس لهـا أصـبح يملك سلطة ونفوذ على أفرادها ويمثل البداية الفعلية لظهور السلطة المركزية نرى أنه قد غرست البذور الأولية لمفاهيم التعاهد ونمـت بعد فترة انتشار نظام التصالح والتحكيم الفكرة الأولى لميلاد أول تعاهد في تاريخ البشرية في التسلسل الآتي :

** بعد أن طبقت مرحلة تهذيب القوة وترتب عليها تبلور مفهوم نظام

---

(1) D.Lerner – the passing of traditional soceity – the free press – New york – 1958 – p 18 .

(٢) د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـق – ص ٦٨ .

التصـــالح والتحكيم داخل كل جماعة بفضل نفوذ رؤسائها على الأفراد من أجل حقن الدماء ، وتضيق دائرة الانتقام التي كانت تتسع دائما في العصر الســـابق نــتيجة الاعــتماد الدائـــم على استخدام القوة فقط كمصدر للحق وكوســيلة لحــل المشاكل والمنازعات – وتبين باليقين بأن هذا النظام هو أكـــثر عدلا وحكمه ويوفر إلى حد ما أول الملامح الفعلية للأمان والسلام والاســتقرار [١] – فقــد وجـــدت كل جماعة بعد تغير نظرتها العدائية أنه أفضـــل وســـيلة يمكن الاستناد عليها لتحقيق مهادنة وسبل أولية للسلام مع الجماعات الأخرى [٢] .

وحيث أن صور نظام التصالح والتحكيم التي عرفت في الجماعات الإنسانية خلال تطبيق مرحلة تهذيب القوة كانت عديدة وتهدف جميعها إلى تضيق دائرة الانتقام والاتجاه نحو شخصية العقوبة ، إلا أن أهمها انتشارا كما هو ثابت في سجلات التاريخ تمثل في صور خلع الجاني تسليم الجاني والقصاص والدية في نظام التصالح ، وصور الاحتكام إلى قوة الخصمين أو لمهارة الخصمين والصدقة والبحتة والمحنة في نظام التحكيم .

فقــد تـــبين إمام هذه الجماعات في خطواتها الأولى نحو سلوك نبذ القوة أن أفضل صور لتحقيق المهادنة بينهما هي صور التصالـــــح لأنها

---

(١) د . عبد السلام الترمانيني – محاضرات في تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٤٥ .

(2) Gastan may – intraduction à la science du droit – op . cit – p 61 .

تصلح للتطبيق على المستوي الفردي وعلى المستوى الجماعي كما يمكن تطبيقها في حل أو إنهاء أي منازعات مدنية أو جنائية – في حين كانت صور التحكيم يغلب تطبيقها على المستوى الفردي وفي منازعات المدنية أكثر من المنازعات الجنائية في ذلك الوقت (١) .

من هذا المنطلق ظهر بعد أن غرست مفاهيم التعاهد من أثر القرائن والعوامل السابق – ميلاد أو تعاهد في تاريخ البشرية ، حيث قام بعض رؤساء الجماعات بإبرامه في مضمون إحدى صور من صور التصالح من أجل الكف عن الاقتتال وسفك الدماء وتوفير سبل لتحقيق السلام بينهم – وعلى هذا الأساس تعتبر تطبيق بعض صور التصالح هي الخطوة الأولى للتقارب السلمي بين الجماعات ، ويمثل في ذات الوقت بداية ظهور المفاهيم الأولية لفكرة التعاهد في العصر الحجري الحديث بعد ميلاد هذا التعاهد البدائي الأول الذي أخذ صور من نظام التصالح لتطبيقها بين جماعة وأخرى – وذلك لأن هذا التعاهد قد قرب مفاهيم أفرادهما نحو الود والتسامح ، واحتواء الأزمات التي كانت تشغل الحرب بينهما في عهود العصر السابق ، وذلك من خلال الاستناد على هذا التعاهد في حل المنازعات التي كانت تحدث بينهما بأساليب تتوافر فيهما إلى حد ما العقل والحكمة وبمفهوم شخصية العقوبة بدلا من الانتقام الجماعي الذي كان يطبق من قبل ويؤدي في معظم الأحيان إلى الخراب

(1) R.G. colling wood – the idea of History – op . cit – pp 122 ets .

والدمار ومحو أحدهما للأخرى [١] .

** صور التصالح التي طبقت في شكل تعاهد بين جماعة وأخرى قد اقتصرت في البداية على صورة خلع الجاني ، وتسليم الجاني وهي على النحو التالي :

نظام التعاهد على خلع الجاني :

وكان يتم بأن يتعاهد رئيس أي جماعة مع رئيس جماعة أخرى أو أكـثر ، بأن يقوم كل منهم بطرد أحد أفراد جماعته إذا قام بالاعتداء على أحد أفراد الجماعة الأخرى المتعاهد معها - لكي تتبرأ منه جماعته وتقطع كـل صـلتها به وتتخلى عنه تماما وعن حمايته ، حتى لا تتحمل مسئولية اعـتدائه التي كانت ستجرها حتما إلى حرب انتقامية تعلنها عليها جماعة المعتدي عليه .

وبالتالي يصبح الجاني طريدا لا جماعة تحميه ، ويقع تحت رحمة المجـني عـليه أو جماعـته ليقتص منه نتيجة ما فعله، وحيث توجد أدلة تاريخيـة عديدة تثبت بأن جماعة المعتدي عليه كانت تهدأ ثروتها تماما ، ويشـفى غليل انتقامها من كل أفراد جماعة المعتدي بمجرد أن تقتص من الجـاني وحـده بعد طرده [٢] - فإن ذلك يؤكد بأن كل جماعة متعاهدة قد

---

(1) Gohn Mouler – Reteeat from the obsolescence of majar war – Basic Books – New york – 1958 – p 170 .

(٢) د . صوفي أبو طالب . مبادئ تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ٧٠ وما بعدها .

التزمت بهذا التعاهد واحترمت مضمونة ، ولذا كان لا يجوز لجماعة المعتدي عليه بعد طرد الجاني أن تقوم بالاعتداء على جماعته بإدعاء الانتقام وغسل العار ، مادامت قد تعاهدت معها من قبل على نظام طرد الجاني – وإذا حدث أن تجرأت وقامت بهذا الاعتداء تكون قد أخلت بالتزامها في التعاهد وأصبحت معتدية بدون وجه حق في نظر الجماعات الأخرى (١) .

وقد تم تطبيق هذا التعاهد البدائي الأول الذي أخذ صوره طرد الجاني بين معظم الجماعات في الأزمان الأولى للعصر الحجري الحديث مثل التي كانت توجد في الصين القديمة قبل عصر الأسرات في المناطق التي تقع في المجرى الأعلى لنهر [هوانج هو] والذي يطلق عليه أيضا النهر الأصفر ، وكانت هذه الجماعات تأخذ شكل قبائل وعشائر وتتجاوز عند ملتقى الهضاب الثلاثة الكبرى (تشينغهاي – التبت ومنغوليا الداخلية التراب الأصفر) في منطقة شرق الصين (٢) .

وأيضا بعض قبائل الجزيرة العربية التي كانت يعيش ، في عصرها

---

(١) د . عبد السلام الترمانيني – محاضرات في تاريخ القانون – مرجع سابق – . ص ٥١ وما بعدها .

(٢) جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنع ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – مطبقة اللغات الأجنبية ببكين – توزيع الشركة العالمية لتجارة الكتب (كوزي شوديان) بيكين – الصين – الطبعة الأولى ١٩٨٥ ص ٦ .

الحجـــري الحديث ويقوم أفرادها بالرعي وبعض الزراعات البسيطة التي تعـــتمد على الأمطار ، حيث كان رئيس القبيلة يقوم بطرد أحد أفرادها إذا اعتدى على أي فرد من قبيلة أخرى تعاهد معها على نظام طرد الجاني – وكـــان يعـــلن صراحة وهو يقوم بطرد هذا الجاني بأنه قد خلعه من قبيلته فإذا اعتدى عليه لم يطلب وإذا اعتدى لم يضمن [١] .

نظام التعاهد على تسليم الجاني :

بعد أن أنتشر نظام التعاهد بين الجماعات في صورة طرد الجاني ، وحدثـــت بعـــض سلبيات في تطبيقه نتيجة هروب الجاني بعد طرده وعدم تمكـــن جماعـــة المعـــتدي عليه من ضبطه لكي تقتص منه وتشفى غليل انـــتقامها ، وإن هـــذا كـــان يؤدي في بعض الأحيان إلى فشل هذا التعاهد وانـــدلاع الحرب بين جماعة المعتدي عليه وجماعة المعتدي – فقد ترتب على ذلك ظهور صور أخرى للتصالح وهي صور تسليم الجاني طبقت في الـــبداية داخـــل الجماعة ثم أخذت بعد ذلك تلبث ثوب التعاهد بين جماعة وأخـــرى أو أكـــثـــر [٢] – وذلك بأن يلتزم كل رئيس جماعة متعاهدة بأن يقـــوم بضـــبط أي فرد من أفراد جماعته حتى لو كان ابنه إذا اعتدى على أحـــد أفـــراد أي جماعة أخرى متعاهد معها ، ويقوم بعد تقيد حركته تماما بتسليمه إلى المجني عليه أو لجماعته لكي يقتص منه نتيجة ما أرتكبه وهذا التعاهد كان أكثر إيجابية من التعاهد السابق الذي أخذ صورة طرد الجاني

---

(١) د . عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – مرجع سابق – ص

(2) Gastan May – introduction â la science du droit – op . cit – p 13 .

، لأن رئيس كل جماعة متعاهدة كان بمجرد أن يقوم بتسليم الجاني لجماعة المجــني عليه المتعاهد معها كان يعبر بصورة أكثر صدقا من نظام طرد الجاني عن حسن نية جماعته ورغبتها الصريحة التي لا تقبل أي شك في حصــر العداء في أضيق نطاق لحق الدماء فيما بينهما – وحيث أن الأدلة الـــتاريخية تثبت أيضا بأن هذا النظام كان يسكت غضب جماعة المعتدي عليه ويطفأ نار ثورتها ، ويشفى غليل انتقامها بمجرد أن تقتص من الجاني وحـــده بعد أن تتسلمه من رئيس جماعته – وكان لا يحق لها بعد ذلك أن تعـــتدي على أفراد جماعة هذا المعتدي بادعاء الانتقام منها [١] – فإن هذا يؤكـــد أيضـــا بأن هذا التعاهد كان ملزم لأطرافه أي لا يجوز لأي جماعة طـــرف فيـــه أن تخالف أو تنتهك مضمونه ما دامت قد تسلمت الجاني من رئيس جماعته ، وإذا حدث أن أخلت بهذا التعاهد تكون في نظر الجماعات الأخرى معتدية وتفقد احترام كيانها ، وتأخذ صفة تجلب عليها العار بأنها جماعـــة عديمة الصدق ولا تصلح لكي تتعاهد معها أي جماعة أخرى بعد ذلك [٢] .

وقد تم تطبيق هذا التعاهد البدائي الذي أخذ صورة تسليم الجاني بين معظـــم الجماعـــات فـــي العهد الأول للعصر الحجري الحديث مثل قبائل

---

(١) د · صوفي أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٧١ ·

د · عبد السلام الترمانيني – محاضرات في تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٤٠ ·

د · عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – مرجع سابق – ص ٣٤

(2) R.G. colling wood – the idea of History – op – cit – p. 127 .

الدرافيديين التي انتشرت في شمال الهند في مناطق سهول نهري السند والجانج ، والقبائل والعشائر التي انتشرت في بلاد ما بين النهرين في سهول نهري دجلة والفرات والتي انتشرت أيضا في شمال صعيد مصر على ضفاف نهر النيل (١) .

وهذا التعاهد قد مثل في بعض الجماعات تعاهد بدائي أول على أساس إنما طبقته لأول مرة ولم تطبق من قبل التعاهد الذي أخذ صورة طرد الجاني ، أو طبقت النظامين طرد الجاني وتسليم الجاني في تعاهد واحد مثل ما كان يحدث في بعض الجماعات التي انتشرت في بعض سهول آسيا الوسطى وعلى بعض سواحل البحر الأبيض في القارة الأوربية .

ومعنى هذا التعاهد هو أن الجاني إذا اعتدى على أحد أفراد جماعة أخرى متعاهدة مع جماعته يقوم رئيس جماعته بتسليمه إلى جماعة المعتدي عليه إذا تمكن من ضبطه وتعتبر حركته إما إذا هرب خارج جماعته ولم يعرف له نطاق محدد اختفى فيه ، فإن رئيس جماعته يعلن خلعه لعدم تمكنه من ضبطه (٢) .

ورغم أن هذا التعاهد قد ظهر بين الجماعات في بداية العصر .

---

(1) walter A. Fairservis – the origins of oriental civilization – op . cit – pp 252 ets .
(2) H. G. wells – A short History of the world – 1932 – pp 181 – 185 .

الحجـري الحديث أي منذ فترة قد تزيد عن ٧٠٠٠ سنة إلا أنه يمثل حاليا في الدول المعاصرة من أهم التعاهدات الدولية الخاصة بتسليم المجرمين ، والخلاف الوحيد بين التعاهد القديم بتسليم الجاني والتعاهدات الحديثة بتسليم المجـرمين هو أن الجاني أو المجرم كان من ضمن أفراد الجماعة التـي تقـوم بتسليمه في التعاهد القديم ، أما في التعاهدات الحديثة لا يكـــون فيهـا المجرم غالبا من جنسية الدولة التي تقوم بتسليمه ، وإنما من جنسية الدولـة التي تطلب تسليمه أو الدولة التي أخيرت ضررا بالغا من إجرامه مـثل مـا يحدث في الجرائم الإرهابية التي تعتبر حاليا من أخطر جرائم العصر [١] .

وإذا كانت الدية والقصاص من ضمن صور التصالح التي ظهرت بيـن الجماعات في العصر الحجري الحديث إلا أن التعاهدات الخاصة بها قـد ظهـرت مـتأخرة عن التعاهدات الأخرى التي أخذت صورتي تسليم الجـاني وطـرد الجـاني ، ولـذا فقـد ظهرت التعاهدات الخاصة بالدية والقصاص مع بعض صور التعاهدات الأخرى الخاصة بالعلاقات التجارية والسياسـية والـتي ظهرت بشائرها كما سنرى في الباب الثالث مع بداية النصـف الأخير للعصر الحجري الحديث والسبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها يتلخص في الآتي :

---

(1) stefan glaser – Droit internatianal pénal – 1970. paris – pp 16 ets.

أولا : بالنسبة لنظام الدية :

هي عبارة عن مبلغ من المال أو ما يمكن تقيمه بالمال كالماشية أو الأبقـار أو الجمـال أو كميات من المحاصيل الزراعية .... الخ يدفعه الجاني أو جماعته للمجني عليه أو لجماعته كثمن للثأر وافتداء من العدوان وشـهوة الانتقام وكتعبير من الجاني وجماعته عن طلب الصفح والغفران مـن المجـني عـليه وجماعته - وحيث أن الجماعات في العهود الأولى للعصـر الحديث كان لا يتوافر مع أفرادها مال يكفي لنظام الدية لأن نظام الملكية الخاصة كان ما زال في مهده الأول ولم يتبلور شكلة في المنقولات والعقـارات إلا في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث بعد أن اتقنت عمـليات تـربية المواشي والأغنام وانتشرت الزراعة وبعض الصناعات البدائية والحرف اليدوية المختلفة - فإن هذا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى تأخـر ظهور التعاهدات التي أخذت صورة نظام الدية بين الجماعات وجعلتها لم تظهر في بداية العصر الحجري الحديث مع التعاهدات الأخرى التي أخذت صورة نظام طرد الجاني ثم صور تسليم الجاني - وبالتالي لم يطـبق هـذا الـنظام إلا بعد أن ترسخ مفهوم الملكية الخاصة للمنقولات والعقـارات في النصف الثاني لهذا العصر ليكون كوسيلة سلمية متطورة تـبعد تمامـا عن العقوبة الجسدية للجاني وترضى المجني عليه وجماعته وتجعلهم يبتعدوا عن طريق الانتقام ويسلكوا طريق الود والسلام [١] .

---

(١) د . ثروت أنيس الأسيوطي - مبادئ القانون- مرجع سابق - ص ٣٧، ٣٨

د . عمـر ممـدوح مصطفى - أصول تاريخ القانون - كلية الحقوق جامعة الإسكندرية - ١٩٦٣ - ص ٥٢ .

ثانيا - بالنسبة لنظام القصاص :

نظام القصاص يعتبر من أرقى الأنظمة التي حدث من أتساع دائرة الانـــتقام ووفرت أفضل سبل للعدل من صور التصالح الأخرى لأنه تحقق من خلاله الآتي :

١- حصر دائرة الانتقام بين الجاني والمجني عليه دون غيرهما .

٢- حصر العقوبة في شخصية الجاني فقط دون أي شخص آخر .

٣ - جعـــل العقوبة التي يتم توقيعها على الجاني متناسبة تماما مع الجرم الذي ارتكبه وبدون أي تجاوز [السن بالسن والعين بالعين والرجل بالرجل والزراع بالزراع ...الخ] .وبالتالي طبق نظام الجزاء بالمثل .

٤ - اشـــفت غـــليل المجـــني عليه وهدأت من ثورةغضبه وشهوة انتقامـــــه بعد أن تمكن من أخذ حقه من الشخص الذي اعتدى عليه ، من خـــــلال قيامـــه هو أو من ينوب عنه من أفراد جماعته بتوقيع اعتداء مماثل على المعتدي (١) .

وحيث أن هذا النظام متطور ويحتاج إلى وجود أشخاص لديهم قوة نفـــوذ وحكمـــة وعقـــول هادئة لكي يتم تطبيقه منعا لاتساع دائرة الانتقام وتوفير أقصى درجات العدل والأنصاف . وهذا كان غير متوافر بالكامل

---

(١) د . صـــوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ١٦١ وما بعدها .

د . عادل بسيوني - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق - ص ٣٦ وما بعدها .

فــي العهــود الأولى للعصر الحجري الحديث ، وإنما توافر بعد ذلك في أواخر هذا العصر بعد أن تطورت الجماعات وأخذت بعضها تشكل مدن أو مالك أو إمارات مستقلة وأصبح لها سلطة مركزية متكاملة إلى حد ما من رئيــس ووزراء ، وكان من بين هؤلاء الوزراء من يختص بأمور القضاء ويطبق نظام القصاص في الجرائم العمدية ونظام الدية في الجرائم العمدية أو غيــر عمدية إذا وفق المجني عليه أو جماعته على قبولها (١) ..... فإنــه عــلى أثر ذلك لم تظهر التعاهدات الخاصة بنظام القصاص بين كل جماعــة مســتقلة وجماعــة أخرى إلا في العهد الأخير للعصر الحجري الحديث وفي مطلع العصور القديمة .

وعلى هذا الأساس فإن التعاهد البدائي الأول بين الجماعات قد ظهر فــي بدايــة العصــر الحجري الحديث وأخذ صورتي طرد الجاني وتسليم الجاني وإن كانت صورة طرد الجاني هي الأكثر انتشارا من صورة تسليم الجــاني فــي التعاهدات التي أبرمت بين الجماعات في بداية هذا العصر وذلك بناء على ما دلت عليه الكشوف الأثرية التي قام بها علماء الآثار منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي (٢) .

---

(١) ول ديوزانــت – قصــة الحضارة – الجزء الأول : نشأة الحضارة – الفصل الثالث – القانون – ترجمة د . زكي نجيب محمود – طبعة ١٩٤٦ – القاهرة – ص ٢٧٨ .

(2) Ralph lintan – tree of culture – op – cit – pp 26 ets .

والسبب في أن التعاهد البدائي الأول قد قام على نظام التصالح وأخذ صورتي طرد الجاني وتسليم الجاني ، ولم يقوم في البداية على أي نظم أخرى من نظم العلاقات الدولية المتعارف عليها في المجالات المختلفة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية يرجع إلى أمور عديدة أهمها يتلخص في الآتي :

١- الإمكانيات المادية للجماعات الإنسانية في بداية هذا العصر كانت محدودة للغاية ، ولا تسمح بأن يستند عليها في إقامة أي علاقات خارجية أخرى ، وذلك لأن أعمال تربية المواشي واستئناس بعض الحيوانات واستصلاح الأراضي وزراعتها بعض المحاصيل الزراعية كانت في مهدها الأول (١) .

٢ - مفاهيم أفراد كل جماعة في بداية هذا العصر كانت محدودة، ووعيهم السياسي في إقامة أي علاقات أخرى [غير نظام التصالح في صورة طرد الجاني أو تسليم الجاني] مع أي جماعة من الجماعات التي كانت تجاور حدود إقامتهم كان غير موجود لأنهم كانوا في المرحلة الأولى لحياة الاستقرار التي لم يتلمسوا منها سوى البوادر الأولية لأهمية وجود الأمن والسلام في معيشتهم مع أفراد الجماعات الأخرى (٢) .

---

(1) J. Dalton – Economic theory and primitive society – New – york - 1961 – pp 23 – 25 .
(2) Francis fukuyama – the END of history and the last Man – op . cit – p 148 .

٣ - السلطة المركزية داخل كل جماعة كانت في مهدها الأول في بدايــة هذا العصر - لان رئيس الجماعة بعد أصبح له سلطة ونفوذ على أفــرادها بــنظم بدائيــة للغاية كان همه الأول هو تنظيم العلاقات وضبط الســلوك في الداخل ولم يدرك أهمية أقامه علاقات خارجية مع الجماعات الأخــرى ســوى لتهدئه الأوضاع الأمنية معها من أجل الكف عن الاقتتال وسفك الدماء الذي كان يحدث دائما في المنازعات التي كانت تنشب بينهما في العصر السابق [١] .

وعلى أثر هذه الأمور لم يكن عند الجماعات الإنسانية في بداية هذا العصــر أي وسائل مادية أو سياسية أو فكرية تساعد على ظهور التعاهد البدائي الأول في صورة أخرى غير صورة التصالح في شكل طرد الجاني وتســليم الجــاني بعــد تغير نظرتهم العدائية التي كانت سائدة في العصر السابق على مبدأ القوة تنشئ الحق وتحمية .

ونظــرا لعــدم وجود أي أثار تاريخية تشير إلى معرفة الجماعات الــبدائية لكتابة في النصف الأول للعصر الحجري الحديث [٢] فإن التعاهد بيــن أي رئيس جماعة وأخرى على صورة طرد الجاني أو تسليم الجاني كــان يتم شفاهه وبشكل علني وبتعبيرات واضحة وصريحة - ولكن لكي يــأخذ هــذا التعاهد صفة الإلزام كان رئيس كل جماعة يحضر معه عند

(1) R.G. Gettell political science – op . cit – p 30 .
(2) R.G. Colling wood – the idea of History – op . cit – pp 361 ets .

إيـــرامه مجموعـــة من كبار الكهنة الموجودين في جماعته لكي يحضروا إجراءات إتمامه ليكونوا كشهود ممثلين للآلهة ، ثم يرتلـــوا بعض الأدعية لكـــي تحقـــق آلهـــتهم البركة والخير على هذا التعاهـــــد وتصب اللعنة والدمـــار عـــلى من يخالفه أو ينتهك إحكامه وبالتالي كان هذا التعاهـــــد يســـتمد قوته الإلزامية من العقيدة الدينية الخاصة بكل جماعـــة طـــــرف فيه [١] .

يوجـــد اتجـــاه يمثله بعض علماء الاجتماع إلى جانب بعض فقهاء القانون الدولي وعلى الأخص الغربيون – يعارض بشدة ظهور أي مفاهيم للـــتعاهد بيـــن الجماعات التي وجدت في العصر الحجري الحديث – على أســـاس اعتقادهم بأن التعاهد لا يمكن أن يتم إلا بين دول متكاملة العناصر وذات ســـيادة ، وأن الجماعات الإنسانية في العصر الحجري الحديث وإن كـــانت كـــل واحـــدة منها مستقلة عن الأخرى إلا أنها لا يمكن أن تكتسب الصفة المتكاملة لكيان الدولة لأن التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي حدث في كيانها الداخلي خلال هذا العصر كان تغيير طفيف جدا عن العصـــر السابق وحدث على مراحل زمنية طويلة مما يجعل من الصعب جـــداً أن يحول فكر أفراد هذه الجماعات الذين كانوا ما زالوا يعيشـــــون حيـــاة بدائيـــة نحو مفاهيم التعاهد التي تتضمن سمات تطورية تفوق بكثير

---

(1) Le Fur et chklaver – Recueile et textes de droit international publice – paris – 1928 – pp 1- 3 .

– د . عبد العزيز سرحان – القانون الدولي العام – طبعة ١٩٧٣ كلية الحقوق – جامعة عين شمس – القاهرة – ص ٨٧ .

إدراكهم في إزمان هذا العصر [١] .

وفي الحقيقة أن هذا الاتجاه يمثل رأي غير موضوعي وبعيد تماما عـن الواقع ولا يستند على أدلة صحيحة ، لأنه نظر إلى الدولة بوضعها المعاصـر وأراد أن يطبقها بكامل عناصرها ومفهوم سيادتها الحالية على الجماعـات الـتي وجدت في العصر الحجرّي الحديث مع أنه يوجد فارق كبير بين نظام الحياة في العصر الراهن ونظام الحياة في العصر الحجري الحديـث ، وهذا الفارق يجعل كل جماعة مع نظم التطور المحدودة تأخذ شكل دولة مادامت قد أصبح لها إقليم ثابت ، وأفراد تابعين لها يقيمون عليه بصـفة دائمة ومستقرة ، ورئيس له سلطة ونفوذ على هؤلاء الأفراد وأن كـان يمثل البدائية الأولية للسلطة المركزية الفعلية ، وإن كل جماعة بهذا الوصـف كان لها كيان سياسي مستقل عن الجماعات الأخرى - وبالتالي فإن أي اتفاق تبرمه بواسطة رئيسها الذي يمثلها مع أي جماعة أخرى لابد أن يأخذ شكل تعاهد مادام أن هذا الاتفاق قد تم بين جماعتين ، وكل جماعة منها له كيان سياسي مستقل عن الأخرى [٢] - وأيضا إذا كانت التطورات الاقتصـادية والاجـتماعية والسياسية التي حدثت في الجماعات خلال هذا العصـر كـانت ضئيلة للغاية عن العصر السابق وحدثت في زمن طويل

---

(1) Lucy Mair – An introduction to social Anthropolgy – oxford – 1968 – p. 235 .
- G. Homans – contemporary theory in socialogy chicago 1964 – p 43 .

(٢) د . عـبد العزيز سرحان - القانون الدولي العام - مرجع سابق - ص ٨٨ وما بعدها .

جـــدا ، فهذا لا يعني أن أفراد هذه الجماعات قد فقدوا اكتساب أي علم أو معـــرفة أو إدراك من هذا التطور الضئيل الذي حدث في زمن طويل على حـــد قولهـــم وإنما الحقيقة تثبت عكس ذلك ، وتؤكد بأن مفاهيم الأفراد قد اتســـعت وأصـــبح لديهم وعي ببعض النظم السياسية وإن كان هذا الوعي بدائي للغاية (١) .

هـــذا إلى جـــانب أنـــه قد غاب عن فكر أصحاب هذا الاتجاه بأن التغيرات التي حدثت في الأنظمة السياسية والإقتصادية والاجتماعية سواء كانت ضئيلة أو كثيرة وسواء تمت في زمن طويل أو قصير خلال العصر الحجـــري الحديـــث ، فإنها قد ساعدت فقط على ظهور المفاهيم الخاصة بالـــتعاهد ولكن لم تكن هي التي اولدت وجودها ، لأن هذه المفاهيم [كما ســـبق أن أوضـــحنا] موجودة في طبيعة كل إنسان أي مغروسة فيه منذ مولـــده باعتـــباره مفطور على الخير لكي يعيش في أمن وسلام استقرار وبالـــتالي فـــأي قـــدر من هذه التغيرات يمكن أن يظهر هذه المفاهيم أي يســـتطيع أن يخـــرجها مـــن داخل طبيعة الإنسان إلى حيز الوجود الفعلي لـــتكون مـــثل البذور التي يتم غرسها لكي تنمو بعد ذلك في صور إنسانية مختـــلفة (٢) - وقد عبر عن ذلك في العصور القديمة فلاسفة كثيرون مثل

---

(١) ط . فـــاروق العـــادلي ، د . سعد جمعه - الانتروبولوجيا مدخل اجتماعي وثقافي - مرجع سابق ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) د. عـــبد الرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - مرجع سابق - ص ١٥٤ وما بعدها .

أفلاطون الذي قال صراحة [إن الروح الإنسانية عاشت قبل أن تأتي إلى عالمـنا هـذا .... عـالم الفكر الموضوعي المجرد ... عالم المثل ..... عـرفت كـل شيء وجاءت إلى الأرض لتحيا في دهم الحواس ووهم الأشياء المتغيرة ... لا تعرف الحقيقة ولا تصل إليها إلا بالتأمل والـتجرد ... والعـالم الخارجي لا يعطينا في الظاهر إلا مجرد صورة ذهيـنية تعكس الحواس - ولا يعطينا أيضا في الظاهر وجهه نظر الباحث مـنها إن لـم يصل بتأمله عن طريق العقل والوجدان إلى حقيقة الأشياء ....] [١] ... وعـلى اعتـبار الـتعاهد من قبيل الفضائل التي توفر للأفـراد الخيـر والأمن والسلام والاستقرار فقد قال أفلاطون أيضا عن الفضـيلة بصفة عامة [بأنها ليست نتيجة تعليم بل هي ثمرة نعمة الهية ، وإن مهمـة التعـليم والتربية هي إيقاظ هذه الفضيلة من نومها الكامن في طبيعة الإنسان ، وتطهير الطريق أمامها من العوائق لكي تخرج إلى خير الوجـود ....] [٢] - وهذا يجعلنا نستطيع أن نطلق على التعاهد البدائي الأول تسمية أخرى مستمدة من الطبيعة الإنسانية في البدايات الأولى للحياة البشرية هي التعاهد الفطري الأول .

وبـنـاء على ما تقدم - لا يوجد إمامنا رأي يفيد بدليل قاطع بأن مفاهيم التعاهد كانت غير موجودة في العصر الحجري الحديث أو ما ينفي

---

(١) د . محمـد عبد الهادي الشقنقيري - محاضرات في نظـم النظم القانونية والاجتماعية - طبعة ١٩٩٣ - ١٩٩٤ - كلية حقوق عين شمس ص ١١٧ .

(2) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit p. 68 .

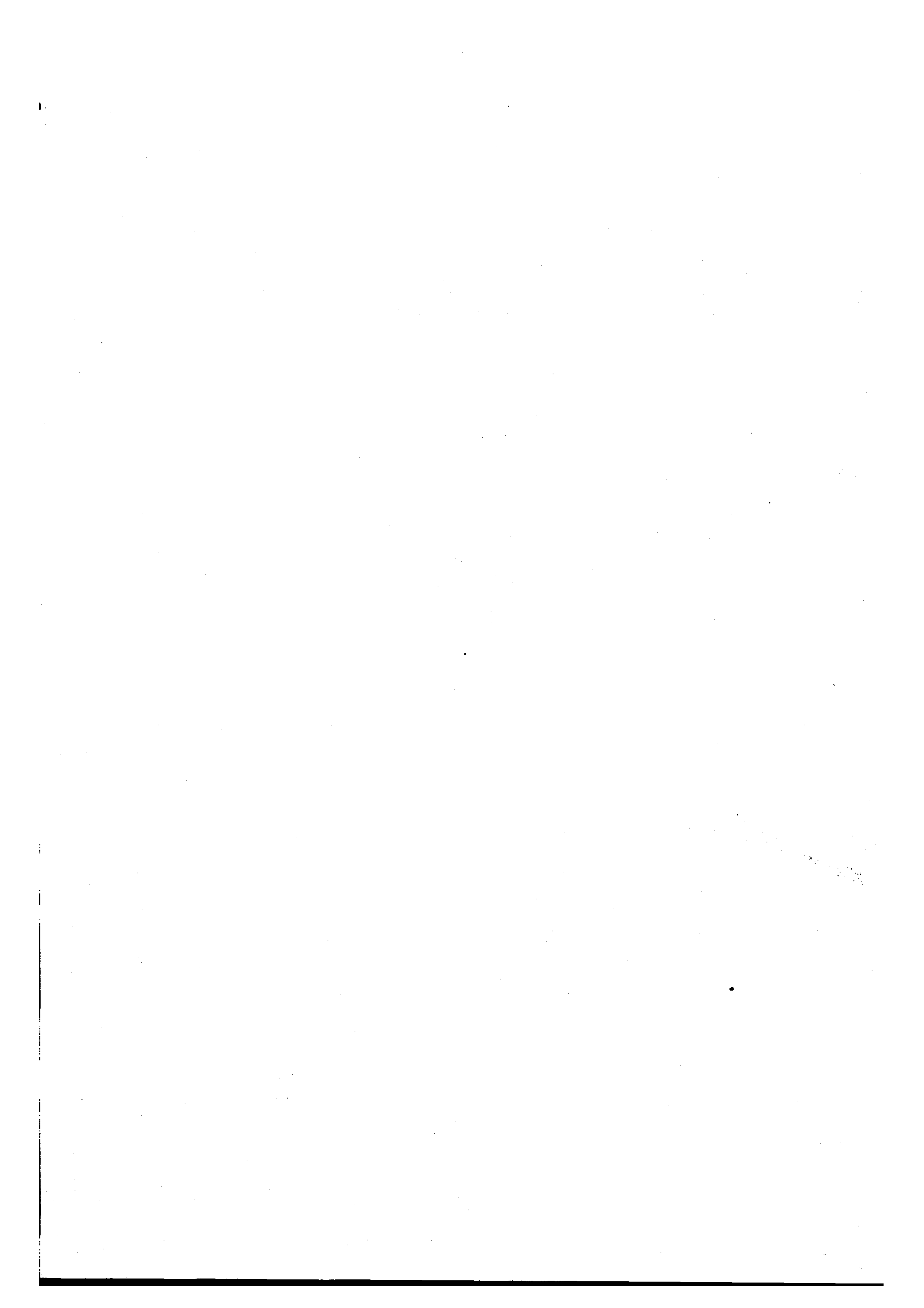
مـــا اجتهدنا في الوصول إليه عن ظهور أول تعاهد في تاريخ البشرية قام عـــلى نظام التصالح في مرحلة تهذيب القوة وأخذ في مضمون تطبيقه بين الجماعـــات صورتي طرد الجاني وتسليم الجاني – وإنما الحقائق المستمدة مـــن الآثـــار التي خلفتها هذه الجماعات في هذا العصر إلى جانب ما هو موجـــود في أصل الطبيعة الإنسانية – يؤكد تماما ما ذهبنا إليه في طرح هذه الفكرة التي تعبر بكل وضوح بأن الحياة الإنسانية منذ أن بدأت وحتى أن تنـــتهي هي في حلقات متواصلة عبر الزمان وأن ما يحدث الآن لابـــد أن يكون لـــه جذور في الماضي البعيد ما دامت الطبيعة الإنسانية واحـــدة لا تـــتغير مـــن زمـــان لزمان ولا من مكان لمكان أخرى عبر عصـــور التاريخ .



الباب الثالث

****

أهم صور التعاهدات التي أبرمت
في
النصف الثاني للعصر الحجري الحديث



تقديـم :

بعد انتشار فكرة التعاهد البدائي الأول القائم على نظام التصالح في صـورتي طرد الجاني وتسليم الجاني بين الجماعات الإنسانية في النصف الأول للعصر الحجري الحديث ، وساعد هذا التعاهد وبقدر كبير جدا على نشـر بـوادر مفاهيم الود والتقارب والتسامح بين هذه الجماعات ، بعد أن ذاق إفـرادها طعم الاستقرار لأول مرة وشعروا بأهمية توفير سبل الأمن والسلام في حياتهم - ظهر في النصف الثاني لهذا العصر بعد أن تطورت الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أنواع أخرى من التعاهدات بين هذه الجماعات التي كونت حضارات في شرق وغرب العالم القديم - وهذه الـتعاهدات كـانت عديدة ومتنوعة حيث أخذت طوابع مختلفة ولم تقتصر عـلى الطابع الأمني الذي تميز به التعاهد الأول ، وقد أكد ذلك كثيرا من المؤرخيـن وعلى رأسهم المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي حيث قرر في مؤلفـة (الحضارة في المـيزان] بأن [تواريخ الجماعات الإنسانية التي تسمى حضارات ، قد بدأت بالفعل والظاهر المملوس كما تشير الآثار مـنذ النصف الثاني للعصر الحجر الحديث - لأن هذه التواريخ قد عبرت منذ ازمانها الأدنى عن حزمة من المحاولات المتوازية التي كان أفراد هذه الجماعـات يهدفـوا مـن خلالها الوصول إلى السمو على مستوى الحياة البدائية لكي يصبح كل فرد فيهم إنسانا بالمعنى المتكامل ويخرج من ثباته العميـق الـذي كان فيه منذ آلاف السنين وذاق من آثره الآلام والمتاعب ... أن الحاضـر الـذي دفع الجماعات البشرية التي أحدثت هذا العمل الخطير المسمى بالحضارة ، كان بهدف روحي واجتماعي واقتصـادي

وسياســي ومضــمونة قــد ساعد بفاعلية واقتدار على أحداث ود وتقارب وصــلات تعاهدية مختلفة بين كل جماعة مستقلة وأخرى لأن الحقيقة التي يجــب أن نعرفها هي أن تواريخ معظم الجماعات من النوع الذي يسمى بالحضــارات كــانت متوازية إلى حد ما في شرق العالم القديم ثم أعقبها تواريخ متوازية أخرى في غرب العالم القديم بالقارة الأوربية] (١) .

وأيضا أكد ذلك العالم الأمريكي لويس مرجان في مؤلفه عــــن [المجــتمع القديــم] حيث قسم العصر الحجري الحديث الذي أطلق عليه العصــر الهجمــي إلى ثلاث عهود من وجه نظر حضارية أثناء تصنيفه لمــراحل تطــور الجماعات الإنسانية بعد انتقالها من حياة جمع القوت في العصر الحجري القديم إلى هذا العصر الذي تمكن فيه أفراد الجماعات من إنتاج الطعام بالرعي والزراعة وابتكار بعض الصناعات البدائية إلى جانب تطــور فكرهم السياسي والأدبي والفلسفي وهذه العهود الثلاثة هي [العهد الأدنى – العهــد الأوسط – العهد الأعلى] وقرر بأنه [منذ بداية منتصف العهــد الــثاني المسمى بالعهد الأوسط قد بدأت حضارات هذه الجماعات تتشــكل ويصــبح لها مضمون فعلى معبر عن جهود إفرادها ونجاحهم في الوصــول إلى حيــاة الإنتاج والاستقرار – وإن هذا النجاح قد ساهم بقدر كبير وهائل على إشعال روح الود والصفاء بين هذه الجماعات التي كانت كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى ... وجعلها تتقارب بعلاقات تعاهديه

(1) Arnold Toynbee. Civilization on trial. London 1948 – pp 16 – 17 ..

عديدية منذ منتصف العهد الأوسط ، وإن هذه العلاقات قد أخذت في التزايد بعـد ذلـك خلال العهد الأعلى حتى انتقلت بعض هذه الجماعات بحضارة متميزة إلى أول عهود العصور القديمة ....] [١] .

وبمـا أن منتصـف العهـد الأوسط الذي أشار إليه لويس مرجان يـتزامن تقريـبا مـع منتصف العصر الحجري الحديث فإن ذلك يدل بأن الـتعاهدات بين الجماعات الإنسانية قد بدأت تظهر منذ ذلك التاريخ الذي يوافق بداية النصف الثاني للعصر الحجري الحديث .

وحيـث دلت الآثار التي تم العثور عليها بأن هذه التعاهدات كانت عديدة وأخذت طوابع مختلفة وأن كان معظمها يغلب عليه الطابع السياسي والاقتصـادي وخاصة بعد ظهور نشاط ملحوظ للتجارة ، فإنه لكي نوضح ذلـك بالتفصـيل ونعـبر عن مفهوم هذه التعاهدات التي ظهرت مع بداية النصف الثاني للعصر الحجري الحديث ، سنعرض بحوثا موجزة عن أهم الجماعات الإنسانية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم ، وكان لها طابع حضاري مميز ، ودور هام وبارز في بلورة مفهوم التعاهد خلال هذه الحقـبة التاريخية ، وذلك من خلال تقسيم دراستنا في هذا الباب إلى ثلاث فصول على النحو التالي :

---

(1) Lewis Margan – Ancient society – op . cit – pp 25 – 27.

الفصل الأول : سنعرض فيه وحسب التسلسل التاريخي أهـــــم الجماعات الإنسانية التي كونت حضـــارات كبرى في شرق العالم القديـــم وأبرمت فيما بينها تعاهدات عديدة ومتنوعة في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث •

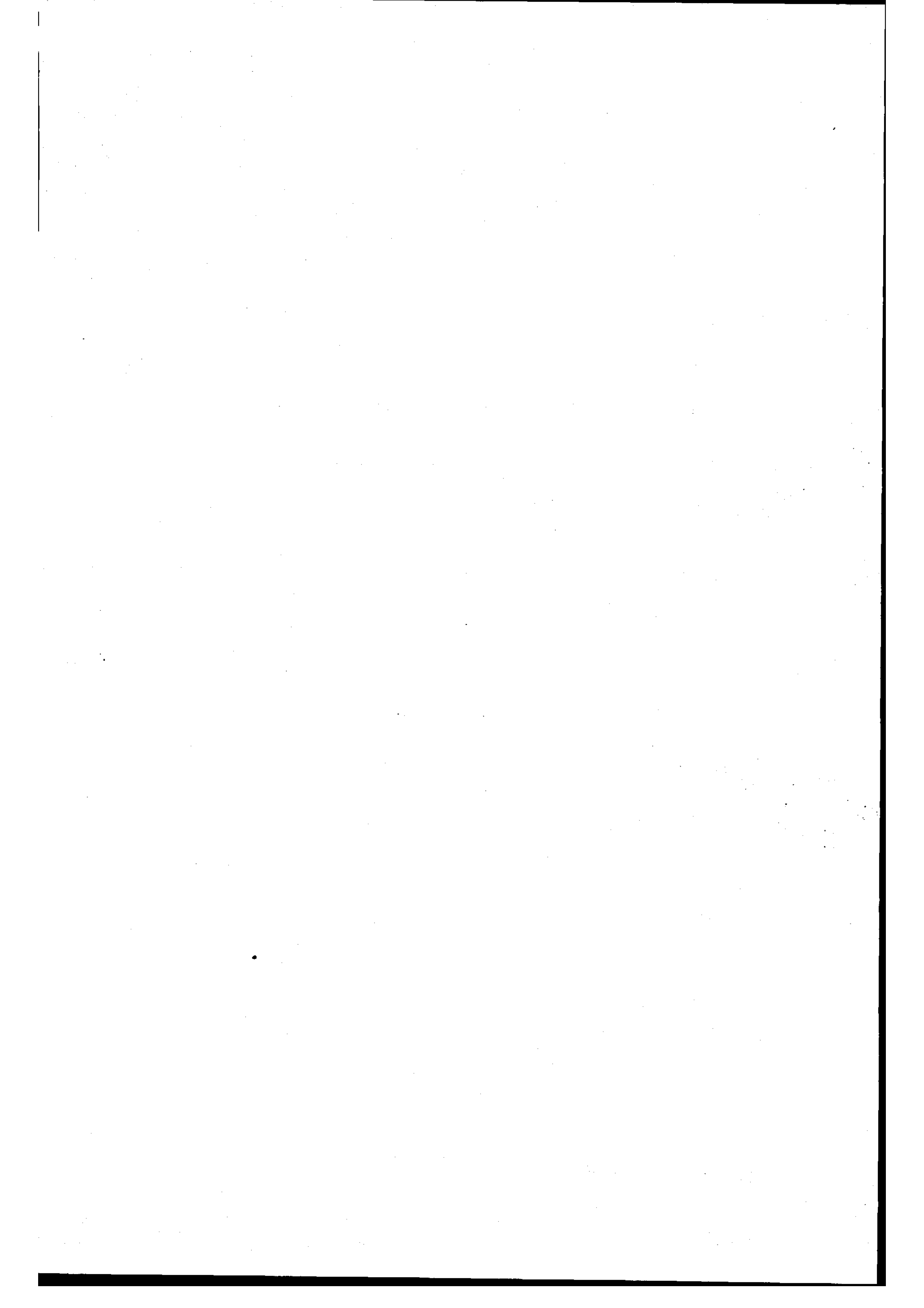
الفصل الثاني : سنوضح فيه وحسب التسلسل التاريخي أيضا أهم أهم الجماعات الإنسانية التي كونت حضارات أخذت الطابع التجاري البحري في جزر وشواطئ البحـــر الأبيض المتوسط – وذلك لأن هذه الجماعـــــات قد تألقت حضاريا في عهود متقاربة مع أقدم حضارات الشـــرق كمـــا كـــان لها دور هام ومميز في بلورة مفهـــوم التعاهد في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث •

الفصل الثالث : سنشير فيه وطبقا للتسلسل التاريخي أيضا إلى أهـــم الجماعات الإنسانية التي ظهرت في القارة الأوربيـــة خـــلال هـــذه الحقبة ، وكان لها طابع حضـــاري، ودور هـــام جـــدا في تطوير مفهوم التعاهد في العالم القديم •

الفصل الأول

****

أهم الجماعات الشرقية التي تالقت حضاريا وأبرمت أول صور للتعاهدات في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث [النيوليثي]



تقديم :

ظهرت في الشرق خلال أزمان العصر الحجري الحديث جماعات إنسانية عديدة انتشرت معظمها حول الأنهار والسهول الخصبة ، وتبلور كيانها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وأصبحت تأخذ شكل مدن أو ممالك مستقلة ، وكونت حضارات متميزة ، ازدهرت وتألقت منذ بداية منتصف هذا العصر في العلوم الإنسانية المختلفة التي مازالت حتى الآن تبهر بآثارها الرائعة جميع شعوب عالم اليوم – ولكي نوضح الدور الفعال الذي ساهمت به حضارة الشرق في بلورة مفهوم فكرة التعاهد خلال هذه الحقبة ، سنعرض دراسة موجزة عن أهم وأقدم الجماعات الإنسانية التي ظهرت في المناطق الشرقية خلال أزمان العصر الحجري الحديث حسب التسلسل التاريخي لوجودها وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول : جماعات العصر الحجري الحديث في مصر ٠

المبحث الثاني : جماعات العصر الحجري الحديث في بلاد ما بين النهرين ٠

المبحث الثالث : الجماعات الصينية في العصر الحجري الحديث ٠

المبحث الرابع : الجماعات الهندية في العصر الحجري الحديث ٠

المبحث الأول
جماعات العصر الحجري الحديث
فـــي مصـــــر

****

مصر هي تلك الأرض الطيبة التي نعيش في ربوع بقاعها اليوم – وهـــي تعتـــبر في سجلات التاريخ أقدم حضارة إنسانية أهدت للعالم بأثره ثمــار جهادهــا وكفاحهــا طوال عشرات القرون ، حيث أشعت بأضوائها المتألقة على كافة أرجاء العالم القديم ومنحته الحكمة والثقافة ومعظم العلوم الإنسانية المختلفة منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد [١] .

وكـــلمة مصر في اللغات السامية تعني [الحد] – وكلمة الحد في اللاتينية تقابل [Finis] وقد عرفها الأشوريون باسم [مصر] والاراميون باســم [مصــريين] ، والعرانيون باسم [مصرايم] ، واطلقت الشعوب السامية من أشوريين واراميين وعرب على أهلها اسم [مصريين] – أما المصـــريون فعرفوها تحت اسم [كمت] أي الأرض السوداء لكي يفرقوا بينها وبين الصحراوات على جانبي الوادي التي عرفوها تحت اســـــم [دشرت] أي الأرض الحمراء .

– أمـــا كـــلمة [Egypt] فهي أصلا [AEGYPTUS] وهي كـــلمة ســـمعها اليونانيين في مصر محرفة من نطق أشوري للفظ مصري

---

(1) Henry thamas – the Great philosophers – op. c.t – p . 6

قديـــم هـــو [حت كابتاح] الذي كان يطلق على معبد للآله [بتاح] أكبر معـــبودات المصريين في منف ثم أطلقه المصريون على المدينة نفسها ثم على القطر نفسه ، كما يطلق اسم مصر اليوم على البلاد كلها ٠

– ومصر الحقيقة التي عاش عليها المصريون أسلافنا الأمجاد منذ آلاف الســـنين وصاغوا فيها الحضارة الراقية التي ورثها العالم المتحضر من بعدهم ، كانت عبارة عن شريط من الأرض الخصبة السوداء يمتد على جانبي نهر النيل من أسوان حتى القاهرة حيث تبدأ الدلتا ولكن إذا كان نهر الـــنيل ـــله فضل على الحضارة المصرية فإن للصحراء أيضا فضل آخر حيث قام المصريون منذ القدم باستغلال ثروتها من المعادن والأحجار مثل الـــنحاس والفيـــروز ، وكـــانت لهم بها محطات أو مواقع ثابتة ومستمرة للـــتعدين وقطع الأحجار – لذا فإن الحضارة التي أقيمت في مصر وتألقت في سماء المجد وأصبحت من أهم التراث العالمي لا يرجع الفضل فيها إلى النيل أو الوادي وحدهما وإنما إلى الصحراء كذلك [١] ٠

وقـــد عاشـــت الجماعـــات الإنسانية في وادي النيل خلال العصر الحجـــري الحديث الذي بدء منذ ٧٠٠٠ سنة تقريبا – في حياة تشبه بعض

---

(١) د ٠ نجيب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – الجزء الأول – مصر – الكتاب الأول – الطبعة الثانية – يناير ١٩٥٧ – مؤسسة المطبوعات الحديثة بالإسكندرية ، ص ١– ٥ ٠

ملامحها إلى حد ما الحياة فيه اليوم ، حيث أتقنوا تربية المواشي والأغنام والدواجـن واسـتئناس الحيوانـات ، وأصلحوا الأراضي ومهدوا تربيتها الخصبة وزرعوها بمحاصيل زراعية عديدة كما ابتكروا صناعات وحرف يدويـة كـثيرة خاصـة بعـد أن توصلوا إلى معرفة النحاس وادخلوه في صـناعات مـتعددة كان لها أثر هائل في الميدان الحضاري - وهذا إلى جـانب توصلهم إلى معرفة علوم إنسانية مختلفة مثل علم الفلك والحساب والهندسـة والطب كما عرفوا الكتابة بحروف ومقاطع على شكل صور ، وشـيدوا مـنازل أقاموا بداخلها وعاشوا فيها حياة أسرية مترابطة ومليئة بالحب والرحمة (١) .

وفي ذلك يقول جورج سارتون في مؤلفة [تاريخ العلم] .. [لقد أبهـرت الحضارة الراقية التي صنعها المصريون القدماء وتألقت مع بداية العصـر الحجـري عقـول جميع المؤرخين في مختلف العصور - لأن المصريين القدماء هم أول من أعطوا صياغة كاملة لعلم الكلام البشري منذ سـتة آلاف سـنة وأول من أظهروا فنونا مبدعة في فن الكتابة منذ أربعة آلاف سـنة ، وأول من أتقنوا فنون الزراعة والصناعات المختلفة ، وأول مـن مارسـوا الطـب بإتقـان وعلاج المرض بدقة متناهية للغاية ، كما اخـترعوا عـلم التقويم الشمس عام ٤٢٤١ ق . م ، وعلم التخبط لأجساد

---

(١) جـاك . س . ريسـلر . الحضارة العربية- ترجمة الأستاذ غنيم عبدون - مـراجعة د . أحمد فؤاد الأهواني (غير محدد سنة الطبع) الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة - ص ٥١ وما بعدها .

المــوتى مــنذ خمسة آلاف سنة ، وبرعوا بصورة مذهلة في كافة العلوم الإنسانية الأخرى ٠٠٠٠] [١] .

وعــلى هــذا الأساس قد كونت الجماعات المصرية من أثر كفاح وصــراع أفــرادها في سبيل الحياة مجتمعات حضارية رائعة في مناطق عديدة وكان كل مجتمع منها عبارة عن مدينة أو محلكة لها سلطة مركزية مــتميزة وكيــان سياسي مستقل – وقد تمكن علماء الآثار من العثور على بعضها حيث اكتشفوا الآتي :

أولا : ظهور خمس مجتمعات حضارية في الوجه القبلي مرتبة من الأقدم للأحدث بالجهات الآتية :

(١) مجتمع حضارة – تاسا – وكــان موقعه في أسيوط ، وتألق بداية من ٤٨٠٠ ق ٠ م في الزراعة وصناعة الخزف والنسيج إلى جانب صناعات أخرى عديدة كما عرف أفراده علوم إنسانية كثيره ، وكان هــذا المجــتمع عبارة عن مملكه مستقبلة لها ملك يرأسها وكهنة ينظمون أمور الديانة في المعابد وإرشاد النصح وغرس المبادئ والقيم الأخلاقية في نفوس الأفراد ٠

---

(١) جورج سارتون ٠ تاريخ العلم ٠ ترجمة كل من د ٠ إبراهيم مدكــــــور ٠ د ٠ محمد كامل حسنين د ٠ قسطنطين رزيق ، د ٠ محمد مصطفى زيادة – الطبعة الثالثة ١٩٧٨ – دار المعارف بالقاهرة – ص ١٦٠ ٠

(٢) **مجتمع حضارة البداري** – وكــان موقعــه أيضا في أســيوط – وتألق حضاريا بداية من عام ٤٥٠٠ ق ٠ م – ويقول الباحثون فــي علم الآثار بأن البداريين قد ورثوا حضارة التأسيين وتفقوا عليهم في أمور أخرى عديدة – وكان مجتمع البداري يشمل مجموعة كبيرة جدا من المــنازل المبــنية من المواد الخفيفة ، وعلى شكل بيضاوي أو مستدير ، وكان البداريون يحفظون طعامهم أحيانا في سلال تعلق في المنازل – وقد أضافوا إلى أثاثهم الحصير والأسرة الخشبية التي وضعوا عليها وسائد من النســيج أو الجــلد المحشو بالقش – وقد تميزت حضارة مجتمع البداري بفخارهــا الــذي يعد أرقى من فخار الحضارات السابقة ، حيث يظهر به التموجات التي تحكي روغة سطحه الخارجي ، كما توجد به أنواع فاخرة تتســم بالجمــال وبرقة جدرانها – ولقد استعمل البداريون إلى جانب ذلك بعض الأواني من البازلت ومن العاج ، وعرفوا إلى جانب إتقانهم للزراعة والــرعي صــناعة النســيج بدليل وجود قطع من الكتان تم العثور عليها وترجع إلى عهدهم ، كما كانوا أول من استخدم النحاس في صنع الدبابيس ، ولــم يقتصروا في صناعاتهم على المواد المحلية ، بل كانوا يستوردون الكــثير مــن الجهــات الأخرى ، وخاصة بعد أن مارسوا بإتقان عمليات التبادل التجاري ٠

(٣) **مجتمع حضارة العمرة** ٠ وكــان موقعه قرب مركز البليــنا بمحافظة سوهاج – وتألق حضاريا بداية من عام ٤٦٠٠ ق ٠ م – وكان أيضا عبارة عن مملكة مستقلة لها سلطة مركزية متميزة برئاسة ملك

وأعوانـــه مـــن الـــوزراء ، وأتقـــن إفراده فنون الزراعة وتربية المواشي والأغنام والدواجن كما تميزوا بصناعاتهم الراقية ، وخاصة صناعة النسيج والفخـــار المحلي بالرسوم البيضاء إلى جانب معرفتهم لعلوم إنسانية عديدة كالحساب والهندسة وعلم الفلك وكيفية تحنيط الموتى ببراعة فائقة ٠

(٤) مجتمع حضارة جرزة ٠ وموقعـــه كـــان في محافظة الجيـــزة وهو حاليا قرية من قرى مركز العياط – تألق حضاريا بداية من عام ٤٤٠٠ ق ٠ م وقد أتقن أفراده فنون الزراعة وتربية الأغنام والمواشي ، كمـــا تميـــزوا بصناعات عديدة وخاصة الفخار المحلي بالرسوم واللون الأحمـــر وعـــليه رســـومات لـــلمراكب والطبور – ويقول معظم العلماء والمؤرخين بأن حضارة جرزة تجمع بين حضارة غرب الدلتا وشرقها وإنه من خلال هذا التجمع قد انتشرت اللغة المصرية في الجنوب وهي لغة ذات صبغة سامية تشير أيضا إلى قيام علاقات ثقافية بين مجتمع حضارة جرزه وغرب أسيا ٠

(٥) مجتمع حضارة السمانية : وموقعـــه كان بالقرب من مركـــز دشنا محافظة قنا – تألق حضاريا بداية من عام ٤٣٠٠ ق ٠ م ، وكان أيضا عبارة عن مملكة مستقلة لها سلطة مركزية قوية وكيان سياسي ذو شـــأن كـــبير بيـــن المجـــتمعات الأخرى – وقد أتقن أفراده إلى جانب الـــزراعة وتربية المواشي والأغنام واستئناس بعض الحيوانات صناعات عديـــدة وخاصـــة صـــناعة الظران بعد مهره جيدا واستعملوه في النصال العريضة المدببة والمدى ذات القطاع المثلث والسيوف المقوسة ، كمـــا

عــرفوا الــنحاس وصـــنعوا منه آلات وأدوات عديدة إلى جانب تميزهم بصناعة الخزف المزين بالزخارف والصور والرسومات المختلفة والأواني الحجــرية الــتي كــانت عــلى جانب كبير من الرقي والجمال بإشكالهــا المتعددة .

ثانيا : ظهور مجتمعين حضاريين في منطقة الفيوم – الأول تألق حضاريا بداية من ٤٢٠٠ سنة ق . م ، وكان عبارة عن مملكه ذات كيان سياســي مســتقل ، والثاني تألق حضاريا بداية من ٤٠٠٠ سنة ق . م ، وكان أيضا عبارة عن مملكة ذات كيان سياسي مستقل وقد مثل المجتمعين مركــز حضـــاري مرموق في مصر الوسطى وكان أفرادهما على دراية بعــلوم إنســانية عديــدة ، وأتقنوا الزراعة والرعي وصناعات مختلفة ، وخاصــة صــناعة الفخار والنسيج ، كما استخدموا النحاس وصنعوا منه آلات وأســلحة مــتعددة مــثل السيوف والخناجر والبلط ورؤوس السهام والحربات المدببة .

ثالـثا : ظهــرت أربع مجتمعات حضارية في الوجه البحري هي على الترتيب من الإقدام إلى الأحدث على النحو التالي :

(١) مجتمع حضارة حلوان الأولى [العمري] – وهو يقع حاليا في منطقة حلوان بالقاهرة – وتألق حضاريا منذ بداية ٥٠٠٠ سنة ق . م وكان عبارة عن مملكة ذات سلطة مركزية مميزة وكيان سياسي مستقل –

بــرع إفراده في فنون الزراعة والرعي والصناعات المختلفة مثل صناعة الخزف الملون والرسوم عليه زخارف وصور عديدة ، وصناعة الأخشاب وصــناعة النســيج وأقيموا في منازل مستديرة الشكل ووضعوا بها أثاثات عديــدة مصــنوعة من الأخشاب ، كما استخدموا أواني من الفخار وسلال مصنوعة من الجريد في معيشتهم داخل هذه المنازل ٠

(٢) مجتمع حضارة مرمدة – وكان يقع في منطقة غرب الدلتا وتــألق حضــاريا بداية من ٤٥٠٠ سنة ق ٠ م – وكان أيضا عبارة عن مملكة ذات نفوذ وسلطة مركزية قوية وكيان سياسي مستقل ، وأتقن أفراد عــلوم إنســانية عديــدة إلى جــانب الزراعة والرعي وبعض الصناعات والحرف اليدوية المختلفة ٠

(٣) مجتمع حضارة حلوان الثانية – وهــذا المجتمع قد ورث حضــارة حــلوان الأولى [مرمدة] – وكان عبارة عن مملكة أيضا ذات ســلطة ونفوذ وكيان سياسي مستقل ، وتألق حضاريا بداية من عام ٤٠٠٠ ســنه ق ٠ م – وكــان أفــراده على داريه كاملة بفنون الزراعة والرعي واســتئناس بعــض الحيوانات إلى جانب إتقانهم لصناعات وحرف يدوية مختــلفة مع إدراكهم لعلوم إنسانية عديدة وعلى الأخص علم الفلك وكيفية تحنيط الموتى ٠

(٤) **مجتمع حضارة المعادي** - واعتبره العلماء والمؤرخون أنه يمثل أواخر العصر الحجري الحديث في مصر حيث ظهر وتألق بداية من ٣٨٠٠ سنة قبل الميلاد - وكان أيضا عبارة عن مملكة ذات سلطة مركزية قوية وكيان سياسي مستقل ، وبرع أفراده في كافه الفنون والعلوم الإنسانية المختلفة إلى جانب إتقانهم للزراعة والرعي ، وبعض الصناعات والحرف اليدويـــة المتميزة بالدقة وروعة الجمال ، كما استخدموا بإتقان صوامع من الفخـــار كبيرة الحجم لحفظ الغلال ، وابتكروا مقابض من الخشب والعاج للســكاكين والخناجر والسيوف وكانت متميزة بالرقة والمتانة وذات إشكال مــتعددة لا تختلف كثيرا [كما يقول علماء الآثار الذين عثروا عليها] عن أشــكال مقــابض الأســلحة المصــنوعة حديثا في بعض مجتمعات عالم اليـــوم [١] .

---

(١) انظر في تفصيل ذلك :

- د . صوفي أبو طالب -مبادئ تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ٤١٢ - ٤١٣ .
- د . محمــود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ١٠٥ وما بعدها .
- د. محمــد عبد الهادي الشقنقيري- مذكرات في تاريخ القانون المصري - مرجع سابق ص ٨٤ وما بعدها .
- د . أحمد كمال ، د . كرم حبيب . علم الاجتماع الحضري - ١٩٧٣دار الجيل للطباعة بالقاهرة - ص ٤٦ وما بعدها .
- د. محمــود ســلام زناتي - تاريخ القانون المصري - طبعة ١٩٧٣م - كلية حقوق عين شمس ص ١١ وما بعدها .

==

إلى جانب هذه المجتمعات الحضارية – قد عثر العلماء على بعض آثار جماعات أخرى تكونت في العصر الحجري القديم وتبلورت حضاريا فـــي العصر الحجري الحديث ، وكانت منتشرة في أماكن كثيرة في جهات الـــنوبة الســـفلى ، وأسوان ، والكاب بشمال ادفوه كما أن بعضها قد كون ممـــالك قوية كانت لها نفوذ وكيان سياسي قوي في المناطق التي استقرت فيهـــا ، وبرع أفرادها المصريين في إتقان الزراعة والرعي والصناعات والحرف اليدوية المختلفة إلى جانب معرفتهم لعلوم إنسانية عديدة [1] .

وإلى جانب الطابع الحضاري المتميز لكل الجماعات التي أصبحت ممـــالك ذات كيان سياسي مستقل في العصر الحجري الحديث ، كان لكل ممـــلكة أيضا معبودها الخاص ، ورغم ذلك قد أكد معظم الباحثين وعلماء الآثار والانتروبولوجيا بأن هذا لم يؤدي إلى وجود تعصب شديد في العقائد الدينية بين كل مملكة وأخرى ، كما أكدوا أيضا بأن نظام منع الزواج بين أفـــراد القبيـــلة الواحدة لم يكن لـــه أثر في مصر رغم أن هذا النظام كان

= د . نجيـــب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى – مرجع سابـــق – ص ٢١ وما بعدها .

- J- DE Morgan – Recherches sur les origines de l'Egypte – paris 1896 – pp 14 ets.

(١) د . عـــبد الحميـــد أحمـــد زايد ، د . محمد جمال الدين مختار – الحضارة المصـــرية في العصر الفرعوني – مطبعة محمد عاطف بالقاهرة – ١٩٥٧– ص ٢٤ وما بعدها .

منتشـــر فـــي معظـــم الجماعات الإنسانية الأخرى التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم خلال العصر الحجري الحديث [١] .

وقد عبر عن خصائص وصفات الجماعات المصرية المستقلة التي كونـــت حضارات رائعة وأبرمت فيما بينها علاقات وتعاهدات عديدة بداية مـــن منتصف العصر الحجري الحديث كثير من المؤرخين الغربيين مثل هوبرت جروج ويلز [١٨٦٦ - ١٩٤٦] الذي قرر في مؤلفة عن [موجز تـــاريخ العـــالم] بـــأن[الجماعات المستقلة التي انتشرت كمدن وممالك حضارية في أرض مصر على ضفاف النيل العظيم كان أبنائها المصريين يقضـــون أيامهم كادحين في ضياء الشمس من أجل بناء حضاراتهم التي أذهلت بروعتها كل شعوب العالم على مر العصور المختلفة ... وقل أن هبط أرض أي مملكة أجنبي أو غريب ، فمن اغترب منهم لم يذق للراحة طعما، وكان كاهن كل مملكة يدير شئون الحياة وفق قواعد سحيقة القدم ، ويرصـــد النجوم ارتقابا لوقت البذور ويدرس النذر التي تتمخض عنها القـــرابين ويـــؤول ما تجئ به الأحلام من تحذيرات. وكان الناس في كل مـــلكة يعمـــلون ويعشقون ويموتون غير محرومين من أفاويق السعادة ناسين ما عانوه من تعب في بناء حضاراتهم العظيمة ، وغير عابئين بما يكنه لهم المستقبل ... وكان الحاكم في كل مملكة غالبا يتصف بالرحمة والـــرفق مـــع أبـــناء شـــعبه ، واســـتطاع بمـــا

(1) J. H. BREASTED . A histary of the ancient Egyptians london. 1915- pp 92 ets .

لديـــه مـــن حكمـــه بارعـــة أن يصـــون مملكته ويجعلها تعيش في أمان واســتقرار مـــن خلال نجاحه في عقد تعاهدات سلام وتحالف مع الممالك الأخرى التي كانت تجاور حدوده أو التي كانت تستوطن في مناطق قريبة مـــن أرض مملكته أي كان يشبه الملك بيبي الثاني الذي ظل يحكم مصر تسعين عاما في عصورها القديمة،.ونادر جدا ما كان هذا الحاكم طاغيا أوـــله طموح مغالي في قدرة يأخذ على أثره أبناء شعبه جنودا ويرسلهم عـــلى أراضي الممالك الأخرى المجاورة له ليقاتلوا في حرب شرسة من أجل أن يحتل هذه الممالك ويفرض عليها نفوذه وسلطانه . . .][1] .

ومـــن خـــلال الآثـــار التي أمكن للعلماء كشفها مثل العالم الأثري الألمـــاني زيته الذي قام بدراسات لممالك الوجه البحري – والعالم الأثري الإنجـــليزي السير فلندرز بتري الذي قام بدراسات لممالك الوجه القبلي ، والعالم الفرنسي دي مورجان الذي قام بدراسة المقابر ، قد تأكد وبدون أي شك أن مصر في العصر الحجري الحديث كانت مقسمة إلى ممالك مستقلة وأنه كان لكل مملكة حاكم أو رئيس لـــه سلطه أو نفوذ كما كان لها معبود خـــاص تعتـــبره خالق الكون – وأيضا لا يوجد أدنى شك بأنه قد أبرمت علاقـــات وتعاهدات عديدة ذات طابع سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وديـــني بين هذه الممالك بداية من منتصف العصر الحجري الحديث الذي

---

(1) H . G. wells – A short History of the world – op . cit – p . 63 .

تألقوا فيه حضاريا [١] .

وقد حفظ لنا حجر بالرمو أسماء لبعض الملوك الذين حكموا ممالك في الوجه القبلى والوجه البحري ومدى ما كان بينهم من علاقات وتعاهدات مختلفة – وحجر بالرمو هو قطعة من الديوريت محفوظة في متحف بالرمو بجزيرة صقلية وتبلغ ١/٨ حجم القطعة الأصلية وقد جمعت فيها الحوليـات الملكية ابتداء من ابتاع حور في أول عهود العصر الحجري القديم حتى ملوك الأسرة الخامسة (نفرابر كارع) في العصور القديمة وقد نقش الحجر من وجهيه : وهناك بالمتحف المصري قطعة أخرى كبيرة وثلاث قطع صغيرة ، إلى جانب القطعة الصغيرة التي اشتراها العالم الأثري الإنجليزي السير فلندرز بتري [٢] .

ومن أمثلة التعاهدات التي أبرمت بين الممالك المصرية بداية من منتصف العصر الحجري الحديث ودلت عليها الآثار التي أمكن للعلماء الحصول عليها نذكر منها ما يلي :

** التعاهد الذي أبرم بين مملكة الفيوم التي كونت حضارة راقية على سواحل بركة قارون وبين مملكة مرمدة التي كونت أيضا حضارة

(1) M.A. MURRAY – the splendaur that was EGYPT.London – 1950 – pp 11 ets .

(٢) د . نجيب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق ص ٣٦ .

متميزة في غرب الدلتا من أجل أن يسود سلام دائم ، وتعاون اقتصادي واجتماعي كامل بين شعب المملكتين ، كما يتحالفا سويا بكل ما يملكون من قوة وسلاح وعتاد في صد أي هجوم أو غزو يقع على أحدهما من عدو أجنبي ... وقد عقد هذا التعاهد تقريبا منذ ٤٠٠٠ سنة ق . م رغم أن حدود كل من المملكتين كانت غير متجاورة .

ويشير بعض المؤرخين أنه بسبب هذا التعاهد الذي استمر مدة طويلة قد تمت عمليات زواج ومصاهرة كثيرة جدا بين شعب المملكتين نتيجة لروابط الود والمحبة التي سادت بينهم من أثر هذا التعاهد [١] .

** التعاهد الذي تم بين مملكة البداري في أسيوط ومملكة العمرة بمركز البلينا بسوهاج حوالي عام ٤٢٠٠ ق . م من أجل أن يتم التحالف بينهما وتشترك كل مملكة بما تملكه من جنود وأسلحة وعتاد مع الأخرى في حالة ما إذا تعرضت لهجوم أو لغزو من عدو أجنبي قادم من خارج حدود مصر – وهذا التعاهد قد دام فترة طويلة أيضا ، وتمكنت من خلاله جيوش المملكتين من صد غزوات عديدة تعرضوا لها من قبائل بربرية كانت قادمة من أسيا وأفريقيا لسلب ونهب ما كانوا يتمتعوا به من ثروات وخيرات [٢] .

---

(1) J . BAIKIE – A history of EGYPT : 2 vols – london – 1929 – P. 29 .

(2) A. Moret – L'EGYPTE pharaonique – dans hanotaux histoire de la Nation Egyptienne, paris – 1932 – p 47 .

** التعاهد الذي أبرم حوالي عام ٤٣٠٠ ق ٠ م بين مملكة جرزة وهي حاليا قرية من قرى مركز العياط ، ومملكة حلوان الأولى [العمري] مـــن أجـــل أن يســـود ســـلام دائـــم بينهما ومنع أي قيود تعرقل التعاون الاقتصـــادي والاجتماعي والثقافي بين شعب المملكتين إلى جانب اشتراك جيش كل مملكة في الدفاع عن المملكة الأخرى إذا تعرضت لأي هجوم أو غزو من عدو أجنبي ٠

وقـــد دام هذا التعاهد فترة طويلة أيضا وساعد على إحداث تقارب وود ومصـــاهرة بيـــن شعب المملكتين كما ساهم بقدر كبير جدا في حماية المملكـــتين من الغزوات التي تعرضوا لها من القبائل البربرية التي كانت تهـــبط عـــليهم مـــن أواسط أسيا عبر صحراء سيناء لسلب ونهب ثرواتهم وخيراتهم (٢) ٠

إلى جـــانب ذلـــك قد عثر أيضا على بعض الآثار التي تفيد بوجود تعـــاهدات بيـــن الممالك الأخرى وجميعها أبرمت من أجل السلام والدفاع المشترك وتدعيم العلاقات الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والثقافية بين شـــعوب هـــذه الممالك - وعلى أساس هذه الحقائق قد قرر معظم العلماء والمؤرخين المهتمين بأصول الحضارة المصرية القديمة ٠ بأن التعاهدات الـــتي أبـــرمت في العصر الحجري الحديث بين الجماعات المصرية التي

---

(3) J. wilson – the burdes of Egypt – chicaya. 1951 – p 33 .

أصبحت ممالك مستقلة وذات طابع حضاري راقي ومتميز ، كانت من أهم الأسباب التي ساهمت بقدر كبير جدا على حماية أرض مصر من غزوات القبائل البربرية ، كما دعمت بفاعلية روابط المحبة والود والتآخي والمصاهرة بين شعوبها المصريين [١] ، وهذا كان عامل جوهري في توحيد كثير من الممالك في كيان اتحادي واحد ترتب عليه ظهور مملكة متحدة في شمال مصر ومملكة متحدة أخرى في الجنوب ، وبالتالي انقسمت مصر إلى مملكتين بعد ما كانت مقسمة إلى عدة ممالك ، أحدهما هي مملكة الشمال وضمت جميع الممالك الموجودة في شمال مصر والأخرى مملكة الجنوب وضمت جميع الممالك الموجودة في جنوب مصر – وقد أطلق المصريون على ملوك هاتين المملكتين لقب [اتباع جور] – وكان من المظاهر الواضحة في كل من المملكتين وجود عاصمة كل منهما في أقصى مكان حدودها كما أن النيل أو أحد فروعه كان يقسم كلا من العاصمتين إلى قسمين وأنه كان يعبد في أحد القسمين أحد الآلهة التي تحمي المملكة بينهما يعبد [حور] في القسم الثاني ، فالعاصمة في الجنوب

---

(1) David kahn – scientists of cods Analysis- civilired study – New york – 1966 – pp 12 ets .

د . محمد عبد الهادي الشقنقيري – مذكرات في تاريخ القانون المصري – مرجع سابق – ص ٨٤ .

د . صوفي أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٤١٢ وما بعدها .

د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق ص ١٠٥ وما بعدها .

[نخـــب] وهي الكاب حاليا بشمال ادفو بقليل على الضفة الشرقية حيث كـــان مقر الآلهة [نخبت] يقابلها على الضفة الغربية [نخن] حيث مقر المعـــبود [حور] ، وعاصـــمة الشمال [دب Dep] وهي بوتو في شمال غرب الدلتا حيث مقر الإلهة [ودجيت] يقابلها من الناحية الأخرى [بي] حيث مقر المعبود [حور] .

وكان لكل من المملكتين بيت مال خاص – فللجنوب البيت الأبيض وللشـــمال البيت الأحمر [(١)] . ويقول معظم العلماء والمؤرخين بأنه كانت توجد مظاهر عديدة أخرى متشابه بين المملكتين وأن هذا قد أدى في نهاية الأمـــر إلى توحيد المملكتين في مملكة واحدة ، أي توحيد كل أجزاء مصر فـــي كيان سياسي واحد وكان ذلك في عام ٣٢٠٠ ق . م – وبهذا التوحيد الشـــامل لـــلقطر المصـــري ، خرجت مصر من أزمان العصر الحجري الحديـــث الـــذي يطـــلق بعض المؤرخين على عهده الأخير عصر ما قبل الأســـرات ، ودخلت أعتاب العصور القديمة التي شيد فيها أبنائها إنجازات حضـــاريةأخرى هائـــلة تـــألقت بهـــا مصر وأصبحت من أروع وأرقى حضارات العالم القديم [(٢)] .

---

(١) د . نجيـــب ميخـــائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق ص ٥١ .

(2) J. H. Breasted – A History of Egypt . op . cit – p . 54 .

وإذا كانت التعاهدات السابق الإشارة إليها قد تمت بين الممالك المصرية - فليس معنى هذا أنه كانت لا توجد علاقات وتعاهدات سياسية واقتصادية وتجارية بين هذه الممالك والممالك الأخرى التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم وكانت تعاصر وجودها - بل على العكس قد كشفت الآثار عن وجود هذه التعاهدات وعلى الأخص التي أبرمت بين بعض الممالك المصرية والممالك الأخرى التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين [١] ولا يضاح ذلك سوف نشير إلى هذه التعاهدات عند تعرضنا للجماعات الحضارية الأخرى التي كونت ممالك في العصر الحجري الحديث وعاصرت الممالك المصرية التي وجدت في الشمال والجنوب .

(1) H . G. wells – A short History of the world – op . cit – p 61 .

المبحث الثاني
جماعات العصر الحجري الحديث
في بلاد ما بين النهرين

****

بـــلاد ما بين النهرين هي المنطقة التي كونها نهران كبيران ، هما نهـــر دجـــلة والفرات ، وفي الوقت الذي بدأت تظهر حضارة الجماعات الإنسانية في تلك البلاد ، كانا النهرين يصبان مأهما في الخليج الفارس في عدة فروع منفصلة عن بعضها ، كما كانت توجد في تلك البلاد مستنقعات عديدة تغطي أجزاء كثيرة من إرجائها ، وهذا قد جعل الجماعات الإنسانية الـــتي تكونت فيها منذ ما يقرب من ٦٠٠٠ سنة تبني مدنها على الأرض المحصورة بين النهرين وفي مناطق مرتفعة بعيدا عن المستنقعات .

يجمـــع العلماء والمؤرخين بأن حضارة بلاد ما بين النهرين موغلة في القدم وأنها قد توازت مع الحضارة المصرية القديمة ، الأمر الذي جعل الحضـــارتين يمـــثلان أولى حضارات العالم القديم – وإن أول شعب سكن بـــلاد مـــا بيـــن النهرين وكون جماعات إنسانية مستقلة منذ بداية العصر الحجـــري القديـــم ، وهذه الجماعات تألقت حضاريا في العصر الحجري الحديـــث هـــم السومريين ، وغيـــر معـــروف على الوجه الدقيق أصلهم الحقيقـــي [١] – وإن كان العلماء يشير بأنهم قد أتوا كقوم مهاجرين ليعيشوا

---

(1) A. Aymard et j . Auboyer – histoire generale des civilisations Tome 1 – op . cit – pp . 135 ets .

في السهول والوديان الخصبة على ضفاف النهرين ، وأنه يحتمل أن يكون موطنهم الأصلي مرتفعات فارس أو المنطقة التي تقع وراء الخليج الفارسي أو أنهم من أجناس سكان البحر الأبيض المتوسط لوجود شبه كبير بين بعضهم وسكان البحر من حيث الرءوس المستطيلة أو أنه من أصل الجنس الارمني لوجود شبه كبير بين بعضهم الأخر وأشخاص هذا الجنس من حيث الأنف الكبير والرأس المستديرة ، وأن هذا النوع الأخير كان هو النوع الأرستقراطي الذي يعجبون به ، لأنه النوع الوحيد الذي كان يظهر بانتظام في أقدم التماثيل القديمة وفي النقوش التي يظهر فيها المثل الأعلى لهم – ولكن أمام التطور الحضاري الهائل والموغل في القدم الذي حققه سكان هذه البلاد قد قرر معظم العلماء والمؤرخين بأنه يجب الإمساك عن الحكم بأن السومريين قد أتوا بلاد ما بين النهرين مهاجرين مع أجناس أخرى لأن إبداء أي رأي في هذا يجب أولا الربط بين حضارة السومريين وحضارة أخرى أقدم منها خارج منطقة بلاد ما بين النهرين، وحيث لا يوجد ذلك على الإطلاق أي لا توجد حضارة أقدم من حضارة السومريين في المناطق التي يقال أنهم قد نزحوا منها فلا يمكن بذلك الحكم بحقيقة أصلهم أو أنهم قد أتوا مهاجرين لبلاد ما بين النهرين من منطقة معينة [١] .

لقد كون شعب بلاد ما بين النهرين حضارة من أروع حضارات العالم القديم يمتد جذورها منذ بداية العصر الحجري القديم مثل حضارة تل الحلف في الشمال الغربي على نهر الحابور إحدى روافد نهر الفرات ،

(1) Ralph linton – TREE of culture – op. cit – pp 213 – 215 .

وحضـــارة تل العبيد في الجزء الأسفل لوادي ما بين النهرين ، وحضارة اروك التي تقع على بعد ٣٥ ميلا شمال تل العبيد ، وحضارة جمدة نصر التي تقع بالقرب من مدينة بابل [١] – وهم قد عرفوا الكتابة التصويرية في العصـــر الحجري الحديث مثل شعب مصر ، وكان يكتبون على ألواح من الطيـــن ثم يضعون هذه الألواح في النار لحرقها حتى تصبح صلبة وغير قابـــلة للفـــناء بســـهولة ، في حين كان المصريون يكتبون على الجدران وخاصة جدران المعابد ، وعلى شقائق من نبات البردي الذي يعتبر أول ما عـــرف مـــن أنـــواع الورق ، كما عرفوا أيضا البرونز والنحاس والذهب والفضة وصنعوا منه مثل شعب مصر أشياء كثيرة إلى جانب إتقانهم لفنون الـــزارعة وتربية المواشي والأغنام واستئناس بعض الحيوانات وإدراكهم لعلوم إنسانية عديدة [٢] .

وفي ذلك يقول العالم الفرنسي جاك ريسلر في مؤلفه عن الحضارة العـــربية[نحن وجميع شعوب العالم مدينون لشعوب بلاد ما بين النهرين القديمـــة بالكـــثير مـــن العـــلوم الإنســـانية لما أسدوه من فخر وابتكار لاختراعات عديدة– فهم أول من ابتكروا تقسيم الدائرة إلى ثلثمائة وستين درجـــة ، وهم أول من قاموا بتقسيم السنة إلى أشهر وهم أول من قاموا

---

(١) د ٠ محمـــد السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ٠ مرجع سابق – ص ٢٨٢ وما بعدها ٠

(2) H. G. wells – A short History of the world – op . cit . pp 60 – 61 .

بتقسيم الشهر إلى أسابيع ، ثم قاموا بتقسيم الأسابيع إلى أيام ، وتقسيم الأيام إلى ساعات ، والساعات إلى دقائق ، والدقائق إلى ثوان ، وبأنه من خلال هذا التقسيم قد فتح الباب أمام المؤرخين والعلماء لكي يسجلوا تاريخ الإنسانية منذ بداية ظهور الوجود البشري في هذا الكون] [١] .

وعلى هذا الأساس تعتبر مصر وبلاد ما بين النهرين أقدم المجتمعات الإنسانية التي أسست البذور الأولى للحضارة العالمية منذ أقدم العصور – ليس بسبب الجو المعتدل وسهولهما الخصبة فقط وإنما يرجع أيضا إلى عوامل أخرى هامة موجودة في طبيعة شعب كل منها وهي الكفاح وسعة الفهم وسهولة الإدراك ومهارة الوصول إلى الاختراعات والابتكارات والقدرة الفائقة على العطاء بلا حدود ليكتبوا مجدهم بأيديهم – وفي ذلك يقول أرنولد توينبي في مؤلفه الحضارة في الميزان ٠٠ بأن [بناء الحضارات لم يكن راجعا فقط إلى عوامل مادية أو بيئية ، وإنما إلى عوامل أخرى بيولوجية ونفسيه في طبيعة أفراد الجماعات التي صنعت هذه الحضارات – لأنه مثلا إذا كان هناك تشابها واضحا بالطبع بين الظروف الطبيعية السائدة في الوادي الأسفل لنهر النيل والسائدة في الوادي الأسفل نهري دجلة والفرات وهما الواديان اللذان كانا مهدا للحضارتين المصرية والسومرية – فلو كانت الظروف الطبيعية هي السبب الحقيقي في ظهورهما وجعلتهما أولى الحضارات الإنسانية ٠٠٠

---

(١) جاك ٠ س ٠ ديسلر ٠ الحضارة العربية ٠ مرجع سابق – ص ١٢ ٠

فلماذا لم تظهر حضارة مماثلة لها في ذات التوقيت في كل من وادي الأردن ، وريوجراند وكلاهما له ظروف طبيعة مماثلة لظروف هذين الواديين الأوليين] (١) .

والجماعات السومرية التي تألقت في العصر الحجري الحديث بعد أن خرجت من أزمان العصر الحجري القديم حوالي عام ٦٠٠٠ ق٠م كانت كل جماعة منها بعد أن ازداد عدد أفرادها عبارة عن دولة أو مملكة ذات يكان سياسي مستقل ، ومحاطة بسور ضخم مشيد من الطوب اللبني وواجهته مغطاة بطبقات قليلة من الطوب المحروق الأحمر ، وكان لها ملك خاص يملك نفوذ وسلطة قوية ويدير شئونها بحكمة واقتدار ، كما كان لها كهنة خصوصيون يتولوا أمور العبادة وإقامة الطقوس وغرس القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية في نفوس الأفراد – ومن أهم هذه الدول أو الممالك التي كشفت عن حضارتها آثار عديدة [أور ، لارسا ، اريدو ، أما ، لاجاش] – وهذه الدول الصغيرة قد أبرمت فيما بينها علاقات وتعاهدات عديدة كان بعضها من أجل أن يسود السلام والأمن والاستقرار داخل أقليم كل منها ، مع نشر التعاون بينها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وتدعيم روابط الود والمحبة والأخوة بين شعوبها – والبعض الأخر كان من أجل التحالف بينهما في صد أي هجوم أو غزو يقع على إحداهما من عدو أجنبي وذلك لأن هذه الدول نتيجة تألق حضارتها كانت تتعرض لغزوات عديدة من قبائل همجية كان أكثرها من البدو يقطنون

(1) ARnold toymbee – civilization on trial – ap . cit – p . 19 .

الشمال الشرقي من أوروبا والشمال الغربي من أسيا ، وكانوا يقومون بهذه الغزوات من أجل سلب ونهب خيراتها (١) .

بالإضافة إلى ذلك قد كشفت الآثار أيضا عن وجود علاقات وتعاهدات خارجية بين هذه الدول الصغيرة وبين المجتمعات الأخرى التي كانت على هيئة مدن مستقلة أو ممالك صغيرة ومتطورة حضاريا وعلى الأخص التي كانت منتشرة في الشام ومصر ، وذلك من أجل توفير السلام والأمن بينهما ، وتدعيم التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين شعوبهما ... وفي ذلك يقول رالف لنتون في مؤلفه عن [شجرة الحضارة] .. بأنه [لا يوجد أدنى شك في أن الدول الصغيرة التي تكونت في بلاد ما بين النهرين في العصر الحجري الحديث قد قامت بعلاقات وتعاهدات كثيرة مع المجتمعات المستقلة الأخرى التي كانت توجد في الشرق أما من أجل تحقيق سلام دائم بينها وبين هذه المجتمعات ، أو من أجل تحقيق تعاون تجاري أو اقتصادي أو اجتماعي معها .. وكل الحقائق تشير بأن أكثر هذه العلاقات والتعاهدات التي أبرمتها هذه الدول كانت مع الممالك المصرية ، وكانت قوية ودامت فترة طويلة تزيد عن ١٥٠٠ سنة بدون أن تتعكر أو يصبها أي فتور ...] (٢) .

---

(1) L. Delaporte – la mesopotamie . les civilisation, Baby lonienne et assyrienne – paris – 1923 – pp 38 ets .
(2) Ralph linton – TREE of culture – op . cit p 208 .

وإذا كـــانت العلاقـــات والـــتعاهدات الـــتي أبرمت بين هذه الدول الصـــغيرة عديـــدة نـــتيجة الارتباط الإقليمي الذي يجمعهم ومتنوعة إزاء المصـــالح والعوامل الإنسانية التي كانت تقرب بينها – فحتى لا نطيل في عرضها سنكتفي لإثبات حقائق وجودها وتطورها في الأمثلة التالية :

فـــي عام ٣١٠٠ ق ٠ م أبرمت معاهدة سلام وتنظيم حدود بين الملك [انايتم Eannatum] حاكم دولة [لاجاش Lagash] وبين ملك دولة [أما Uma] – وأحـــداث عقدها تتلخص في أنه قد حدث خلاف حاد بين الدولتين بسبب النزاع على حدود كل منها ، أدى إلى نشوب حرب طاحنه بينهما استمرت سبعة سنوات وانتهت بانتصار جيش دولة [لاجاش] على جيـــش دولـــة [أما] ، وعقـــب هذه الحرب وما ترتب عليها من خراب ودمـــار، سعى الطرفان إلى تحقيق الصلح من أجل توفير سلام دائم بينهما لتجـــنب العودة مرة أخرى إلى المنازعات والحروب وبعد المفاوضات التي تمت بين مندوبي شعب الدوليتين عقدت هذه المعاهدة بحضور الملكين وممثلين سياسيين عن الشعبين في عام ٣١٠٠ ق ٠ م ، ونقشت نصوصها وأحكامها على الحجر الأصم :

١- أن يسود سلام دائم بين الدوليتين ، وتتعهد كل دولة بالا تعود مرة أخرى بعد ذلك بالاعتداء أو شن الهجمات على الدولة الأخرى ٠

٢ - أن تـــتعهد كل دولة بالا تجور على حدود الدولة الأخرى أو تسعى لضم أي جزء من إقليمها أو تدعي سيادتها عليه في المستقبل ٠

٣ - تلــتزم كل دولة باحترام استقلال الدولة الأخرى وإن تعترف اعترافا كاملا بسلطاتها وسيادتها على شعبها وإقليمها .

٤ - تحترم كل دولة رعايا الدولة الأخرى ، ولا تقوم بأي أعمال إجــرامية لأي شخص يتواجد على إقليمها من شعب الدولة الأخرى سواء كان متواجد على أرضها بقصد الزيارة أو للقيام بأعمال تجارية .

٥ - أن تتعهد كل دولة وشعبها بالا تتخذ طريق استخدام القوة إذا حــدث نزاع أو خلاف بينهما ، وإنما تلجأ إلى الطرق السليمة بالمفاوضة والوساطة ثم التحكيم إذا لم يتم إنهاء النزاع بالتفاهم الودي .

٦ - تلتزم كل دولة بتنفيذ الحكم الصادر من هيئة التحكيم وتعتبره حكما قانونيا نهائيا ، ولا يجوز لها أن تتحلل منه أو تدعى بعدم صلاحيته ، بــل تقــر بأنه يمثل مرحلة نهائية لحسم النزاع القائم بينهما بعد عدم نجاح المفاوضة والوساطة في فضه .

وبالإضــافة إلى ذلك قد تضمنت هذه الاتفاقية إحكاما أخرى كثيرة منها قواعد لتعيين الحدود بين الدوليتين ، والشروط الخاصة بكيفية الالتجاء إلى التحكيم لحسم المنازعات التي تحدث بينهما في المستقبل ... وقد وقع الملكين باعتبارهما ممثلين عن شعب الدولتين على هذه المعاهدة ، بعد أن تعهد كل منهما باسم الهنه بأن يحترم قواعدها ويلتزم بكل أحكامها ولا يخل مطلقا بأي نص من نصوصها في المستقبل .

وفـــي ضوء هذه الاتفاقية يتضح أن قواعد تعيين الحدود بين الدول وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية لم تكن وليده العصور الحديثة بل عــرفت في غضون أزمان العصر الحجري الحديث ، وطبقت بين الدول الصــغيرة المســتقلة التي وجدت في منطقة بلاد ما بين النهرين منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد [١] .

---

(١) مشـــار إلى هـــذه المعـــاهدة ونصوصها بالكامل في مؤلفنا ، البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية (رسالة دكتوراه) طبعة ١٩٨٨ كلية حقوق ، جامعة عين شمس – وأيضا في مؤلفنا ، العلاقات الدولية في العصور القديمة طبعة ١٩٩٠ ، دار النهضة العربية المصرية ص ٥٣ – ٥٥ .

– ولزيادة التفاضل عنها انظر :

- R. G. Colling wood – the idea of History – op. cit 0 pp 45 – 48 .
- L. Delaparte – le mesopotomie , les civilisations baby loniens et assurienne – paris – A. Michel – 1923 – pp 143 – 151 .

– د ، صـــلاح الدين عامر – مقدمة لدراسة القانون الدولي العام ١٩٧٤م– دار النهضة العربية ص ١٤ .
– د ، محمـــد طـــلعت الغنيمي ، الأحكام العامة في قانون الأمم ١٩٧٠ – منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٤٠ .
– د ، عبد العزيز سرحان ، القانون الدولي العام ، مرجع سابق ص ١١
– د ، عـــلى صـــادق أبـــو هيف ، القانون الدولي العام– ١٩٧٥ – كلية الحقوق – جامعة الإسكندرية ص ٣٤ .
– د ، حســـني محمد جابر ، القانون الدولي العام ، القاهـــرة ١٩٧٧ ، ص ٣٢ ، ص ٣٤ .

** فــي عــام ٢٩٠٠ قــبل الميلاد أبرم تحالف بين ملوك الدول الصــغيرة المســتقلة في بلاد ما بين النهرين - وذلك من أجل يتكاتفوا في صــد أي عــدوان يقع على أرض أي دولة منها وقد تضمن هذا التحالف نصوص عديدة منها ما يلي :

(١) أن تلــتزم كل دول بأن تساعد بكل ما تملكه من مال وسلاح وعتاد ومؤن أي دولة أخرى تتعرض لعملية غزو من عدو خارجي •

(٢) أن تســرع كــل دولة في المشاركة بكل جيشوها للدفاع عن أراضــي أي دولــة أخــرى إذا تعرضت لهجوم أو غزو مسلح من عدو خــارجي دون أن تنتظر أن يطلب منها ذلك من ملك الدولة التي تتعرض لهــذا الهجــوم أو من شعبها أو من الذين يمثلون هذا الشعب في حالة قتل الملك •

(٣) أن تــتعهد كــل دولة بالا تتخذ هذا التحالف ذريعة لاحتلال أراضي أي دولة أخرى بحجة حمايتها من غزو أجنبي •

ويقــول بعض العلماء والمؤرخين بأن هذا التحالف قد دام بين هذه الدول مدة طويلة تزيد عن خمسة قرون وأنه قد ساعد بقدر كبير جدا على حمايــة كيانهــا مــن الغارات المستمرة التي كانت تشن عليها من القبائل الــبربرية التي كانت تهبط على أراضيها لسلب خيراتها من ناحية الشمال الغربي لقارة آسيا والشمال الشرقي لقارة أوربا •

كمـــا ساهم بفاعلية على إبرام تعاهدات عديدة بينهما في المجالات الاقتصـــادية والـــتجارية والاجتماعية والثقافية ، وأن هـــــذه التعاهدات كانت تبرم باسم الإلهة على أساس أن هذه الدول كانت محكومة بحكومات دينية [١] .

وفـــي ذلك يقول رالف لنتون في مؤلفه شجرة الحضارة بأن [كل الـــدول الصغيرة التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين في العصر الحجري الحديث كانت حكوماتها دينية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى – حيث كـــان شـــعب كـــل دولـــة يعتقد بأنه يقع تحت سيطرة الإلهة ، لدرجة أن المعاهدات القديمة التي كانت تبرم بين هذه الدول كانت تعقد دائما كما لو كـــانت اتفاقـــات بيـــن الهتها – وكانت أسماء الملوك البشر لا تذكر في الغالب، وإذا ذكرت كانت تلي أسماء الإلهة ٠٠٠٠] [٢] .

وعلى هذا الأساس كانت توجد علاقات والتعاهدات بين الجماعات الإنســـانية التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين – وتألقت حضاريا بعد أن كونـــت دول أو ممالك صغيرة مستقلة في غضون أزمان العصر الحجري الحديـــث – وأن هذه العلاقات والتعاهدات قد استمرت بينهما فترات طويلة إلى أن اتحـــدوا في كيان سياسي واحد في مطلع العصور القديمة على يد الأســـرة البابـــلية خـــلال الفترة من ١٨٣٠ – ١٨١٠ ق ٠ م ، وأصبحت

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – p 62
david kahn – scientists of code...... op. cit – pp 140 – 142 .
(2) Rolph Linton – TREE of culture – op . cit – p . 213 . p 225 .

بالــتالي بلاد ما بين النهرين دولة متحدة ، وقامت أيضا بدور هام جدا في إبــرام العلاقات والتعاهدات العديدة مع الدول الأخرى التي تألقت حضاريا في العصور القديمة وعلى الأخص في منطقة جنوب غرب أسيا وفي جزر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط .

المبحث الثالث

الجماعات الصينية في العصر الحجري الحديث

****

تعتبر سهول الخصبة لنهر (هوانغ – هو) الذي يطلق عليه النهر الأصفر والتي تشتمل على مقاطعات [شنسي ، وشانسي ، وهويبي ، وكيانجسي ، وشانتونج ، وهونان] هو الموطن الأصلي للصينين من الناحيتين العرقية والتاريخيه ، كما تعتبر الأساس الأول لنمو جذور حضارتهم التي ازدهرت وتألقت بخطوات متسعة منذ بداية العصر الحجري القديم وأصبحت من أروع وأرقى الحضارات الإنسانية على مر عصور التاريخ [١] .

والحضارة الصينية لم تكن عميقة الجذور فقط ، بل أنها ذاتية الأصول أيضا ، حيث أن الحقائق تشير بأنها لم تستمد أى أسس أو أي مقومات خارجية من حضارات أخرى أقدم منها لأنها غرست ونبعت وتأصلت منذ عهودها الأولى وحتى القرن السابع قبل الميلاد في بيئة صينية الأصل ، وبكفاح شعبها القديم الذي كون مجتمع إنساني قام على الترابط والأخوة والمحبة الشاملة – وبالتالي تعتبر الحضارة الصينية متميزة الميلاد في العالم القديم ، ولم تكن مثل الحضارات الأخرى التي تأثرت بالحضارات الأقدم منها مثل الحضارات الحيثية والإغريقية والفارسية والرومانية التي استمدت معظم أصولها من الحضارات الشرقية

---

(1) walter A. Fairservis – the origins of origntal civilization – op . cit – pp 136 ets .

الأقــدم مــنها بآلاف السنين وعلى الأخص مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين [١] .

وقــد حــاول بعض المؤرخين والعلماء الغربيين الحاقدين على ما وصــلت إليــه الحضــارة الصينية من مكانه أن يثبتوا عكس ذلك بعد أن أشــاروا في مؤلفاتهم بأن الحضارة الغربية بعد أن تطورت قد انتقلت عبر جــنوب شرق أسيا واتجهت تصوبا ناحية حوض وضفاف النهر الأصغر وأحدثت به هذه الحضارة إلا أنهم فشلوا تماما وخاب ظنهم لأنهم لم يتمكنوا بعــد جهود مضنية من الحصول على أي دليل يؤكد لهم من بعيد أو قريب بــأن الحضــارة الصينية مستمدة أصولها من الحضارة الغربية أو أنها قد اقتبست أي أصول حضارية من أي مجتمع حضاري آخر [٢] .

والســبب الذي يؤكد بأن الحضارة الصينية ذاتية الأصل يرجع إلى أن الشــعب الصــيني القديم كان لا يعلم بوجود مجتمعات حضارية أخرى غيــره ، وظل هذا الاعتقاد في أذهان هذا الشعب حتى أنفتح لأول مرة في تاريخــه عــلى العالم الخارجي في القرن السابع قبل الميلاد ، وعلى هذا الأساس يقول اندريه إيمارد في مؤلفه عن [تاريخ الحضارات العام] وهو يميــز بين الحضارة الصينية والحضارة الهندية . بأن [الحضارة الهندية كــانت لهــا مــنذ بداية ظهورها علاقات عديدة مع المتجمعات الحضارية

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 3 – 7 .
(2) Walter A. Fairservis – the oriyins of oriental civilization . op . cit – p . 21 .

الأخرى التي انتشرت في مناطق عديدة في شرق وغرب العالم القديم .. أما الحضارة الصينية فكانت على النقيض تماما لأنها نمت وازدهرت وتألقت وهي تدير ظهرها لكل المجتمعات الحضارية الأخرى وعلى الأخص التي كانت موجودة على سواحل البحر الأبيض المتوسط واتجهت بنظرها فقط صوب المحيط الهادي ... واستمر هذا الوضع ولم ترتبط بأي علاقات وطيدة مع المجتمعات الغربية المتحضرة إلا بصفة غير مباشرة في العهود الأخيرة لعصر إمبراطورية هان ...] [1] .

بالإضافة إلى ذلك إنه لم يثبت على الإطلاق بأن أي شعب من الشعوب الأجنبية المتحضرة قد سبق أن دخل أو احتل أو فرض نفوذه على سهول النهر الأصفر منذ أن بدأت أسس الحضارة الصينية تنموا وإلى أن ازدهرت وتألقت – كما لم يكن الصينيون القدماء غزاه فاتحين ونقلوا حضارات المجتمعات التي فتحوها إليهم مثل بعض الشعوب الأخرى التي أنشأت دول وإمبراطوريات بالحروب والغزو والفتح كالهكسوس والإغريق والرومان والحيثيين والفرس وكونوا حضارة مقتبسة من مصر وبلاد ما بين النهرين أي صنعوا حضارة على أكتاف غيرهم من الشعوب .

وعلى هذا الأساس قام الشعب الصيني القديم بتأسيس حضارته بجهوده الذاتية منذ بداية العصر الحجري القديم وحقق بسواعده القوية وعزيمته الثابتة إنجازات رائعة للحضارة العالمية فهو أول شعب ابتكر

---

(1) A. Aymard et j . Auboyer – Histoire Generale Des civilisations – op . cit . 554 .

فـنون مـتميزة فـي شـق الترع والقنوات وإقامة الجسور والسدود ضد الفيضـانات ، وأتقـن بجداره عمليات استصلاح الأراضي وتمهيد التربة وزراعـتها بمحاصيل زراعية عديدة ومتنوعة – كما أنه أول من اكتشف صـناعات هائلة مثل الحرير ، والخزف ذو الألوان والرسومات الرائعة ، والعقاقيـر الطبيبة التي تزيد عن ٣٠٠٠ نوع ، واثير التخدير ، والورق ، وفـن الطباعة ، ٠٠٠ إلى جانب اختراعات عديدة مثل البوصلة ، وجهاز قياس الزلازل ، والطاحونة المائية ، وفن الطلاء بالك ٠٠٠ بالإضافة إلى تفوقـه فـي القدرة على التحمل والصبر بعد نجاحه في بناء السور العظيم الـذي يعتبر بارتفاعاته وسمك حوائطه وطوله الذي يزيد عن عشرة آلاف كيلو متر من المعجزات التي حققها في العصور القديمة (١) .

لقـد أكدت الكشوف الأثرية – بأن بداية العصر الحجري القديم في الصين ، كان منذ ٧٠٠٠ سنة ق ٠ م بعد أن اتحد الإنسان البدائي الصيني مـع أمـثاله وتكونت جماعات فطرية تمثل أقدم أسلاف الشعب الصيني ، سـكنت فـي الـبداية الكهوف والمغارات واعتمدت في غذائها على صيد الحيوانـات وجمـع والـتقاط الحشائش وجذور النباتات ، وفي أواخر هذا العصر هبطت إلى الوديان والسهول الخصبة حول الأنهار وعلى الأخص الـنهر الأصفر واحترفت الرعي واستئناس بعض الحيوانات حتى تمكنت

---

(١) مؤلفـنا – عـن ٠ الـتاريخ العام ٠- لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة – مكتبة النهضة المصرية – بالقاهرة ص ١٨٣ وما بعدها .

من دخول اعتاب العصر الحجري الحديث منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة ، وأتقن معظمها فنون الزراعة [١] .

وبعـد أن ازداد عدد أفراد هذه الجماعات ، أصبحت عبارة عن : عشائر وقبائل انتشرت في مناطق عديدة وعلى الأخص في الوادي الأسفل للـنهر الأصـفر - وكانت كل قبيلة أو عشيرة عبارة عن دولة صغيرة أو أمـارة لهـا كيان سياسي مستقل تماما ، وسلطة مركزية برئاسة شيخ أو زعيم أو قائد يتم تعيينه بالاختيار ليدير شئونها ويحل مشاكلها وينظم العمل بين أفرادها إلى جانب قيامه برئاسة الطقوس الدينية الخاصة بها [٢] - ومن أهـم هـذه القبائل والعشائر التي كشفت عنها الآثار وسجلت إنجازاتها في صفحات التاريخ ما يلي :

- **عشيرة بانبوه** : عـاش إفرادها في البداية من حوالي ٦٠٠٠ سـنة بالقرب من مقاطعة شنسي في حوض النهر الأصفر - ويقول بعض المؤرخين ، بأن الزراعة قد بدأت تظهر في الصين منذ عهد هذه العشيرة- بعـد أن أتقـن أفـرادها عمليات تنظيف الأرض من الأعشاب والأشجار

---

(١) تاريخ الصين - الجزء الأول - إعداد مجموعة من علماء التاريخ في الصين الطـبعة الأولى ١٩٨٦ م - مطـبعة اللغات الأجنبية - بيكين - قامت بنشرة مجـلة بـناء الصين - وتم توزيعه من خلال الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزي شوديان) بيكين - ص ١ - ٤ .

(٢) جيـان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مرجع سابق ص ٣ .

باســتخدام الــنار ، ثم تمهيدها بالرفش الحجري ، والمعزقة الخشبية ودس البذور فيها بالعصا الخشبية المدببة – ونجحوا في زراعة محاصيل عديدة مثل القنب ، والذرة التي اعتبرت بها الصين أول مجتمع قام بزراعتها في العالم القديم .

- **عشيرة داونكو** : عاش أفرادها في بداية حياتهم بالقرب من مــنطقة [شــا ندونــع] من حوالي ٦٠٠٠ – ٥٠٠٠ سنة ، وشهدت هذه العشــيرة مدى التحول الاجتماعي من نظام الأسرة الأمية إلى نظام الأسرة الأبويــة ... وقد تمكن أفرادها من زراعة محاصيل عديدة ، وحصدوها بســكاكين مــن الحجر ومناجل من العظام والاصداف ، كما تطوروا في أعمــال الصــيد وتــربية المواشــي والأغنام والدواجن ، وأتقنوا صناعة الفخاريــات والحجريات ونحت اليشم والعاج إلى جانب بعض الصناعات الخشبية التي تميزت بالمتانة وجمال الشكل .

- **قبيلة (خمودو)**... تكونت في الفترة ما بين ســنــــــــة [٦٠٠٠ – ٥٠٠٠] وتمركزت في منطقة تقع بالقرب من محافظة[يوباو] الحاليــة الــتابعة لمقاطعــة [تشــجيانغ] الــتي تقــع بشرق الصين في حــــــــوض نهر [اليانجسني] ... وقد عاش أفرادها حياة مستقرة تعــتمد على الزراعة وتربية المواشي والأغنام بالإضافة إلى الصيد البري والمائي ، كما أتقنوا صنع المنحوتات العاجية البسيطة – وسكنوا في بيوت أنيقة من الخشب .

- **قبيلة يانغشاو** .. تكونت خلال الفترة من [٦٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة] واستقرت في منطقة قريبة من مقاطعة شانسي ، وقد احترف أفرادها فنون الزراعة وصنع الفخاريات الملونة ٠

- **قبيلة ينووا** : تكونت خلال الفترة من[٦٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة] وتمركزت في منطقة قريبة من مقاطعة [شانتونج] ، [وقد ورد في الأساطير الصينية أن ينووا هي أم البشر وكانت عبارة عن امرأة في جسم أفعى، وقامت بترميم السماء ، وأن أفراد هذه القبيلة كانوا يعبودنها عبادة مقدسة مليئة بالخوف والرهبة ، ولذلك سميت القبيلة باسمها في أعماق التاريخ] - وقد تمكن أفراد هذه القبيلة من ابتكار فنون عديدة من خلال الأشغال اليدوية مثل صنع بعض الأدوات من قرون وعظام الحيوانات ، ومن الأحجار والأخشاب وهذه الأعمال قد تميزت بالروعة والجمال والإتقان ٠

قبيلة لونغشان : ظهرت في الفترة ما بين[٥٥٠٠- ٤٥٠٠ سنة] وسكنت بالقرب من مقاطعة هوبي ، وقد شاهدت أيضا التحول من نظام الأسرة الأمية إلى نظام الأسرة الأبوية بعد أن استقرت وتعلم أفرادها فنون استصلاح الأراضي وزراعتها بمحاصيل عديدة ومتنوعة إلى جانب تميزهم بمهارة فائقة في أعمال الصيد البري والمائي٠

عشائر وقبائل منطقة قانسو : التي تقع على المجرى الأعلى للنهر الأصفر عند ملتقى الهضاب الثلاثة الكبرى وهي [تشينغهاي - التبت

ومـــنغوليا الداخـــلية – الـــتراب الأصفر] في منطقة شرق الصين – وقد تكونـــت هـــذه العشائر والقبائل خلال الفترة من سنة [٦٠٠٠ – ٤٠٠٠] ونجـــح أفـــرادها بمهـــارة في استئناس بعض الحيوانات وتربية المواشي والأغنام إلى جانب تعلمهم بعض أنواع الزراعات الموسمية وصنع بعض الأدوات الحجرية والفخارية .

__قبيلة فوشي :__ تكونت في الفترة ما بين سنة [٦٠٠٠ – ٥٠٠٠] تقريـــبا . وتمركـــزت في محافظة قريبة من مقاطعة هونان واتقـــن أفـــرادها أيضا الزارعة والرعي إلى جانب اشتهارهم بفن الحرف اليدوية المختـــلفة وإتقـــانهم لأعمال النقش والحفر على جدران الحوائط والاحجار والأخشاب [١] .

---

(١) الصـــين ... حقـــائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – دار النشر بالغات الأجنبية – بكين – الصين ١٩٨٨ – ص ١ وما بعدها .

– وليـــام لانجـــر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – طبعة ١٩٥٦ – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – بنيويورك – ترجمة د / مصطفى زياده– القاهرة ١٩٦٢ – دار النهضة المصرية ص ١٠٤ وما بعدها .

مؤلفـــنا – الـــتاريخ العـــام لأهم خصائص ونظم وقواني الحضارة الصينية – مرجع سابق – ص ٤٩ – ص ٥٢ .

- A.Aymard,et j . Auboyer – Histoir generale des civilisations op . cit – pp 571 ets.
- welter . A. fairservis – the arigins of arienatal civilisation – op . cit . pp 38 ets.

وفـــي النصف الثاني من العصر الحجري الحديث أقيمت علاقات وتعـــاهدات عديـــدة بيـــن هذه القبائل بعد أن ازدادت تطورا في النواحي الاقتصـــادية والاجـــتماعية والسياسية والثقافية وتبلورت حضارتها بشكل مذهـــل ، ونجـــح أفـــرادها في زراعة محاصيل عديدة كانت بعضها غير معـــروفة في المجتمعات الحضارية الأخرى ، كما برعوا في الطب وفي صناعات عديدة اشتهروا بها مثل المنسوجات الحريرية والخزف الملون ، وصهر المعادن ، وأقاموا في مساكن بنوها من الحجارة والطين والأخشاب بإشـــكال أنيقة ورائعة ، ووضعوا فيها أثاثات مصنوعة من الخشب وأواني مصنوعة من الفخار الملون كالاطسات ، ومن الخزف كالأبرايق والأكواب والمغارف والأطباق المسطحة ، بالإضافة إلى قيامهم بتشيد بنايات ضخمة عـــلى نمـــط القصـــور الفاخرة التي مثلت اعلى مستويات البناء في العالم القديـــم [١] .... وجميع هذه العلاقات والتعاهدات كانت أما من أجل نشر السلام الدائم بين هذه القبائل والعشائر ، أو بهدف عقد تحالف دفاعي بينهما لصـــد أي هجوم أو غزو يقع على أحدهما من القبائل البربرية التي كانت تشن غارات بين الحين والآخر على أقاليمهما لسلب ونهب خيراتهما ، وأما من أجل تحقيق التعاون الاقتصادي والتجاري والاجتماعي والثقافي بينهما مـــع توفير كل السبل التي تساعد على تدعيم روابط وأواصر الود والمحبة والتآخي بين أفرادها [٢] .

---

(1) K.M.panikkar – Asia and western daminance – london 1951 – pp 466 – 479 .

(2) M. Granet – La civilisation chinoise – paris – 1929 – pp 18 ets .

وحيث أن سجلات التاريخ تحوي العديد من هذه العلاقات والتعاهدات المختلفة . وأن عرضها يحتاج إلى مؤلفات متسعة لكي تشملها تفصيليا – فإن هذا الأمر سيجعلنا نكتفي بعرض أمثلة موجزة عن بعضها كدليل لوجودها في منتصف العصر الحجري الحديث الذي يطلق عليه المؤرخون الصينيون عصر ما قبل الأسرات وذلك على النحو التالي :

*** إبرام في عام ٣٦٠٠ ق. م تقريبا كما تقول بعض المصادر التاريخية الصينية تعاهد بين رؤساء القبائل المستقلة والتي كانت على هيئة دول أو إمارات ، وكانت تقطن في أقاليم متجاورة بالقرب من مقاطعة قانسو من أجل أن يتحالفوا جميعا بكل ما يملكون من جيوش وأسلحة وعتاد ومؤن في صد أي غزو أو هجوم مسلح يقع على إقليم أحدهما من القبائل البربرية – وذلك بعد أن تعرضوا مرات عديدة لغارات هذه القبائل الشرسة التي كانت تتنقل في الصحراء والجبال مثل البدو المغول وسلبت كثيرا من ثرواتهم وخيراتهم وأصبحت تمثل تهديدا شديد لأمنهم وسلامة استقرارهم – وقد استمر هذا التعاهد فترى طويلة وساعد بقدر كبير جدا على حماية هذه القبائل من خطر هذه الغزوات [١] .

** في عام ٣٥٠٠ ق . م تقريبا أبرم أيضا تعاهد مماثل بين القبائل المستقلة التي كانت تقطن في الأقاليم المتجاورة في بعض المناطق القريبة من مقاطعات خبي وشانسي وسنسي من أجل أن يتحالفوا أيضا في

---

(1) DU méne – les religions chinoises – publ musee cuimet-Bibl – de DIFF usion . t, lv 111 – paris – 1950 – P 84 .

الدفاع عن أي قبيلة تتعرض لهجوم أو غزو مسلح من القبائل البربرية التي كانت تتحرك في الصحاري والجبال الواقعة في شمال الصين ، وذلك بعد أن هلكت من كثرة غاراتها الشرسة التي شنتها عليها وكان خاطفة ومدمره وسلب فيها الكثير من خيراتهم – وقد استمر هذا التعاهد أيضا فترة طويلة، وســاهم بقدر هائل في حماية هذه القبائل من خطر هذه الغارات وحقق لهم الأمان والاستقرار داخل أقاليمها [١] .

*** نــتيجة لانتشار عصابات خطيرة من اللصوص كانت تهاجم القوافل التجارية التي كانت تسير في الطرق الممتدة بين أقاليم القبائل التي كــانت منتشــرة فــي مناطق قريبة من مقاطعات خنان وخبي ، وأن هذه العصــابات قــد شلت حركة النشاط التجاري بين هذه القبائل بعد الجرائم الخطيــرة الــتي ارتكبتها من سلب ونهب بضائع التجار إلى جانب قتلهم لأفراد القوافل وتمزيق أجسادهم ٠ فقد عقدت هذه القبائل تعاهد حوالي عام ٢٨٠٠ ق ٠ م تقريــبا مــن أجل أن تتضافر جهودهما وقوتها في القضاء على هذه العصابات لتوفير الأمان في الطرق التي تربط بينهما ، وكان من ضــمن نصــوص هــذا التعاهد بأنه في حالة قيام أي مجرم أو مجموعة لصــوص بمهاجمــة أي قافلة تجارية تابعة لأي قبيلة تلتزم جميع القبائل الأخرى بالاشتراك مع هذه القبيلة في تعقب هؤلاء اللصوص وضبطهم في أي مكــان لقطــع رؤوســهم وتعليقها في المكان الذي ارتكبوا فيه جريمة السطو ليكونوا غبره لغيرهم ٠

---

(1) Edwin partt – christionizing china – london- 1913 – p 78.

وقد دام هذا التعاهد فترة طويلة تزيد عن خمسمائة عام وحقق لهذه القبائل فوائد عديدة في تأمين الطرق التي تربطهما وأدى إلى تنشيط حركة التبادل التجاري بينهما بصفة دائمة ومستمرة (١) .

تشير جميع المراجع التاريخية الصينية بأنه في عام ٢٦٩٧ ق٠م قد تمكـن [**هوانـغ دي**] **الملقب بالامبراطور الأصفر** من تشكيل اتحادا قبائليا تـولى زعامـته بالاختيار ، وهذا الاتحاد قد ضم معظم القبائل التي كانت منتشـرة عـلى ضفاف النهر الأصفر في مناطق غرب مقاطعة [خنان] وجنوب مقاطعة [شانسي] وشرق مقاطعات [خنان ، وخبى ، وشاندونغ] مـن أجل تدعيم التعاون بينهما في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية إلى جانب تحقيق تحالف دفاعي قوي ضد أي هجوم أو غـزو يقـع على إراضي أي قبيلة من القبائل البربرية ٠٠ مع توفير كافة السـبل الـتي تدعم روابط وأواصر الود والمحبة والتآخي بين أفرادهما – وعـلى أسـاس نجـاح [**هوانـغ دي**] في تحقيق هذا الاتحاد مع رؤساء وزعمـاء القـبائل الـتي انضمت إليه ، قد قيل عنه في جميع المأثورات الصينية القديمة بأنه سلف الأمة الصينية كلها – وقد استمر هذا الاتحاد بعد وفـاة [**هوانـغ دي**] حيث تولى زعامته بالاختيار أيضا [**ياو**] في عام ٢٣٥٦ ق ٠ م – وبعـد وفـاة [**ياو**] انتقلت الزعامة بالاختيار أيضا أي

---

(1) B. Karlgren – prehistory of the chiness – Bull of the museum of for Eastern N 15 – stock Holm – 1943 – p 61 .
- R. Grousset- lo chine et son art – paris- 1951 – pp 32 – 34 .

بالـنظام الديمقـراطي إلى [شون] فـي عام ٢٢٥٥ ، وبعد وفاته تولى زعامة الاتحاد من بعده بنظام الاختيار أيضا [يوي] في عام ٢٢٢٥ ق٠ م – وبعد وفاة [يوي] تولى زعامة الاتحاد من بعده في عام ٢٢٠٥ ق٠ م ابـنه [تشي] بالوراثة وبدون أن يتم اختياره مما اعتبر أول خرق للنظام الديمقـراطي الـذي قام عليه هذا الاتحاد – وحيث أن هذا الاتحاد قد حقق تـرابط قوي جدا بين هذه القبائل فقد تمكن [تشي] من أن يفرض سلطته ونفوذه حتى نجح في أن يعلن نفسه ملكا عليها ، وأسس بالتالي أول مملكة صـينية ذات سلطة مركزية موحدة هي مملكه [شيا] ويدخل بها المجتمع الصيني في أول عصوره القديمة (١) .

وبـناء على تقدم من أمثلة هذه التعاهدات ، نجد أنها قد تمت داخل حـدود الصين فقط بين القبائل والعشائر التي أخذت شكل دول أو إمارات مستقلة ، لأن جميع سجلات تاريخ الصين تنفي تماما وجود أي تعاهد بين

---

(١) جيـان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – مرجع سابق ص ٢ – ٦ .

- تاريخ الصين – الجزء الأول – مرجع سابق ص ١ – ٥ .

- د ٠ فـؤاد محمد شبل – حكمة الصين ٠ الجزء الثالث ١٩٦٨ – دار المعارف بالقاهرة – ص ٣٥ ، ٤١ ، ٥٦ .

- ول ديورانـت – قصـة الحضـارة – الجزء الرابع ٠ ترجمة محمد بدران ٠ ١٩٦٤ القاهرة ص ١٥ وما بعدها .

- رو صـن – وحـده الإنسان في فلسفة الصين القديمة – ترجمة / محمد جلال عباس – القاهرة إبريل ١٩٨٩ ص ٢ وما بعدها .

أي دولـــة أو إمارة صينية وبين أي مجتمع آخر من المجتمعات الحضارية التي كانت منتشرة في شرق وغرب العالم القديم على أساس أن الصين قد شيدت حضارتها ذاتيا كما سبق أن وضحنا ، وكانت جميع القبائل والعشائر الصـــينية لا تعـــلم بوجـــود مجتمعات إنسانية أخرى غيرها إلا بعد القرن الســـابع قـــبل الميـــلاد - كما أن هذه القبائل والعشائر الصينية قد عشقت الـــتمركز في المنطقة التي ذاقت فيها طعم الاستقرار بعد أن دخلت أبواب العصـــر الحجـــري الحديث وعرفت بإتقان فنون الرعي والزراعة وبعض الصـــناعات والفنون التي كانت بعضها تعبر بعمق على مدى حب إفرادها في التمسك بالأرض ورفضهم بشده في الاغتراب عنها أو في النزوح إلى أي أرض غيـــر صـــينية - وعلى أساس هذا المبدأ كان الصينيون القدماء ينعـــتون أفـــراد القبائل المتجولة ويطلقون عليهم [المتبربزين] ويحزنون حـــزن شديد جدا على من يضطر إلى النزوح عن موطنه سوأ للتجارة أو للعمل حيث كانوا يعتبروه كأنه سيواجه كارثة - رهيبة [١] .

وبالـــتالي فإنه على رغم أقليمية هذا التعاهدات ، إلا أنها كانت من قـــبيل التعاهدات الدولية ، لأنها قد تمت بين دول وإمارة ذات كيان سياسي وســـلطة مركـــزية مســـتقلة - كمـــا أنهـــا [طبقا لما قرره معظم العلماء والمؤرخيـــن] قـــد ســـاهمت بقدر كبير جدا على توفير روابط قوية مليئة بالمودة والتضامن المشترك بين جميع أفراد القبائل الصينية وجعلت حياتهم

---

(1) walter A. fairservis – the origins of oriental civiliztion – op . cit – p 124 .

تســير نحو صحبه لا نهائية من المحبة والأخوة والاحترام الشامل ، وأن هذا كان من أهم أسباب اتحادهم في كيان واحد ، دخلوا به أبواب العصور القديمة التي تألقوا فيها حضاريا [1] .

---

(1) Du méme – les religiens ehinoiss – op – cit – p 91 .

المبحث الرابع

الجماعات الهندية في العصر الحجري الحديث

****

ظهـــرت في الهند حضارة إنسانية من أرقى حضارات العالم القديم تأسست مع بداية العصر الحجري القديم منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة وتألقت في النصف الثاني لعصرها الحجر الحديث خلال الفترة من ٢٥٠٠ – ١٥٠٠ ق ٠ م – وهـــي على عكس الحضارة الصينية التي تطورت ذاتيا ، وذلك لأن الهـــند كـــانت ملـــتقى هجرات الكثير من الأجناس المختلفة ، وأقامت علاقات عديدة مع المجتمعات التي كانت تجاورها في منطقة جنوب شرق أسيا منذ بداية تطورها مما جعلها تكتسب طابع إنساني متميز في العلاقات الخارجيـــة ساعد على انتشار حضارتها في أقاليم عديدة في جنوب وغرب شرق أسيا وهي في عصورها الأولى المبكرة [١] .

وحيـــث أن الســـهول والوديان الخصبة كانت منشرة فيها وخاصة حـــول ضفاف نهري السند والجانج ، فقد هاجر إلى أراضيها العامرة منذ آلاف الســـنين أجناس مختلفة جاءوا إليها من الشمال الغربي لممرات جبال الهملايا وجبال سليمان ، ومن الشمال الشرقي لمجري نهر براهما من أجل أن يذوقوا طعم الاستقرار والأمان في سهولها الخصبة ووديانها المتسعة ،

---

(1) L. Boch Hofer – Eerly idian sculpture. 2. vol. Paris – 1929.1 – 5 .

لأن أراضيها كانت صالحة للرعي والزراعة طوال العام [١] ، ومعظم هؤلاء المهاجرون كانوا لا يحملون إلا صفات حضارية قليلة للغاية وتخص العهود الأولى للعصر الحجري القديم حيث كانوا في مرحلة جمع القوت القائمة على الصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض من ثمار وحشائش ولم يبتكروا شيئا سوى أسلحة بدائية مصنوعة من الأحجار والعظام غير المصقولة [٢] .

ومن العناصر القديمة التي نزحت إلى الأراضي الهندية وسكنت في ربوعها منذ ما يزيد عن ٣٠٠٠ سنة ق ٠ م قبائل الدرافيديين الذين ينتمون إلى جنس شعوب البحر الأبيض المتوسط حيث هاجروا إليها من الغرب عن طريق ممرات جبال سليمان وهضبة بلوشتان وانتشروا في شمال الهند وخاصة في مناطق سهول نهري السند والجانج ، وقبائل البولينيزيين الذين جاءوا إليها من الجنوب الشرقي عن طريق البحر من الجزر المنتشرة في المحيط الهادي مثل جاوه وسومطره وهاواي وفيجي وساموان منذ حوالي ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد وكانوا أقتم لونا من الدرافيديين ، وقبائل المارونية الذين هجروا إليها من ناحية الشمال الشرقي وانتشروا أيضا في السهول الخصبة حول روافد نهري السند والجانج – وجميع هذه القبائل قد

---

(١) د ٠ حسن محمد جوهر ، د ٠ محمد مرسي أبو الليل – شعوب العالم – مرجع سابق – ص ١٣ ٠

(2) E.H.G. DOBBY – southeast asia – new york – 1950 – pp 27 ets .

اندمجـوا في حياة مشتركة ، وأخذوا يتطوروا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بعـد أن تمكـنوا من دخول أعتاب العصر الحجري الحديث فأتقنوا فنون تـربية المواشـي والأغنام والدواجن واستئناس بعض الحيوانات وعرفوا أسـاليب استصـلاح الأراضي وتمهيد التربة وزراعتها ببعض المحاصيل الـزراعية إلى جانب معرفتهم لبعض الصناعات البدائية وإن كان بعضها يعـتمد عـلى مواد قابلة للفناء مثل الغاب الهندي الذي صنعوا منه أواني مـتعددة الأشـكال – وعـلى هذا الأساس قد تمكن هؤلاء المهاجرون أن يتوصلوا إلى إنتاج القوت وتصنيع بعض الأدوات اللازمة لأمور معيشتهم بسـهولة تامـة نـتيجة خصوبة الأراضي الهندية وصلاحية الحياة المليئة بالأمان والاستقرار في سهولها حول الأنهار الكبرى وروافدها (١) .

وفـي زمـن يقـارب عام ٢٠٠٠ ق٠ م هبط إلى الهند من ناحية الشـمال الغـربي قبائل ناطقة بالأرية وهم من أصل نوردي وجاءوا من أواسـط أوروبـا بعد أن اتجه بعضهم إلى بلاد اليونان وهؤلاء لم يدخلوا الأراضـي الهندية كمهاجرين مثل الدرافيديين وقبائل الأجناس الأخرى ، وإنمـا دخـلوا غزاه فاتحين أما في غزوة واحدة أو في سلسلة متعاقبة من الغزوات ، واصطدموا بالتالي مع القبائل التي كانت موجودة ومستقرة في

---

(1) F.E. williams – papuans of the jrans – fly – oxfard-charendon press – 1936 – pp 36 ets .

– د ٠ حسـن محمـد جوهر ، د ٠ محروس أبو الليل – شعوب العالم – مرجع سابق ص ١٤ ٠

سهول السند والجانج ، ودخلوا معهم في حروب عديدة استمرت أكثر من مائة عام إلى أن هدأت الأوضاع بينهما بعد أن استطاع هؤلاء الغزاة أن يفرضوا نفوذهم ويطردوا بعض قبائل الدرافيديين من الشمال إلى المناطق الوسطى بالهند – وهؤلاء الغزاة كانوا يحملون بعض صفات العهد الأول للعصر الحجري الحديث ، ورغم أن سكان الهند الأصليين كانوا أرقى حضارة منهم ، إلا أنهم استطاعوا أن ينشروا لغته وعادتهم وديانتهم فوق الشطر الأعظم من شمال الهند • وحيث أن النوع الذي كانوا يتحدثون به من اللغة الأرية هو الفرع السنسكريتي فقد انتشرت هذه اللغة وهي (السانسكريتيه) وشملت معظم سهول السند والجانج وامتدت بعد ذلك إلى مناطق أخرى في شمال ووسط وجنوب الهند – وأيضا فرضوا ديانتهم التي يحملونها وهي (الديانة البراهامية) على سكان الهند وانتشرت إلى جانب الديانات الأخرى التي عرفت من قبل [1] ، والديانة البراهامية كانت ترتكز على عباده القوة المؤثرة في الكون وفي الظواهر الطبيعية مثل معظم ديانات الشعوب الأرية ، إلا أنها انحصرت بعد ذلك في ثلاثة إلهة :

<u>الأول</u>: (براهما) وهو الأله الخالق للحياة ومانح القوة وكانوا ينسبون إليه الشمس •

<u>والثاني</u>: (سيفاأوسيوا) وهو الأله المخرب وكانوا ينسوب إليه النار •

---

(1) H.G. wells – A short hislory of the world – op. cit – pp 121 – 122 .
- A. Aymard et j . Auboyer – Histoire generale Des civilisation – op . cit – pp 548 – 551.

والثالث : (شـــنو أوشن) وهو الأله الذي يحمل كل معاني الخير والبركة والسمو في الحياة • ثم زعموا بأن هذه الإلهة الثلاثة تابعون جميعا إلى الله واحد أعظم اسمه (أتما) [١] .

وبعـــد أن اســـتقر هـــؤلاء الاريـــون ، دخلوا في ضروب التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي حيث اندمجوا مع القبائل السابقة واتجهوا نحـــو مسلكهم في الوصول إلى المعرفة واعتناق القيم والمبادئ الأخلاقية والتحـــلي بالمعيشة المليئة بروابط الود والتعاون ، صنعوا جميعا بتكافتهم مـــن الهـــند مـــع بدايـــة النصف الثاني لعصزهم الحجري الحديث مجتمع حضـــاري مـــتميز ضربت اسماعه في معظم المجتمعات الحضارية التي كـــانـــــت متألفه في ذلك الوقت في شرق العالم القديم وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط [٢] .

هذا رغم أن هذه القبائل لم تتحد في كيان سياسي واحد وإنما كانت منفصـــلة تماما ، وكل قبيلة كانت مستقلة عن الأخرى وتسيطر على إقليم خاص بها داخل الأراضي الهندية – ولذلك كانت الهند عبارة عن مقاطعات ، وكـــل مقاطعة تستقل بها قبيلة وتأخذ هيئة مملكة أو دولة لها رئيس يأخذ صـــفة المـــلك ويمثـــلها كـــرئيس للسلطة المركزية ويعاونه مجموعة من الإشـــراف فـــي تنظيم شئونها وضبط سلوك أفرادها ؛ كما كان يمثلها في

---

(١) د • محمـــد أبو زهرة – مقارنا الأديان القديمة – طبعة ١٩٦٥ – القاهرة – دار الفكر العربي – ص ٢٩ .

(2) E.H.G. DOBBY – southeast Asia – op . cit – pp 38 – 49 .

علاقاتها الخارجية مع القبائل الهندية الأخرى أو مع المجتمعات الحضارية التي كانت منتشرة في معظم مناطق أسيا •

وقـد وصف كثيرا من العلماء والمؤرخين طبيعة حياة هذه القبائل فـي المقاطعـات العديدة التي استقرت فيها - بأن كل مقاطعة مستقلة كان يعيـش فيها عدد كبير من الأفراد الذين ينتمون في الأصل إلى قبيلة واحدة وهؤلاء الأفراد قد عرفوا فنون الرعي واستئناس الحيوانات ، وتفوقوا في الـزراعة بعد أن نجحوا في زراعة محاصيل كانت غير معروفة من قبل فـي المجتمعات الحضارية الأخرى مثل **القطن** ، كما تميزوا في صناعات عديـدة مثل الفخار الناعم الملون والخرف الملون والنسيج بالنول الخشبي إلى جـانب حـبهم للفلسـفة والفكر النافع واعتناقهم لمبادئ وقيم إنسانية وأخلاقيـة رائعة جعلت جميع فلاسفة الأخلاق على مر العصور المختلفة ينـبهرون بهـا مـثل الحكيم الفرنسي **فيكتور كوزان** الذي قال (أن الهند موطـن أسمى حكمة) - وكان إفراد كل مقاطعة يقيمون في منازل رائعة في الدقة وجمال الشكل حيث بنوها على شكل مستطيل وذو سقف جمالوني مثلث ، وكانت أرضية كل منزل مرتفعة عن سطح الأرض أما فوق قوائم مـن خشـب الأشجار أو فوق طوار (رصيف) من التراب ويكسونه من الخـارج بالأحجـار بشـكل منظم - وكانت الأسلحة التي يستخدموها في الدفاع عن القبيلة إذا تعرضت للهجوم أو للغزو وعلى الأخص من القبائل الـتي كانت تتجول للسلب والنهب في بعض الأراضي الهندية هي عبارة عن الحربة والسيف والخنجر ذو الحدين والبلطة المفلطحة ، وكان سلاحهم

الرئيســي الــذي يمكنهم أن يقذفوا به أعدائهـــم من مسافات بعيــدة هو المقلاع.

وقد عرفوا أيضا صناعة الزوارق واستخدموها في أعمال الصيد ، وكانت بعض هذه الزوارق كبيرة الحجم وتسير بشراع ولها سندات جانبية، وكــانت تســتطيع مــن قوة متانتها أن تصمد في رحلات طويلة في مياه المحيــط الهــادي - هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يعتقدون بجانب عقائدهم الديــنية فــي عبادة الإسلاف (الإجداد) على أساس أنهم كانوا يروا بأن أرواح أجدادهم تهتم اهتماما شديدا بما يفعلونه باعتبارهم ابنائهم المنحدرون مــنهم فيساعدونهم في معيشتهم إذا سلكوا طريق الحق والعدل والصواب ، ويعاقبونهم إذا اثموا وانحرفوا في سلوكهم ولم يراعوا الحرمات .

والقــانون الــذي كــان يــنظم حياتهم ويضبط سلوكهم كان معظم نصوصه من القواعد الدينية البحتة ، التي لا يجوز تعديلها أو تغيرها مهما كــانت الظــروف والأحوال ، ولذا كانت هذه النصوص تنتقل بالكامل من جيل إلى جيل باعتبارها نصوص مقدسة لا يجوز المساس بها - كما كان لديهم تنظيمات كاملة خاصة بالملكية والعقود المختلفة ، والمحاكم الرسمية كانت تعتمد في إصدار قراراتها على الأدلة ، وكان القضاة وهم غالبا من رجال الدين يصدرون هذه القرارات بعد الفحص الدقيق للوقائع والأدلة . إمــا العقوبــات التي كانت توقع على الجناة بعد أن يأخذوا حقهم تماما في الدفاع عن أنفسهم فكانت تتسم بالشدة والقسوة حتى يكون هناك ردع للجاني

بعـــدم تكـــرار ذلك الجرم مرة أخرى ، وردع لكل إفراد المقاطعة حتى لا ينحرف أحدهم في ارتكاب مثل هذا الجرم [١] .

ومـــن المظاهـــر الاجتماعية التي كانت سائدة في جميع قبائل هذه المقاطعات واستمرت في المجتمع الهندي بأكمله أمد التاريخ كله هو التقسيم الطبقي المتزمت ، حيث كان إفراد كل مقاطعة مقسمين إلى ستة طبقات :

الأولى : وهي قمة الطبقات ويمثلها الحاكم أو الملك وأفراد أسرته وكانت لها جميع الحقوق والامتيازات والحصانة الكاملة .

والثانية : كـــانت تضم كبار رجال الدين ، وتقرر لهم كل الحقوق العامة والخاصة ، وأعطى لابنائهم حق شغل الوظائف العامة .

والثالثة : كانت تتكون من كبار المحاربين وهي أقل خطا من حيث التمتع بالحقوق والامتيازات من الطبقة الثانية .

والرابعة : وكـــانت تضـــم التجار والمزارعين أصحاب الأملاك ، وكان مقرر لهم قدر معين من الحقوق أقل بكثير من أفراد الطبعة الثالثة .

والخامسة : وهـــي تضم العمال والفلاحين الغير مالكين للأراضي الزراعية وكانت تمثل أدني الطبقات من حيث الحقوق التي تقررت لها .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 9 – 26 .
- H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp 49 – 59 .
- Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – op . cit – pp 28 ets .

والسادسة : وكانت تمثل فئة من الأفراد لم يعترف لهم بأي حق من الحقـوق العامـة أو الخاصة ، كما كان محرم على جميع أفراد الطبقات الأخرى السابقة أن يلمسوهم أو يتصلوا بهم على الإطلاق .

وقد اتسم هذا التقسيم بالشدة والصراحة إلى أبعد الحدود ، فلم يسمح لأي فـرد أن ينتقل من طبقته إلى طبقة أخرى تعلوها ، كما كان لا يجوز مطـلقا الزواج بين الطبقات ولا حتى أن يأكل أفراد طبقة مع أفراد طبقة أخرى أعلى منها (١) .

وبالتالي فإنه على الرغم من هذا التطابق الكامل في النظم السياسية والاقتصـادية والديـنية والثقافية وكافة المظاهر الاجتماعية بين كل قبائل المقاطعات ، إلا أنهم لم يتحدوا وظل المجتمع الهندي مقسم بهذا الشكل في صـور مقاطعـات ، وكل مقاطعة كانت عبارة عن مملكه أو دولة مستقلة تماما عن المقاطعات أخرى حتى عام ٢٥٥ ق ٠م وترجع أحداث ذلك إلى أنـه بعـد أن قـام **الاسكندر الأكبر** بالاتجاه إلى الهند لفتحها وضمها إلى إمبراطوريـته التي كان يحلم بها وحدثت معركة شرسة بين قواته وقوات

---

(١) د ٠ صـوفي أبـو طالب – مبادئ تاريخ القانون – مرجع سابـق ص ١٦١ وما بعدها .

د ٠ عبد السلام الترمانيني – محاضرات في تاريخ القانون – مرجع سابق – ص ٦٤ وما بعدها .

د ٠ عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – مرجع سابق – ص ٦١

الملك (بورروس) الذي كان يحكم أحدى المقاطعات على ضفاف نهر السند وبعد أن انتصر الاسكندر الأكبر في هذه المعركة التي فقد فيها عدد كبير من قواته وقتل الملك (بوروس) واحتل مملكته وأقليم البنجات توقف عن الزحف وخشى أن يغامر بالقوة العسكرية المتبقية معه في الوصول إلى نهر الجانج - على أثر هذا الغزو الإغريقي قد بعثت في نفوس جميع أفراد المقاطعات روح الوطنية والاتحاد في كيان سياسي واحد يمثل المجتمع الهندي بأسره وانتهز هذه الروح شخصا يدعي [شاندرا جوبتا] حيث تمكن في عام ٣٢١ ق٠م من الحصول على عون قبائل عديدة بمنطقة التلال وأسس إمبراطورية في شمال الهند ثم زحف في عام ٣٠٢ ق٠م وحرر أقليم البنجاب من الاختلال الأغريقي ، وبعد أن مات في عام ٢٨٥ ق٠م قولي ابنه حكم هذه الامبراطورية وواصل توحيد البلاد حتى أصبحت الإمبراطورية ممتده من افغانستان حتى مدارس وبعد أن مات في عام ٢٦٤ ق٠م تولى ابنه الحكم ، وهو الملك الحكم [اشوكا بربادرشين] الذي يعتبره الهنود من اعظم ملوكهم على مر العصور حيث واصل توحيد البلاد فغزا إقليم كالينجا الواقع على ساحل مدراس الشرقي في عام ٢٥٥ ق٠م وضمه إلى الإمبراطورية ، ثم اعتنق مذهب البوذية الذي يدعو إلى السلام والمحبة والتآخي ، ووحد على أساس هذا المذهب جميع الأقاليم الباقية بدون حرب ، وأصبحت الهند لأول مرة في عهده الذي دام ثمانية وعشرين عاما إمبراطورية عظمى تضم كافة أرجائها وتساير في تقدمها الحضاري معظم المجتمعات الحضارية الأخرى في العالم القديم إلي جانب تميزها الرائع في اعتناق مبادئ الفلسفة البوذية التي تدعو إلى الأخوة

الجامعة ، وبأن الإنسانية جميعها جسد واحد ورواح واحدة [١] .

أن سردنا لهذه الوقائع ليس بقصد عرض فظاهر الحضارة الهندية لأنـــه توجـــد مؤلفـــات ومـــراجع عديدة عنها مدونه بأقلام أشهر العلماء والمؤرخين – وإنما نقصد من ذلك هو بيان حقيقة هذا المجتمع في النصف الثاني لعصره الحجري الحديث وطوال عصوره القديمة حتى عـــام ٢٥٥ ق٠م ، بأنه كان عبارة عن مقاطعات منفصلة ، وكل مقاطعة منها كان لها كيان سياسي مستقل عن الأخرى ، رغم التجانس والتشابه التام بين كل هذه المقاطعـــات في العادات والتقاليد والنظم المختلفة ، وهذا كان من الحالات الفـــريدة فـــي تاريخ المجتمعات الإنسانية ، لأن الصين وهي متجاورة مع الهند كانت المقاطعات فيها قبل أن تتحد في أوائل عصورها القديمة ليست بهـــذا التجانس وإنما كان يوجد اختلاف في بعض العادات والتقاليد والنظم بين كل مقاطعة وأخرى ، وأيضا كان هذا الوضع في بلاد ما بين النهرين وبلاد الإغريق والفرس والحثيين والفينيقين وأخيرا الرومان – وهذا الأمر يظهـــر لـــنا حقيقـــة مؤكدة بأن العلاقات والتعاهدات التي أبرمت بين هذه المقاطعات التي كانت تأخذ شكل ممالك أو دولة كان الطابع الإنساني فيها أكـــثر من العلاقات والتعاهدات التي أبرمت في المجتمعات الأخرى عندما كـــان كـــل مجـــتمع مـــنها فـــي النصـــف الـــثاني لعصـــره الحجـــري

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp 126 – 127 .
- Henry thomas – the Great philosophers – op. cit – pp 31 ets .
- A. Aymard et j. auboyer – Histoire generals des civiliation. op . cit – pp 559 ets .

الحديــث مقســم إلى مدن أو ممالك أو دول مستقلة ، وإن كان في حالات كــثيرة قــد نشبت منازعات وحروب شديدة الضراوة بين هذه المقاطعات بســبب الخلافات والمشاكل التي كانت تحدث في بعض الأحيان بين سلطة مركــزية فــي مقاطعة وسلطة مركزية في مقاطعة أخرى دون أن تكون لشعب كل منهما دور في ذلك على الإطلاق .

وتأسيســا على ذلك فقد أبرمت علاقات وتعاهدات عديدة بين هذه المقاطعــات وكــانت جميعها تدعوا إلى السلام والتعاون الوثيق بينهما في كافة المجالات والأحياء المستمر لروابط الود والمحبة والتآخي بين شعوبها إلى جانب تحقيق تحالف دفاعي ضد أي اعتداء يقع على إقليم أي مقاطعه مــن عــدو أجنبي [١] – ومن أمثلة التعاهدات التي أبرمتها هذه المقاطعات خلال أزمان النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث تتلخص في الآتي:

** في عام ٢١٥٠ ق٠ م تقريبا أبرم رئيس قبيلة مقاطعــــــــة [موهنجو دارو] تعــاهد مــع رئيس قبيلة مقاطعة [شندري] وهما من ضــمن المقاطعــات الواقعة في وادي الهندوس – وذلك من أجل أن يسود بيــنهما ســلام دائم وتحالف دافاعي وهجومي ضد أي عدو لأحدهما إلى جانب تدعيم روابط الود والمحبة والتعاون الكامل في النواحي الاقتصادية والــتجارية والاجــتماعية بين أفرادهما – ويقول بعض المؤرخين بأن هذا الــتعاهد قد استمر فترة طويلة وحقق فوائد عديدة للقبيلتين وساعدهما على

---

(1) E.H. G. DOBBY. Southeast Asia – op . cit – pp 71 ets .

حمايـــة أراضـــيهم وثـــرواتهم من أي اعتداء خارجي وخاصة من القبائل البربرية التي كانت تتجول في المناطق المختلفة من أجل السلب والنهب ٠ وأنه في عام ١٩٥٠ ق٠م تقريبا قد انضم لهذا التعاهد رئيس قبيلة مقاطعة [شنهو دارو] من أجل أن يتحالف معهما في التصدي للغزو الكاسح الذي كانت تشنه القبائل الأرية بعد أن نزحت إلى الهند منذ ناحية الشمال الغربي وأخذت صفة الغزاه الفاتحين [١] ٠

** فـــي عـــام ٢١٠٠ ق٠م تقريـــبا أبرم تعاهد بين رؤساء قبائل المقاطعات الواقعة في أرض الأنهر السبع بمنطقة البنجاب في شمال غرب الهـــند – وذلـــك مـــن أجل أن يتم سلام دائم وتعاون وثيق بينهم في كافة المجالات الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والثقافية إلى جانب توفير كل السـبل التي تساعد على تدعيم روابط الود والمحبة والتآخي بين أفراد هذه القـــبائل – وقد استمر هذا التعاهد وحقق فوائد عديدة لهذه المقاطعات حتى تعرضـــت هـــي وكل منطقة البنجاب للغزو الشرس الذي قامت به القبائل الأريـــة الـــتي هاجرت بحثا عن الرزق الوفير من شمال أوربا إلى الهند حوالي عام ٢٠٠٠ ق٠م ٠

وبالتالي قد دام هذا التعاهد مدة تزيد عن مائة عام [٢] ٠

** بعـــد أن اســـتوطنت القبائل الأرية بين مجرى نهري الهندوس

(1) L. Bach hofer – Eerly idian sculpture – op. cit – pp 32 ets.
(2) D. Khan – scientists of cods …. Op . cit – pp 141 ets .

والجـــانج ثـــم بدأت تقدمها نحو الشرق ، وتأسست على أثر هذه الأوضاع بعض الممالك المستقلة في مناطق دلهي، ومد هيد يشا، وأوده، وكوشالا ، وفيدها ومغدها ، وفندهيا – فـــإن حكام هذه الممالك قد أبرموا فيما بينهم تعـــاهدات عديدة من أجل نشر السلام والأمن والتعاون الشامل بينهم وذلك بدايـــة من عام ١٣٠٠ قبل الميلاد ، ويقول المؤرخين بأن هذه التعاهدات هـــي الـــتي ساعدت بقدر كبير جدا على تهدئه الأوضاع الأمنية في شمال ووســـط الهـــند وحققـــت اندماج وترابط أخوي بين الأريين وسكان البلاد الأصليين ، كما ساهمت بدور فعال في إحداث تطور حضاري هائل نتيجة الـــتعاون الوثيق الذي تحقق بين هذه الممالك في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١) .

**على أثر امتداد العلاقات بين المقاطعات أو الممالك الهندية وبين بعض المجتمعات الحضارية الأخرى التي كانت منتشرة في جزر المحيط الهادي قد أبرمت بداية من عام ٩٠٠ ق٠ م تعاهدات عديدة بينهما في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك مثل التعاهد الذي أبرمته دولـــة [شير يفيجايا] التي تأسست في جزيرة سومطرة مع بعض الممالك الهندية التي كانت منتشرة على السواحل الجنوبية الشرقية ، وذلك من أجل أن يتم التعاون بينهما في المجالات الاقتصادي والتجاري – وأيضا التعاهد الـــذي أبرمه الملك [سينغا ساري] الذي كان يجلس على عرش المملكة

(1) E.MACOAY – la civilisation de l'ladus – paris 1936 – pp 113 ets .

الـتي تأسست في جزيرة جاوه مع بعض حكام الممالك الهندية التي كانت تقع على السواحل الجنوبية الشرقية - وأنه من أثر هذه التعاهدات قد امتد الـنفوذ الهـندي على هذه الجزر ، وامتداد هذا النفوذ قد جعل هـذه الجـزر تتأثر بمعظم العادات والتقاليد والنظم والعقائد الدينية التي سائـدة فـي الممـالك الهندية ، وجعل معظم مناطق جنوب شرق أسيا متحدة في الملاحـم الحضارية إلى حد ما أو متقاربة الشبه مع الحضارة الهندية بداية من عام ٧٠٠ قبل الميلاد (١) .

هذه هي بعض صور التعاهدات التي أبرمتها الجماعات الهندية في النصف الثاني لعصرها الحجري القديم والتي كان لها أثر كبير في تطوير مفهوم التعاهد خلال هذه الحقبة من تاريخ الإنسانية .

****

بـناء على ما تقدم .. فإن ما عرضناه في هذا الفصل عن أثر ما حققـته الجماعـات الإنسانية التي تكونت في مصر وبلاد ما بين النهرين والصـين والهند في غرس الأصول الأولية لفكرة التعاهد وتطوير مفهومه خلال أزمان النصف الثاني للعصر الحجري الحديث - لا يعني عدم وجود جماعات إنسانية أخرى ظهرت في الشرق وساهمت بدور إيجابي في بلورة مفهوم التعاهد بل بالعكس كانت توجد جماعات أخرى عديدة وقامت بنفس

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 69 ets .

الـدور وذلـك مثل الجماعات الحيثية التي كانت منتشرة في شمال سوريا والجماعات الفارسية التي كانت تقطن في جهات هضبة إيران الغربية .

وبالـتالي فـإن عرضـنا في هذا الفصل عن الجماعات الإنسانية الشـرقية وأثرها في إظهار وتطوير وبلورة فكرة التعاهد خلال هذه الحقبة التاريخية لم يكن سوى على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . لأن معظـم أرجاء الشرق قد ظهرت فيه أروع الحضارات الإنسانية وتأسست فيه النظم الخاصة بالعلاقات ومعظم ما يتعلق بأمور الحياة الإنسانية .

الفصـــل الثانـــي

****

أهم الجماعات التي أسست حضارة بحرية تجاريـــة وساهمت في تطوير فكرة التعاهد في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث

تقديــــم :

ظهرت في غضون أزمان النصف الثاني للعصر الحجري الحديث جماعــات إنســانية اســتوطنت في بعض جزر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وأسست بجهود وكفاح أفرادها أول حضارات بحرية تجارية في تاريخ الإنسانية ، كما ساهمت بدور إيجابي وفعال في تطوير مفهوم فكرة الــتعاهد في معظم أرجاء العالم القديم خلال هذه الحقبة وعلى الأخص في المجالات الاقتصادية والتجارية – ولكي نوضح ذلك بالتفصيل – سنعرض فــي هــذا الفصــل أهم وأقدم هذه الجماعات التي تألقت حضاريا في نظم الــتجارة الــبحرية في هذا الزمان البعيد ، وهي الجماعات الكريتية التي اســتوطنت فــي جزيرة كريت منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والجماعات الفيــنيقية التي استقرت على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط منذ ٣٥٠٠ ســنة قبل الميلاد وأسست مدن مستقلة عديدة في المناطق الساحلية لسوريا ولبنان وعلى هذا الأساس سنقسم دراستنا في هذا الفصل على النحو الآتي :

المبحث الأول : الجماعات الكريتية في العصر الحجـــري الحديث .

المبحث الثاني : الجماعات الفينيقية في العصر الحجـــري الحديث .

المبحث الأول

الجماعات الكريتية في العصر الحجري الحديث

****

تقــع جزيــرة كــريت في منتصف الطريق بين مصر والأراضي الإغــريقية وكــان لهذا الموقع فائدة عظيمة جدا في التجارة البحرية بين الجماعــات الإنســانية الــتي كونت دول وممالك ومدن مستقلة في منطقة الشرق الأوسط وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في منتصف العصر الحجري الحديث [١] ، وقد هاجر إلى هذه الجزيرة جماعات ليس لديها إلا دعــائم قليلة جدا من حضارة العصر الحجري الحديث حوالي عام ٥٠٠٠ ق ٠ م ويحــتمل أنها جاءت من الأراضي الإغريقية ، وذلك لأن الوصول إلى جزيــرة كريت كان سهلا عن طريق التنقل من جزيرة إلى أخرى لأن كــل جزيــرة كــانت لا تبعد عن الجزيرة الأخرى أكثر من خمسين ميلا وبالطــبع هــذا كــان ممكــنا لو أن المهاجرين استخدموا قوارب صغيرة مصنوعة من جذوع الشجر وفي طقس هادي ٠

والمهاجــرين الذيــن استقروا في جزيرة كريت كانوا ذوي رءوس طويــلة وشعر أسود كما كانوا ذوي قوام نحيف شأنهم في ذلك شأن سكان مــنطقة البحر الأبيض المتوسط – وهم كانوا لا يتكلمون اللغة الإغريقية ، كما أن اللغة الأصلية التي كشفت عنها النقوش المنوية(**الكريتية القديمة**)

---

(1) M.Groiset – la civilisation de la gréce Antique – paris – 1932 – p. 6 .

وكانت سائدة في الجزيرة لم تكن لغة من اللغات الهندية – الأوروبية ، وإنما كانت لغة خاصة أطلق عليها اللغة المينوية .

وعندما استقر المهاجرون في هذه الجزيرة ، كانت أراضيها في البداية فقيرة جدا من الناحية الزراعية ، ولكن كانت عامرة بالغابات – ولذلك استطاعوا في بداية حياتهم أن يستغلوا هذه الغابات حيث أخذوا الأخشاب منها وصنعوا بها سفن عديدة لصيد الأسماك ، كما تمكنوا بمهارة من تربية الدواجن والأغنام والثيران ، إلى جانب اكتشافهم لزراعة أشجار الزيتون التي كان يناسب زراعتها تلك المنحدرات الحجرية التي تخلفت بعد قطع أشجار الغابات ، وفي ذلك يقول معظم العلماء المؤرخين بأنه يبدو أن الكريتين كانوا من أوائل الشعوب التي أتقنت زراعة هذا النوع من الأشجار ، لأن جميع الآثار التاريخية تؤكد بأنهم أول شعب استطاع أن يستخرج زيت الزيتون ويقوم بتعبئته في الأواني الفخارية الجملية التي قاموا بصنعها ، وأن جزيرة كريت كانت هي المصدر الوحيد لتصدير زيت الزيتون للمجتمعات الحضارية الأخرى في ذلك العصر [١] .

ونتيجة فقر التربة في أرض الجزيرة والقرب من البحر قد دفع الكريتين إلى السفر بالبحر وإلى التجارة فكانوا أول شعب في التاريخ يصل إلى حضارة ذات طابع تجاري بحري ، بعد أن كونوا مجتمع متحد أخذ هيكل دولة مستقلة وذات كيان سياسي في غضون عام

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op cit – pp 256 – 259.

٤٣٠٠ ق.م [1] ، وكـانت مديـنة [**نوسوس**] العاصمة ، وأقيم فيها بناء ضـخم سـمي بقصر [**مينوس**] ، ومينوس هو لقب الملوك كما كان اسم فـرعون هـو الـلقب المصري للملوك المؤلهين ، وهذا القصر كان يمثل مجموعة من المباني عظيمة الاتساع ويشمل حجرة للفرش وحجرات للنوم وقاعـات للطعام إلى جانب مجموعة من المخازن والحوانيت ، وكان في حجـرة العـرش ، عـرش من الجيش وعلى جانبي الحائط رسم لاسدين مجنحين ولكل منهما رأس نسر كحارسين ، وفي الحجرات الخاصة بسكن الملك كانت توجد حمامات ودورات مياه إلى جانب سراير أنيقه مصنوعة من الأخشاب وعليها فراش ووسائد عديدة [2] .

وقـد كونـت هذه الدولة جيش قوي ضم عدد كبير من المحاربين المهـرة وكـانت الأسـلحة الرئيسية تتكون من الخنجر والرمح والسيف والبلطة ذات الحدين ، وكانت السيوف طويلة ومستقيمة إلى جانب سيوف أخري قصيرة مصنوعة من البرونز ، وكانت مقابض هذه الأسلحة تصنع مـن الذهب أو العاج أو البلور الصخري ويتم زخرفتها بنقوش ورسومات كثيرة ... وبالنسبة للعقائد الدينية فقد دلت رسوم الآثار بأن أعظم الآلهة عند الكريتين كانت أنثى ذات صلة بالأفعى وسميت [**أم الأرض العجوز**] إلى جانب عبادة بعض الحيوانات وعلى الأخص الأسد والحمام ، ولم يكن .

---

(1) David kahn – scientists of code ….. op . cit – p 170 .
(2) Sir. A. EVANS – the palace of minos of knossos – london 1921- pp 42 – 47 .

هناك ما يدل على وجود قرابين آدمية أو حتى قرابين كثيرة من الحيوانات لأن الكريتين كانوا يفضلون عنها ثمار الحقول وعلى الأخص الزيتون كما لــم يوجــد في الفن الكريتي أي أثر للآلهة الذكور رغم أن أقدم الأساطير الإغــريقية تذكــر أن الآلة [زيوس Zeus] قد ولد في كهف [ديكتايا] بجزيرة كريت [1] .

ورغــم عــدم وجود معلومات عن النظام الحكومي الكريتي إلا أن بعض الاساطير الأغريقية تشير بأن الحاكم كان ملكا كاهنا يحمل لقــــب [المينوس] ، وكان يتم اختياره حسب مشيئة الإلآة زيوس ، وإن اختياره كان على أساس طريقة من طرق القرعة ، وكان يظل في الحكم لمدة تسع ســنوات ، وفي نهاية هذه المدة كان عليه أن يدخل كهف ديكتايا الذي ولد فيه الآلة زيوس ليقدم حساب عن مدة حكمه ، فلو أقر الآلة زيوس إدارته ، فإنــه يعــود ويحكــم تسع سنوات أخرى – أما إذا لم يقر إدارته فإنه لا يخرج من الكهف ، ويتم تعين ملك آخر بدلا منه بنظام القرعة أيضا .

والملك (المينوس) لم يكن قائدا حربيا ، بل كان فقط كاهنا وإدريا وقاضــيا بين الناس ، لأن أمور الجيش ونظام التسلح كان يختص بها أحد وزرائه الذي كان يعتبر القائد الأعلى لأمور الدفاع والحرب .

وبالنســبة للنظام القانوني الكريتي فقد دلت الآثار أن نظام تهذيب القوة قد طبق بعد أن وصل المهاجرين أرض الجزيرة ، وبعد أن استقروا

---

(1) H.G.wells – A short History of the world – op . cit – p 70 .

ظهرت القواعد الدينية – ونظرا لاهتمامهم بالنشاط البحري والتجاري فقد ننــتــج عن ذلك ظهور عادات وتقاليد وأحكام دينية متواترة – الأمر الذي أدى إلى تولــد العــرف الذي أصبح بعد ذلك يمثل نظاما قانونيا على قدر كبير من التقدم حيث عرفوا من خلاله نظام التعاقد ، وأبرموا عقود عديدة ومتــنوعة تتعــلق بالــنقل والقرض ، والمقايضة ، والإيجار ، والعمل ، والــرهن... الخ ، كما كانوا أول شعب يعرف نظام الخسارات البحرية ... وفي المسائل الجنائية كان نظام القصاص والدية هو السائد في تطبيق العقوبــات على مرتكبي الجرائم الخاصة – أما الجرائم العامة التي كانت تتعلق بأمن وسلامة الجزيرة أو مصالحها العليا أو أعمال القرصنة فكانت العقوبــة فيهــا الإعدام ... وبهذا كان النظام القانوني على قدر كبير من التطور لأنه لا يمكن لحضارة تجارية مثل حضارة جزيرة كريت أن تنتظم أمورها دون أن يكون فيها قواعد قانونية متطورة [١] .

وعلى هذا الأساس قد استطاع هؤلاء المهاجرين أن يكونوا مجتمعا منــتظما وراقيــا في هذه الجزيرة خلال النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث ، بعد أن أصبحوا يمثلون دولة ذات كيان سياسي مستقلة اشتهرت بتصــدير الأخشــاب وزيت الزيتون وبصناعة السفن الكبيرة التي تصلح للســفر في أعالي البحار [٢] ، وكانت هذه السفن حسب ما تشير إليه نقوش

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 271 .
(2) Sir. A. EVANS – the palace of Minos at knossos – op . cit – p . 37 .

الآثار ، طويلة وتسير بالشراع ولها صف واحد من المجاديف ، وكان بها سطح يغطي طولها بالكامل ، ولها صار واحد أو صاريان أو ثلاثة صوار ذات أشـــرعة مـــربعة ، وكان مقدم السفينة ومؤخرها مرتفعين ويستديران استدارة شديدة ، والجزء الأوسط من مقدمة السفينة يبرز إلى مسافة كبيرة ... وبعـــد فترة ليست طويلة استطاعوا أن يصنعوا سفن حربية مجهزة بكـــبش بارز غطيت نهايته بالبرونز مما يشير بأنهم أول من اخترعوا تلك الآلـــة الـــتي أصبحت التكتيك البحري الرئيس في معظم الحروب البحرية الـــتي حدثت في العصور القديمة وعلى الأخص أيام الإغريق والرومان – كمـــا أنهم كانوا أول الشعوب التي توصلت إلى عمل الهلب بشكله الذي لا يـــزال عليه حتى الآن – ولذلك قد تمكنوا من خلال صناعة هذه السفن أن يؤسســـوا أول إمـــبراطورية بحـــرية في تاريخ البشرية ، ولكي يستطيعوا الاحتفاظ بها ، أقاموا قواعد بحرية لهم على بعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط وعلى الأخص الشواطئ الشرقية [١] .

ولكن بعد هذا التطور الهائل كتب لهذا المجتمع الحضاري الانهيار فـــي أوائـــل العصور القديمة نتيجة عدم قدرته على الصمود أمام الزحف المســـتمر للفـــنيقيون الذي أقاموا مجموعة من الموانئ على امتداد الساحل الشـــرقي للـــبحر المتوسط وكانت أهمها صور وصيدا ، وأخذوا ينتشرون بـــتفوق قوتهـــم الحـــربية في طول وعرض البحر الأبيض المتوسط حتى

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 265 .

تمكـــنوا من السيطرة على جزيرة كريت ، أما العاصمة [كنوسوس] فقد نـــزل بها زلزال قرابة عام ١٤٠٠ ق٠ م ٠حطهما ودمز قصر مينوس ، وأنـــهى بالتالي رموز أدوار المجد التي صنعها الكريتيون على مدى يزيد عن ٣٠٠٠ سنة تقريبا (١) .

وإذا كان هذا يمثل موجز من السجل التاريخي لحضارة كريت منذ أن بدأت بوصول المهاجرين حوالي عام ٥٠٠٠ ق٠ م إلى أن انتهت تقريبا في عام ١٤٠٠ ق٠ م ٠ الآن أن هذا السجل يحوي مجموعة هائلة جدا من التعاهدات التي أبرمت بين الحكومة الكريتية وبين الممالك والدول والمدن المســتقل التي كانت توجد في منطقة الشرق الأوسط وعلى سواحل البحر الابيض المتوسط في منتصف العصر الحجري الحديث ، وهذه التعاهدات كـــانت تتعـــلق بنشــاط التجارة البحرية وتدعيم روابط الأمن والسلام بين الشـــعب الكريتي والشعوب الأخرى وعلى الأخص الذي كانوا يقطنون في هيـــئة مـــدن مستقلة في الجزر المجاورة لجزيرة كريت – وحيث أن هذا الـــتعاهدات كانت عديدة جدا ومتنوعة واستمرت كما تشير النقوش الأثرية إلى ما يزيد عن ألفي سنة ، وعرضها يحتاج إلى مؤلفات خاصة متسعة ، فأنه أمام ذلك سنعرض أمثلة لها فقط وذلك على النحو التالي :

** نـــتيجة لانتشـــار التجارة بين مصر وكريت بداية من عـــام ٤٠٠٠ ق٠م ، وذلك كما نرى في المناظر المرسومة على جدران المقابر

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – p 72 .

المصـرية الـتي تصـور وصول التجار الكرتيين بملابسهم وسلعهم التي تميزوا بها – فقد عقد ملك الوجه البحري في مصر [وذلك بعد أن اتحدت ممـالك الوجـه الـبحري في مملكه واحدة كما سبق أن وضحنا] معاهدة التـبادل التجاري مع الملك الكريتي (المينوس الكريتي) في عام ٣٧٠٠ ق • م تقريبا ، نظير أن تصدر مصر بعض المحاصيل الزراعية والأواني الفخارية إلى كريت وتستورد منها الأخشاب وزيت الزيتون بما يعادل قيمة مـا تصدره – وقد عثر على نسخة من خطاب أرسله الملك المصري إلى الميـنوس الكريتي يشكوى لـه فيه بأن الشحنة الأخيرة من زيت الزيتون لـم تكـن حسب المواصفات وأن هذا يعتبر خلل في التعاهد المبرم بينهما ويرجع تاريخ إرسال هذا الخطاب إلى حوالي عام ٣٦٩٠ ق•م وهو يؤكد بالتالي بأن التعاهد الذي أبرم بين الملكين كان ملزم ولا يجوز لأحد أطرافه أن يخل به أو يعدل في نصوصه دون الرجوع إلى الطرف الأخر [١] .

حيث أن الكريتين قد أقاموا قواعد بحرية على بعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط لكي يحتفظوا بامبراطوريتهم البحرية التي أسسوها كأول شـعوب بحرية في تاريخ البشرية – فكانت من ضمن هذه القواعد ، قاعدة فـي مصـر تقـع بيـن شـواطئ الإسكندرية ودمياط ، وهذه القاعدة قد اسـتأجروها من مصر بناء على تعاهد تم بين ملك الوجه البحري والملك المينوس (الكريتي) في عام ٣٦٠٠ ق•م تقريبا – وكانت أهم شروط هذا التعاهد هي :

---

(1) Rolph linton – TREE of culture – op . cit – p 268 .

١ - إلا تفقــد مصر سيادتها على هذه القاعدة ، وإنما تظل تخضع لها ولإشرافها طوال فترى هذا التعاهد .

٢ - يجب أن يدفع الملك المينوس [الكريتي] إيجار هذه القاعدة سنويا لملك مصر .

٣ - لا يجوز للملك المينوس أن يستخدم هذه القاعدة في المعارك الحــربية التي تهدد أمن وسلامة مصر - وإنما يستخدمها فقط في عمليات الامــداد والخدمــات الــبحرية ، وفي كافة الأعمال الخاصة بنشاط السفن التجارية .

ونتيجة للعلاقات الطيبة بين مصر وكريت ، قد دام هذا التعاهد فترة طويــلة تــزيد عن تسعة قرون ، ولم يعطل سريانه إلا بعد أن أخــــذ النشــاط البحري الكريتي ينحصر وينكمش نتيجة توغل نشاط الفنيقيين في البحر الأبيض المتوسط وفرض نفوذهم وسيطرتهم على قواعد كثيرة كانت تابعــة للكريــتين وخاصــة التي كانت تقع على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط [١] .

** ثــم خــلال الفــترة من ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق٠م عقد تعاهدات تجاريــة واقتصادية عديدة بين ملوك دول بلاد ما بين النهرين وبين الملك الميــنوس [الكريــتي] - كما عقدت تعاهدات أخرى بينهم خاصة بتأمين

(1) ibid – p . 264 .
- David kahn – scientists of code - op . cit – pp 171 – 172 .

التجارة البحرية التي كانت تقوم بها بلاد ما بين النهرين مع بعض المدن الإغريقية المستقلة التي بدأت تظهر حضاريا في غضون أزمان القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد - وذلك بأن تحمي السفن الحربية الكريتية السفن التجارية التابعة لدول بلاد ما بين النهرين وتحرسها من عمليات القرصنة أثناء سيرها في البحر الأبيض المتوسط للقيام برحلاتها التجارية مع المدن الإغريقية نظير أجر كان يدفعه قبضان السفينة عقب وصوله إلى الموانئ سلاما بالبضائع التي كان ينقلها - وقد استمرت هذه التعاهدات أيضا فترى طويلة تزيد عن خمسة قرون ، ولم يتم إيقافها إلا بعد أن سيطر الفنيقين على معظم أجزاء البحر الأبيض المتوسط وحصروا نفوذ الكريتين في أضيق نطاق داخل حدود جزيرتهم [1] .

** أبرم الملك المينوس (الكريتي) تعاهدات تجارية واقتصادية وحراسة بحرية مع معظم حكام وملوك المدن المستقلة التي كانت على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط والتي ظهرت في بلاد الإغريق واستمرت أيضا هذه التعاهدات فترة طويلة دون أن يحدث فيها تعكير أو خلل ، لأنه بالرغم من القوة البحرية التي تملكها الكريتون ، وإقامتهم لمجموعة كبيرة من المرافئ والقواعد في بعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلا أنهم كانوا دائما يميلون للسلم ولا يلجؤا للحرب إلا لظروف

---

(1) L.Delaporte – la masopotamie las civilisation Baby lonienne et assyrienne – op . cit – p 40.
- Sir. A. EVANS – the palace of Minos at dnossos – op. cit – p. 121 – 124 .

قهرية للغاية ولذلك اشتهروا بحبهم للسلام قبل اشتهارهم بأنهم أول الشعوب البحرية التي أسست حضارة ذات طابع تجاري متميز في تاريخ الإنسانية [١] .

(1) H. G. wells – A short History of the world – op . cit p. 71 .

المبحث الثاني
الجماعات الفنيقية في العصر
الحجري الحديث

****

الفنيقيون هم ثاني الشعوب البحرية بعد الكرتين في تاريخ الإنسانية وتشير الآثار التي اكتشفها العلماء والباحثين بأنهم قد سكنوا المناطق التي أستقروا فيها في أخر أزمان العصر الحجري القديم ، وبعد أن كونوا جماعات إنسانية عديدة خلال عهود هذا العصر ، قد ظلوا فترة طويلة يعيشون على جمع القوت لصعوبة إنتاج الغذاء في هذه المنطقة التي تمتد كشريط ضيق على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ويكثر فيها الجبال – وبعد أن احترفوا النشاط البحري وصيد الأسماك دخلوا حوالي سنة ٢٥٠٠ ق٠م العهود الأولى للعصر الحجري الحديث وقاموا بتأسيس مدن وإنشاء حضارة بحرية أعقبت حضارة كريت [١] .

والمناطق الفنيقية القديمة تقابل حاليا معظم الأقاليم الساحلية لسوريا ولبنان ، فقد كان يحدها جنوبا جبل الكرمل وشمالا خليج أسوس ثم إقليم أرادوس وهي ارواد وحوض نهر البتر (النهر الكبير اليوم) ويحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان ، ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط .

ومن المسلم به أن الفينيقين ليسوا من أهل البلاد الأصليين ، وإنما نزحوا مهاجرين إلى البلاد التي نزلوها – ويردد العهد القديم في الفصل

(1) Ralph linton – TREE of culture – op – cit – p 282 .

العاشر من سفر التكوين هذه الرواية حيث أورد قائمة بنسب الشعوب مبتدئا بـأولاد **نوح** الثلاثة [**سام وحام ويافث**] الذين يمثلون أسماء ثلاثة شعوب كـبيرة هـم **الساميون والحاميون اليافثيون** (ويستبدل اليوم الاسم الأخير باسـم الهـنود – الأوربين) ثم أورد اسم صيدا في القائمة واعتبرة يمثل فيـنقية كلها في شخص رجل واحد ، وهو الولد البكر من أبنـاء **كنعان** ، **وكنعان** هو من أبناء سام– وبذلك أدخل الفينيقيون في مجموعة الكنعانيين ، ثـم أدخـلهم جميعـا في مجموعة الشعوب السامية – أما التوراة فتوصل الفينيقين بالمجموعة الحامية التي ينتمي إليها المصريون .

وقد قرر هيرودوت بأن الفينيقين قد نزحوا من البحر الارتيري في حين قرر بعد ذلك علماء كثيرون بأنهم قد نزحوا من مناطق أخرى عديدة مـنها الخـليج الفارسي ، وبلاد ما بين النهرين ، وبلاد العرب ، وشمالي الشـام الـتي كانت تسمى قديما بلاد **أمورو** ، (لكن الرأي الراجح هو أن الفيـنيقيون قـد نزحوا من الخليج الفارسي وهم من مجموعة الكنعانيين ، وأنهـم قد سلكوا في نزحهم مصب نهري دجلة والفرات حتى وصلوا إلى هذه المنطقة واستقروا فيها ، ومع الزمن كونوا حضارتهم التي قامت على الطابع التجاري والبحري [١] .

---

(1) G. Contenau – la civilisation phenicienne – paris 1922 – pp 3875 – 394 .

ووضع فنيقية الجغرافي هو الذي حدد مصير شعبها ، وجعله يتجه جبرا نحو البحر ، لأن هذا الشعب لم يستطع أن يطمع في العيش على الزراعة لأن السهول الخصبة لا تمتد إلا في الشمال قرب مصب نهر اليتر وفي الجنوب قرب عكا ، أما فيما عدا ذلك فإن الجبل ينهض بكل قامته بالقرب من الشاطئ ولا يترك من الأراضي القابلة للزراعة ما يكفي لمؤنه هذا الشعب ، ولذلك تعلق مصيره بالبحر بعد أن ازداد عدده واصبح محصور في شريط ضيق من الأرض ، لأن الجبال لا تبعد عن البحر أكثر من ٥٠ كم وفي بعض المواقع تقترب أكثر وتصبح على بعد ١٢ كم وفي مواقع أخرى تلاصق البحر مباشرة [١] .

وقد أنشأ الفنيقيون كما تشير النصوص الأثرية خمسة وعشرين مدينة هامة ، وأن كان الكثير منها على هيئة قرى كبيرة ، ومن المدن التي كان لها أثر سياسي دائم ، فإن ترتيبها من الشمال إلى الجنوب [ميريا ندروس ، روزوس ، أوجاريت التي تسمى اليوم رأس شمرا " ، ارادوس (وتسمى اليوم ارواد) ، انظر ادرس (وهي طرطوس حاليا) ، مراتوس (وهي انطرادرس حاليا) ، سيميرا ، عرقه ، سين ، طرابلس ، بوتريس وهي البترون حاليا) ، جبيل ، افقا ، بيريت (وتسمى اليوم بيروت) ، هالدوا (وتمسى اليوم بخان الخالدي) ، بورفيريون(وتسمى حاليا جيبه) صيدون (وهي صيدا حاليا) ، صور .

---

(1) H. G. wells – A short History of the world – op – cit – p. 95 .

وكان من أهم هذه المدن الفينيقية من الناحية السياسية والدينية مدينة [جبيل] وكـانت مركز مقدسا للعبادة ، ومدينة [صيدا] وكانت تلقـب [بالمدينة الأم] ثم مدينة [صور] وكان لها إلى جانب ازدهارها التجاري دور عظيـم في تأسيس العقائد الدينية الفينيقية ، ثم مدينة [أوجاريت] (١) وقـد وردت أسـاطير عـند الفينيقيون عن تأسيس المدن جاء ذكراها في المواقـع الأثرية التي اكتشفها العلماء وعلى الأخص في رأس شمرا التي تـبعد ١١ كم شمالي مدينة اللازقية ، ومن هذه الأساطير ما يشير بأنه قد جاء بعد خلق العالم جنس من أنصاف الآلهة ثم جنس من العمالقة اخترعوا للانسانية ما ينفعها ، ومن هؤلاء [أوزوس] الصياد الذي خاطر بنفسه في الـبحر عـلى جـزع شجرة إلى أن رسا به الجذع على جزيرة من جزر الشاطئ السوري ، فرفع بالجزيرة عمودين أحدهما للنار والآخر للريح ، ثم رش دم ما اصطاده من حيوان قربانا ، وأسس في نفس الوقت مدينـة (صـور) ووضع الدين الذي ظل قائما بها بعد ذلك .... وفي أساطير أخرى عن مدينة [صور] تشير بأن جزيرة صور كانت طافية في البحر، وأن زيتونه عشتارت كـانت بهـا تحـت حراسة نسر وثعبان ، ولم يكن للجزيرة أن تقف عن الطوفان إلا إذا استطاع بعض الناس أن يقدموا النسر قـربانا للآلهـة ، وكان أوزوس هو الذي استطاع ذلك ، ومنذ هذا الوقت سكن الآلهة صور ، وبها كان ميلاد عشتارت ... وقد ذكر هيرودوت أن كهنة صور قد أكدوا له حين زار المدينة عام ٤٥٠ ق٠م أن معبد ملقارت

(1) R. weill – la phenicie et l'Asie occidentaie – paris – 1911 – pp 17 – 19 .

بـني عند بناء المدينة نفسها منذ ٢٣٠٠ سنة قبل وقت زيارته وجملـة ذلك يكون ٢٧٥٠ عاما – أي أن مدينة صور قد تم تشيدها في عام ٢٧٥٠ ق٠م تقريبا [١] .

والمدن الفنيقبة كانت جميعها مستقلة ، ولكل مدينة ملك خاص بها ، أي كـانت مفـرقة وغيـر موحدة تحت قيادة ملك واحد ، وإنما كان بينها تحالف دفاعي وهجومي قوي جدا استند على ما كان بينهما من روابط في الأصل والمصالح والعادات والتقاليد والأهداف الموحدة [٢] .

وعـلى هذا النحو كان الفينقيون حاضرين جميعا في ميادين القتال المختلفة – أما فينيقية الموحدة فكانت غير موجودة على الإطلاق – ولهذا السبب يقول معظم العلماء والمؤرخين بأن فينيقية تعتبر في المرتبة الثانية مـن الـناحية السياسية إذا قيست بمصر وبلاد ما بين النهرين لأن جميع مـلوك المـدن الفينيقية كانوا مستقلين بعضهم عن بعض ولا يتحدون إلا لمجابهـة غـارات الأعداء ، وهؤلاء الملوك كانوا محلين ويختارون من بعـض الأسـر المنتسبة إلى أصل مقدس ، وكان سلطان كل ملك محدودا بمجلس يسمى **مجلس الشيوخ** مؤلف من أغنى تجار المدينة، وهذا المجلس كانت له سلطة تعادل سلطة الملك ، وفي صور كان في مقدور أعضاء هذا المجـلس أن يـتخذوا إلى قـرار في غيبة الملك ، وفي صيدا كان لهم أن يتخذوا ما يشاءون ضد إرادة الملك – وقد قامت الجمهورية في صـور في

---

(1) G.contenau – la civilisation phénicienne – op. cit – p 24 .
(2) Ralph linton – TREE o culture – op . cit – p

العصـــر البابلي الثاني ، وكان يتولى رئاستها قضاة على مثال ما كان في ممـــلكة إسرائيل قديما ، وكان القضاة يعينون لمدة سنتين وكانت العادة أن يتولي الحكم اثنان منهم مرة واحدة ٠

وجميع المدن الفينيقية كانت تستخرج مواردها الأساسية من التجارة ولذلـــك كان الأغنياء في كل مدينة فينيقية مستقلة هم طائفة التجار ، وأكثر أغنياء هذه الطائفة كانوا يمثلون في مجلس الشيوخ [١] ٠

وقـــد أقـــام الفيـــنيقيون مســـتعمرات عديدة في معظم أنحاء العالم المعـــروف أيامهم ، وعلى الأخص في قبرص وصقلية ومالطة ، وورودس وشـــواطئ أفـــريقيا الشمالية مثل قرطاجة ، واوتيك ، وبيزرت ، ولكن لم يفرضـــوا ســـيطرتهم على جميع هذه المستعمرات وإنما بعضها فقط لأن الـــبعض الآخـــر وكان يشمل مستعمرات عديدة ، قد اكتفوا فقط باتخاذها مراكز أو مواقع وكالات خاصة للتجارة البحرية لتكون بالنسبة لهم محطات حيوية في نشاطهم التجاري في البحر وليس دون ذلك على أساس أنه كان يوجـــد لهذه المستعمرات حكومات ذاتية قادرة على حمايتها ، وعلى حماية مصالح الفينيقين بها ٠

ولـــم يســـتطع الفيـــنيقيون تأسيس هذه المستعمرات التي دخلوا بها عصـــورهم القديمـــة وأصبح لهم شأن متألق في الحضارة البحرية إلا بعد

(1) G. contenau – la civilisation phénicienne – op . cit – pp . 92 – 102.

انهيار الكريتين وسقوط طروادة وتصدع كيانها السياسي ، وخمود السلطة السياسية في مصر وبلاد ما بين النهرين ، وذلك لأن الوقت الذي تألقت فيه الحضـــارة الفينيقية كانت مصر قد تعرضت لغزو الهكسوس وبلاد ما بين النهرين تعاني من أزمات سياسية حادة .

وعلى هذا الأساس عندما كانت مصر وبلاد ما بين النهرين وكريت فـــي أوج قمتها الحضارية في أوائل عصورهما القديمة خلال الألف الثالثة والـــثانية قـــبل الميــلاد كان الفينيقيون مازالوا يعيشون في أزمان العصر الحجـــري الحديث ، وفي نهاية الألف الثانية وحلول الألف الأولى خرجوا من هذا العصر ودخولا أبواب عصورهم القديمة بعد أن أصبحت الأجواء السياسية في العالم القديم مهيأة لهم لكي ينطلقوا بحضارتهم البحرية ويكون لهم كيان متميز بين المجتمعات الحضارية الأخرى ، ونفوذ في مياه البحر الأبيـــض المتوســـط ودور كـــبير فـــي تطوير نظام العلاقات والتعاهدات الدوليـــــة [١] .

وفـــي ذلك يقول المؤرخ الأمريكي رالف لنتون في مؤلفه [شجرة الحضـــارة] بأن ... [الفينيقيون انحصر اهتمامهم بعد أن بنوا مدنهم الأولى عـــلى الســـاحل السوري في العصر الحجري الحديث في التجارة والربح ولم يهتموا بالادماج السياسي إلا في أوقات تعرضهم للخطر ... وأنهـــم انـــتهزوا فـــراغ الساحة الدولية من نفوذ الامبراطوريات الكبرى

(1) R. weill – la phenicie et l'Asie occidentaie – op . cit – pp 141 – 147.

وانطلقوا كاسلافهم المينوبين [الكريتيين] إلى بناء قواعد بحرية ، فأسسوا مستعمرات في نقط مختلفة في غربي البحر الأبيض ، وكان إحدى هذه المستعمرات وهي مدينة **قرطاجنة** مقدرا لها أن تلعب دورا هاما في التاريخ ... أما في شرق البحر الأبيض فقد كانت المنافسة محتدمة دائما بينهم وبين الإغريق والمصريين في بداية الأمر ... إلا أنه تمكنوا بعد ذلك من فرض نفوذهم وسيطروا على البحار فيما يقع وراء جزيرة صقلية وربحوا كثيرا من استغلالهم للثروة المعدنية في أسبانيا ، كما قاموا أيضا باستكشاف شمالي وجنوبي الساحل الأطلنطي حتى وصلوا إلى الجزر البريطانية ... وقد كان للفينيقيون دور هام جدا في تطوير نظام العلاقات والتعاهدات بين المجتمعات الحضارية المختلفة ، وهذا الدور كان من أهم العوامل الرئيسية في تطوير حضارات اليونان وبلاد منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لأن تطويرهم لنظام العلاقات والتعاهدات قد جعلهم يلعبون بجداره دور الوسطاء بين أسيا وأوروبا ...] [١] .

وقد أبرم الفينيقيون في أزمان النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث بعد أن أسسوا بعض مدنهم على الساحل السوري تعاهدات مختلفة مع معظم المجتمعات الحضارية في شرق وغرب العالم القديم [٢] ، وحيث أن هذه التعاهدات عديدة وتحتاج لمؤلفات متسعة لسردها – فإن هذا الأمر يجعلنا نضطر إلى ذكر أمثلة موجزة عن بعضها التي أبرمت مع أهم

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op – cit – p 282 .
(2) David Kahn- sci entists of code ... op . cit – p. 194 .

المجتمعات التي كانت متألقة حضاريا في هذا الزمن نحو النحو التالي :

أولا : بالنسبة لمصر الفرعونية ... يقـول معظم العلماء والمؤرخيـن بـأن مصر وهي في أوج مجدها الحضاري خلال عصورها القديمـة الأولى كـانت ترتـبط بعلاقات طيبة للغاية مع الفينيقين وهم في عصـرهم الحجـري الحديـث ، وأن هـذه العلاقات كانت لها جذور في الماضي البعيد أكدتها حفائر مدينة بيبلوس الفينقية [جبيل حاليا] وما ورد بها من أساطير عديدة مثل التي رواها بلوتارك من أن (أوزوريس) حين قـتله أخـوه (سـت) غـدرا وانتقاما ووضعه في صندوق ، والقى هذا الصـندوق فـي الـبحر ، فإن هذا الصندوق قد جرفه التيار وأرساه على شـاطئ مدينة بيبلوس وثبته بين فرعي شجرة من شجرات الأثل ، وهذه الشـجرة قـد نمت وأحتوت بين طياتها جثمان أوزوريس ، ولما بلغ هذا الخـبر [ايزيس] أثناء قيامها بالبحث عن جثمان زوجها ، ذهبت مسرعة إلى هـذه الشـجرة ، إلا أنهـا لم تجدها لأن ملك بيبلوس كان قد أعجب بضـخامتها وأمر بقطعها لتكون عمودا في قصره ، فأحتالت ايزيس حتى دخلت القصر في زي خادمة لكي تتمكن خفية من أخذ جثمان زوجها - إلا أن أمـرها قـد انكشف وبعد عرضها على الملك ، وعرف حقيقة قصتها المؤلمـة عطـف عـليها وسامحها بود ومحبة وأذن لها أن تحمل العمود الحـاوي لجسـم زوجهـا وأمر أعوانه أن يساعدوها في أن تذهب به إلى مصـر .. فهذه القصة وأن كانت أسطورة قد نشأت في عصر متأخر إلا أنها تبلور حقيقة قدم العلاقات بين فينيقية ومصر إلى أقصي حدود القدم.

ومن التعاهدات التي نشير إليها الآثار بين مصر والفينيقيين يتلخص في الآتي :

في عام ١١٩٠ ق٠ م (كما يقود هيرودوت) إبرام تعاهد بين ملك صـــور وملك مصر ، تضمنت نصوصه بأن يسمح ملك مصر بأن يكون للفيـــنيقيين مـــرفأ بحريا في مصب الدلتا بمنطقة ممفيس لكي يمارسوا فيه حـــق حرية التجارة مقابل إيجار يدفعه ملك صور سنويا ٠٠٠ وبعد إبرام هـــذا الـــتعاهد الذي دام فترة طويلة تزيد عن سبعة قرون اتخذ الفينيقيون لأنفسهم حيا خاصا في هذا المرفأ سمي (حي الصوريين) وكانوا يعبدون فيه عشتارت في معبد بنوه لأنفسهم نتيجة محسن علاقاتهم مع مصر وليس دون ذلـــك – أي لم يكن لهم سيادة على منطقة ممفيس ولا على أي جزء مـــن أرض مصر – بل كانت السيادة لمصر بالكامل خاصة وأن في ذلك الوقت كانت مصر تفرض تبعية على معظم المدن الفينيقية [1] .

** الرسائل التي تم اكتشافها في حفائر تل العمارنة بمصر العليـــا [والـــتي كـــانت عاصمة الإمبراطورية المصرية في عهود عصر الدولة الفرعونية الحديثة] وهي عبارة عن لوحات مكتوبة باللغة البابلية بحروف مســـمارية موجهة إلى ملوك مصر : امينوفيس الثالث [١٤٠٥ – ١٣٧٠ ق ٠ م] ، وامينوفيس الرابع [١٣٧٠ – ١٣٥٢ ق ٠ م)، وكانت مرسلة مـــن حكام بعض المدن الفينيقية وتتضمن صرخة من أثر الاعتداءات التي

---

(1) G. contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – pp 45 – ets .

كـــانت تقـــع عليهم من الحيثيين والأشوريين وبعض القبائل البربرية التي كـــانت تشن عليهم غارات لسلب خيراتهم ، وكل رسالة كانت تنتهي بطلب الإمداد بالقوات والأسلحة والمعدادات من ملك مصر من أجل أن يساعدهم بكـــل قوة في الدفاع عن أقاليمهم وصد هذه الاعتداءات وردعها - فإن هذا يعبر تماما بأنه كانت توجد علاقات تعاون وتبعية وطيدة وتعاهدات تحالف دفاعي وهجومي بين مصر والفينيقيين (١) - من هذه الرسائل .

* رســـالة المـــلك زيمردا حاكم مدينة صيدا إلى الملك امينوفيس الـــثالث ملك مصر في عام ١٣٤٠ ق٠ م تقريبا ليطلب منه إرسال قوات وأسلحة ومعدات لمعاونته في الدفاع عن صيدا من العصابات التي تهددها وتزعزع أمنها واستقرارها .

رســـالة المـــلك رب عـــدي حاكم مدينة جبيل إلى الملك امينوفيس الـــرابع فـــي عـــام ١٣٦٠ ق ٠ م تقريبا ليطلب منه أيضا امداده بالجنود والأسلحة والمعدات لمساعدته بقوة في الدفاع عن جبيل من الهجوم المتوقع للحيثيين الذين يريدون احتلالها والسيطرة عليها .

وقـــد كان لهذه العلاقات والتعاهدات التي أبرمت بين ملوك مصر وحكـــام المـــدن الفينيقية وعلى الأخص صيدا وصور وجبيل وسيميرا أثر كـــبير جدا على الفينيقيين حيث أنهم قد اكتسبوا من خلالها دعائم وأصول

---

(1) R. weill – la phenicie et l'Asie occidentaie – op . cit – pp 58 ets .

حضارية عديدة من الحضارة المصرية [١] .

ثانيا : بالنسبة لبلاد ما بين النهرين : جميع الوثائق التاريخية تؤكد تماما بوجود علاقات وإبرام تعاهدات عديدة ومتنوعة بين بلاد ما بين النهرين في عهود الأسرة البابلية والأشورية ، وبين المدن الفينيقية المستقلة في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث ، وهذه التعاهدات كان بعضها يستمر فترات طويلة والبعض الأخر كان يتوقف من أثر المنازعات والحروب التي كانت تحدث بينهما في بعض الأوقات – ومن أمثلة التعاهدات التي تمت بين المدن الفينيقية وبلاد ما بين النهرين ما يلي :

* إبرام تعاهد بين حكام مدن صيدا وصور وجبيل وبين ملك الأسرة البابلية في بلاد ما بين النهرين حوالي عام ١٧٩٠ ق٠ م تضمن نصوص تفيد بأن تلتزم كل السفن الفينيقية بنقل البضائع التي كانت تصدرها المملكة البابلية إلى المدن الإغريقية وجزر كريت وصقلية عن طريق البحر الأبيض المتوسط أو التي كانت نستوردها منها ، وذلك نظير دفع رسوم نقل تقدر بربع قيمة البضائع المصدرة أو المستوردة ، وهذا التعاهد قد استمر فترة تزيد عن خمسون عاما ٠ وساهم بقدر كبير على تنشيط الحركة التجارية بين مملكة بابل والمدن الإغريقية [٢] .

---

(1) G. contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – pp 64 ets .
(2) R. weill – la phenicie et L'Asie occidentaie – op . cit pp 133 ets .

* إبــرام تحــالف دفاعي بين ملك الآشوريين ، وبين بعض المدن الفيــنيقية فــي عــام ١١١٥ ق٠ م تقريــبا من أجل التعاون في صد أي اعــتداءات تقــع من عدو أجنبي على أراضي أحدهما - وهذا التحالف لم يســتمر طويــلا لأن الآشــوريين كــان يرواضــهم الحلم في أن يكونوا إمــبراطورية كبيرة وهذه الإمبراطورية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا حصلوا عــلى منافذ بحرية ، ولهذا أولى ملوكها وجوههم شطر المدن الفينيقية لكي يحتلوها عقب إبرام هذا التحالف ، وذلك بداية من عام ٨٩٠ ق٠م تقريبا ٠ حتى تمكنوا بالفعل من امتلاك بعض هذه المدن ثم اكتنفوا بعد ذلك بفرض الجزية عليها ٠

* تــم إبــرام تعاهد بين الملك [أسر حدون] ملك أشور والملك [بعــل] حاكم مدينة صور في عام ٦٨٠ ق٠م تقريبا وهذا التعاهد تضمن بأن يلتزم ملك صور بأن ينقل غنائم الآشوريين من الجنوب إلى الشمال ، وأن لعــنات الآلهــة ستصب على أسطول الملك إذا لم يقم بتنفيذ تعهده - ولكــن هذا التعاهد لم يدون فترى طويلة لأن ملك صور قد أخل بنصوص هذا التعاهد، وانضم في تعاهد آخر مع طهرقه ملك مصر وعدو الآشوريين فــي عــام ٦٧٢ ق٠م وكــان من ضمن بنود هذا التعاهد أن تتعهد مصر بحمايــة صور وصيانة استقلالها من أي اعتداء يقع عليها من الآشوريين ، وهــذا الــتعاهد قــد أبرمه ملك مصر قبل أن يتعرض بعامين فقط للغزو الآشوري الذي أحتل مصر في عام ٦٧٠ ق٠ م ٠

وقـد كـان أيضا للعلاقات والتعاهدات التي أبرمت بين ملوك بابل وأشـور وبين حكام المدن الفينيقية أثر كبير جدا على حياة الفينيقيين حيث أكسبهم الكثير من دعائم حضارة بلاد ما بين النهرين [١] .

ثالثا : بالنسبة لبلاد الإغريق : حيث كانت بلاد الإغريق في مهدها الأول خلال العهود التي تألقت فيه الحضارة الفينيقية وكانت تحتوي على مدن صغيرة مستقلة ، وبعضها كان مختلف سياسيا مع الأخر مثل ما كان بين أثينا وأسبارطة ، فقد عقدت هذه المدن بأكملها علاقات وتعاهدات عديدة ومتنوعة مع الفينيقيين وعلى الأخص خلال الفترة من عام ١١٠٠ – ٥٠٠ ق.م [كما ستبين فيما بعد عند عرضنا للحضارة الإغريقية]– وقد كـانت لهذه العلاقات والتعاهدات أثر كبير جدا على حياة الإغريق ، حيث اكتسـبوا مـن خلالهـا معظـم دعائم وأصول الحضارات الشرقية وعلى الأخـص حضارة مصر وبلاد ما بين النهرين ، لأن الفينيقيون قاموا بدور الوسـيط في نقل هذه الحضارات إليهم – كما كان لها أثر كبير أيضا في اكتسـابهم معـرفة الحروف الأبجدية التي اخترعها الفينيقيون ، وذلك لأن الفيـنيقيون كرجال أعمال مهرة قد أدركوا بسرعة الفوائد التي تعود عليهم من وجود نظام بسيط لكتابة يجعلهم يستغنون عن وجود الكتاب المحترفين فاخترعوا هذه الحروف الأبجدية – وتشير الأساطير الإغريقية بـأن [كـارموس Cadmus] الفيـنيقي هو الشخص الذي أدخل إليهم هذا الفن ،

---

(1) G. cantenau – la civilisation phenicienne – op. cit – pp 77 – ets .

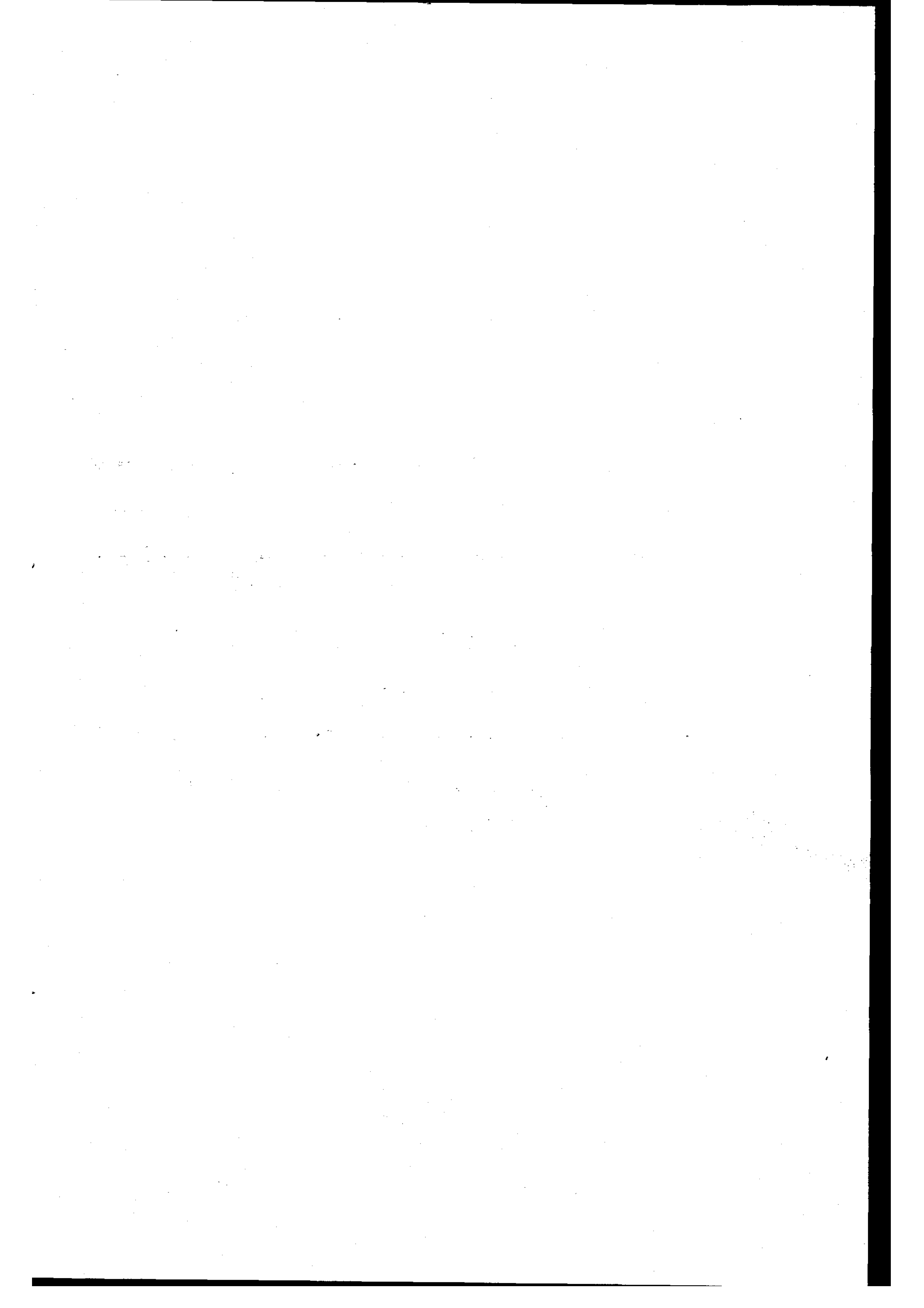
الـــذي تــرتب عـــليه اختفاء الكتابة المينوية من عندهم ، وجعل الأبجدية الإغريقية تأخذ كل حروفها من حروف الأبجدية الفينيقية [١] .

إلى جانب ذلك قد أبرم أيضا الفينيقيون تعاهدات أخرى متنوعة مع الجزر المستقلة التي كانت منتشرة في البحر الأبيض المتوسط مثل كريت وصـــقلية ، كمـــا أبـــرموا تعاهدات متميزة مع الجيثيين والفرس وبعض المجـــتمعات الشـــرقية الأخـــرى الـــتي كانت موجودة في الشرق الأوسط وأواسط أسيا [٢] .

وبالـــتالي فمهما كان أصل الحضارة الفينيقية ، إلا أن تأثيرها على تطور العلاقات والتعاهدات كان له دور كبير جدا من أي حضارة أخرى ، لأن الفيـــنيقيون بفضـــل نزوعهم إلى التجارة والملاحة كانوا بمثابة همزة الوصل بين الشرق والغرب ، فنقلوا الوسائل الحضارية التي كانت تساعد الشـــعوب على المعيشة الأفضل وعلى سرعة تذوق سحر الحياة – ففتحوا بذلك أفكار جديدة للتقارب بين الشعوب لا حدود لها ، وادوا للحضارة من هـــذه الناحية خدمات هائلة لا يمكن بأي حال من الأحوال حصرها خلال هذا الزمان البعيد [٣] .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 283 – 285 .
(2) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp 80 ets .
(3) R. weill – la phenicie et L'Asie occidentaie – op . cit – p 412. .



الفصـــل الثالـــث

****

أهم الجماعات الغربية التي تألقت حضاريـــا وساهمت في بلورة فكرة التعاهد في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث

تقديـم :

لـم يكن هناك حياة إنسانية ذات طابع حضاري مميز في سجلات تاريخ الزمن البعيد للعالم الغربي إلا في القارة الأوربية حيث ظهرت فيها جماعــات إنسانية عديدة حول الأنهار والسهول الخصبة ، وهذه الجماعات قد دخلت بعضها أعتاب العصر الحجري الحديث بداية من عام ٢٠٠٠ قبل الميـلاد بعد أن أتقنت نظام الرعي واستئناس بعض الحيوانات ، وعرفت عمليات استصلاح الأراضي وزراعاتها بمحاصيل عديدة إلى جانب بعض الصـناعات الـبدائية والحـرف اليدوية البسيطة ، كما تعلم أفرادها علوم إنسانية أخرى طورت حياتهم وأمور معيشتهم •

وحيـث أن هـذه الجماعات كانت منتشرة في معظم إرجاء القارة الأوربية إلا أن أهمها في الطابع الإنساني ، وفي إبراز الدور الحضاري ، وفي تطوير مفاهيم النظم المختلفة ومن بينها فكرة التعاهد كان في المناطق الساحلية لحوض البحر الأبيض المتوسط التي ظهر فيها الإغريق والرومان وذلـك لأن هذه المناطق كانت تتميز بالسهول الخصبة والجـو المعتدل – ولا يضـاح ذلـك سنقسم دراستنا في هذا الفصل إلى مبحثين على النحو الآتـي :

<u>المبحث الأول</u> : الجماعات الإغريقية في العصر الحجـري الحديث•

<u>المبحث الثاني</u> : الجماعات الرومانية في العصر الحجـري الحديث •

المبحث الأول

الجماعات الإغريقية في العصر الحجري الحديث

****

منذ عام ٢٠٠٠ ق٠م تقريبا كانت توجد في أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية جماعات من الأفراد معظمهم من العنصر **النوردي** الأشقر والأزرق العيون وقد أطلق عليهم **الآريون** ، وكانوا يعيشون على جمع القوت أي كانوا في عصرهم الحجري القديم – وعندما جف الرزق واشتدت عليهم برودة الجو القارص في هذه المناطق ، نزح بعضهم إلى آسيا الصغرى ومنها إلى جنوب شرق آسيا ، والبعض الآخر نزح إلى جنوب قارة أوروبا نحو شواطئ البحر الأبيض المتوسط في الجزء المسمى ببلاد اليونان ، حيث كان يغتني بالسهول الخصبة والطقس المعتدل عن المناطق التي نزحوا منها – وقد اصطدم هؤلاء النازحون الذين أطلق عليهم **أهل الشمال** مع الجماعات التي كانت توجد في هذه البلاد وكان يطلق عليهم **الاركاديون** أو **أهل الجنوب** وهم كانوا من أجناس مختلفة مثل **الايونية** و**الايولية** و**الدورية** إلى جانب سلالات أخرى من جنس سكان البحر الأبيض المتوسط ، وحدث بينهم صراع وحروب عديدة استمرت فترة طويلة تزيد عن مائة عام ، إلى أن همدت في النهاية وانتهت بعقد صلح دائم بينهم ٠٠٠ وبعد أن استقر هؤلاء النازحون في البلاد وحدث زواج بينهم وبين **الاركاديون** ، وتم انجاب ذرية من البنين والبنات اختلطت في عروقهم دماء الشمال بدماء الجنوب ، ظهرت **القبائل الإغريقية** منذ

١٠٠٠ سنة تقريبا [١] .

وبالـتالي فـإن تحديد طبيعة الشعب الإغريقي مسألة كثيرة التعقيد حـلها قـد تعـذر بشدة لدى الكثير من العلماء والباحثين ، لأنه خليط من أجـناس مختـلفة وإن كان قد غلب عليه بعد ذلك طابع الجنس الآري كما يقول معظم المؤرخين [٢] .

والقبائل الإغريقية التي تكونت من خليط هذه الأجناس قد استطاعت أن تخـرج مـن العصر الحجري القديم ، وتدخل المراحل الأولى للعصر الحجـري الحديث حيث تمكنوا أن يعيشوا داخل قرى غير مسورة صنعوا فيهـا أكواخ ليسكنوا بداخلها وعرفوا نظام الرعي وبعض الأساليب البدائية لـلزراعة ، وبعـد ذلك أخذت حياتهم تتطور نتيجة اتصالهم بالحضارات الشرقية عن طريق الكريتين ثم الفينيقين ، فشرعوا يتجرون وينشئون المدن بكـل مكـان حتى أصبح لديهم في القرن السابع قبل الميلاد عدد كبير من المدن المسورة مثل اثينا واسبارطه وكورنثة وطيبة وساموس وميليتوس وفـي نهايـة عصرهم الحجري الحديث وبداية عصورهم القديمة ، أسسوا أيضـا مسـتعمرات إغريقية على امتداد ساحل البحر الأسود وفي إيطاليا وصـقلية ، وكـان كعب الحذاء الإيطالي ومقدمة يسميان [ماجنا جريكا]

---

(١) د. عبد المنعم شميس – اليونان . أرض الفكر والفن – مطابع الدار القومية بالقاهرة – ١٩٦٠ – ص ١٦ – ١٧ .

(2) A. Aymard et j. Auboyer – Histoire Generale Des civilisations – op . cit – pp 313 – 316 .

ومعـناها [بلاد اليونان الكبرى] كما أن مدينة مرسيليا ليست في الأصل إلا بلدة إغريقية أسست على إنقاص مستعمرة فينيقية قديمة •

وإذا كانت الأقطار التي تتكون من سهول متسعة أو التي تكون فيها وسـيلة المواصلات الرئيسية أحد الأنهار الكبرى مثل النيل والفرات تنزع إلى الاتحـاد تحت حكم واحد مثل مدن مصر وسومر التي اتحدت كلها في نظـام حكـم واحد - إلا أن الشعوب الإغريقية كانت موزعة بين الجزر والوديـان الجبلية ، لأنه من المعلوم أن بلاد الإغريق والجزء الجنوبي من إيطاليـا [الماجـنا جـريكا] جبلية وعرة ، لذا كان الوضع ينزع صوب الـتفرق لا الاتحـاد - ولذلك عندما ظهر الإغريق في التاريخ لأول مرة كانوا منقسمين إلى عدد من الدويلات الصغيرة التي لا يبدو عليها مطلقا أي أثر للائتلاف أو للاتحاد ، وكانوا يتباينون في كل شيء وعلى الأخص في النظم السياسية ، كما أن الظروف الجغرافية قد ساهمت أيضا في جعل هذه الـدول مقسمة ومختلفة على الدوام فيما بينها إلى جانب صغر حجميها - وذلك لأن أعظم دولها حجما كان أصغر من أي مدينة في مصر الفرعونية وفي بلاد ما بين النهرين •

وقد قامت بين هذه الدول الصغيرة اتحادات بدافع المصلحـة [والتعاطف على أساس أن بلاد الإغريق كان يجمعها أمران يجعلان منها مجـتمعا] لـه شعور مشترك إلى حد ما - وهما الملاحم مثل (الالياذة والاوديسـا) الـتي كـانت تحكي قصص بطولاتهم في طرواده ، وعادة المساهمة كل أربع سنوات في المباريات الرياضية التي كانـت تقـام

فـــي أوليمبيا – غير أن هذا لم يؤدي مطلقا إلى اتحادهما تحت نظام حكم واحد كما لم يمنع من نشوب الحروب والمنازعات بينهما في بعض الأحيان مثل ما كان يحدث بين أثينا واسبارطه [١] .

ولم تكن الحضارة الإغريقية مختلطة الأجناس فقط ، ولكنها احتوت أيضـــا على ما يسميه البيولوجيون قوة التهجين – لأن الإغريق قد اخذوا دعائم وأصول من كل حضارة وعلى الأخص حضارة مصر وبلاد ما بين الـــنهرين لأنه كان يوجد عندهم رغبة ملحة للتعليم ، فاقترضوا من غيرهم دون خجـــل حـــتى كـــاد لا يوجد شئ في حضارتهم الكلاسيكية لا يمكن إرجاعه إلى أصول خارجية – ولكن بسبب ما كانوا يتميزوا به من مرونة وســـعه خيـــال ، فـــإن الأفكـــار التي اقترضوها كانت تتجمع في عقولهم ليمـــزجونها ويخرجون منها نتائج جديدة وغير متوقعة لأنهم كانوا يميلون دائمـــا إلى حب الاستطلاع والبحث الدائم عن الأشياء الجديدة وأخبار أكبر عـــدد ممكن من الناس عن هذه الأشياء حتى يتم بلورتها في هيئة نظريات تقـــترب نحـــو الحقيقـــة – ولذلـــك فكما أخذ الإغريق أصول ودعائم من حضـــارات الشـــرق قد أعطوا أيضا لهذه الحضارات صفوة ما حققوه من إنجازات خلال عصورهم القديمة [٢] .

وحيـــث أن الحضارة الإغريقية قد شغلت دراستها عددا كبيرا من أعظـــم العقـــول المفكـــرة في معظم دول العالم ، وهناك كتب ومراجع لا

---

(1) H. G. wells – A short history of the world – op. cit – pp 100 – 102 .
(2) Ralph linton – TREE of culture – op – cit – pp 284 – 285 .

حصـــر لهـــا تعــالج أصـــول هــذه الحضارة من حيث نظمها السياسية والاقتصـــادية والاجـتماعية ومـــا أنتجته من فكر فلسفي راقي - فإن هذا يجعلـــنا لا نخوض أكثر من ذلك حتى نبعد عما سبق ترديده ونقتصر فقط على موضوع دراستنا لبيان مدى طبيعة التعاهدات التي أبرمتها الجماعات الإغــريقية التي أصبحت بعد ذلك مدن أو دول صغيرة مستقلة في النصف الــثاني مـــن عصـــرها الحجري الحديث والذي نرى أنه قد بدأ من القرن السابع حتى القرن الخامس قبل الميلاد ••• مع العلم كما سبق أن وضحنا مـــن قبل أن في ذلك الوقت كانت معظم المجتمعات الشرقية في أوج قمتها الحضـــارية ودخــلت عصورها القديمة بما يزيد عن ألفي سنة ولهذا فإن التعاهدات التي أبرمتها المدن أو الدول الصغيرة الإغريقية فيما بينها كانت ذات طـــابع مـــتميز بملامح العهود الأخيرة للعصر الحجري الحديث ، في حين التعاهدات الأخرى التي أبرمتها هذه الدول مع المجتمعات الحضارية الــتي ظهرت في الشرق كانت ذات طابع آخر اختلطت فيه ملامح العهود الأخيـــرة للعصر الحديث مع ملامح العصور القديمة وذلك لأن المجتمعات الشـــرقية كـــانت في أزمان عصورها القديمة • منذ فترة طويلة تزيد عن ألفي سنة تقريبا •

وحيـــث أن العلاقـــات والـــتعاهدات التي أبرمتها المدن الإغريقية المستقلة سواء فيما بينها ، أو بينها وبين المجتمعات الحضارية في الشرق- كـــانت عديدة ومتنوعة ونحتاج أيضا لمؤلفات متسعة لسردها بالتفصيل - فإن هذا الأمر سيجعلنا نضطر إلى ذكر أمثلة موجزة عنها لنثبت وجودهـــا

مـــن ناحية وتظهر طبيعتها من ناحية أخرى ، لنؤكد بأنها كانت لا تختلف عـــن طبيعة المعاهدات الدولية التي يتم إبرامها في عالم اليوم ، وذلك على النحو التالي :

** إذا كـــانت كل مدينة إغريقية مستقلة تماما عن المدن الأخرى وتـــأخذ شكل دولة صغيرة لها حكومة وقانون مميز ونظام سياسي خاص ومعترف به من كل حكومات المدن أو الدول الإغريقية الأخرى - إلا أن الـــروح الهيلـــنية التي كان تسيطر على الشعب الإغريقي بأنهم أفضل من الأجـــناس الأخـــرى ، والاعتقاد الذي غرس في كل فرد منهم بنبذ الفردية والاتجاه نحو الجماعية ، وسار هذا الاعتقاد بينهم حتى أخذ حكم حتمي بأن [الجماعة الإغريقية التي لا تربطها رابطة بالجماعات الإغريقية الأخرى لـــم تســـتطيع أن تشبع رغبتها في أن تحيا مرة أخرى بعد موت إفرادها لأنهـــا تفقد الأمل في استمرار بقاء الشعب الإغريقي كله] - فإن هذا قد أدى إلى إبرام تعاهد بين كل المدن الإغريقية المستقلة في القرن الثامن قبل الميـــلاد من أجل أن يدوم التعاون الكامل بينهما في كافة النواحي السياسية والاقتصـــادية والاجـــتماعية والـــثقافية ، وإن تسود روابط الود والمحبة والـــتآخي بيـــن أفرادها لتكون تعبيرا عن أصالة الروح ورابطة الدم التي تجمع الشعب الإغريقي في جسد واحد [1] .

---

(1) David . kahn – scientists of code ….. op . cit- pp . 147 – 149.

** في عام ٦٥٠ ق٠م تقريبا أبرمت معاهدة بين المدن الإغريقية المستقلة وسميت معاهدة ارجينس (Argiens) وقد تضمنت نصوص عديدة أهمها :

١ - أن يستمر سلام شامل وتحالف دفاعي وهجومي مدته خمسين سنة بين جميع المدن الإغريقية المستقلة ٠

٢ - أن يتم اللجوء إلى التحكيم لحل أي مشكلة أو نزاع يحدث بينهما بدلا من استخدام القوة أو اللجوء إلى الحرب ٠

٣ - أن تحترم كل مدينة بعثات المدن الأخرى الموجودة على أرضها وتقدم لها كل العون والخدمات التي تحتاجها دون ككل أو تقصير ٠

ويقول بعض العلماء والمؤرخين بأن هذه المعاهدة تعتبر من أهم التعاهدات التي أسهمت بدور بارز من إنماء روح التعاون الوثيق بين الشعب الإغريقي على مبادئ مصيرية هدفها السلام الشامل وجمع الكلمة في بوقفة واحدة وحل كل المنازعات التي تنشب بينهم بالطرق السليمة المليئة بالعدل والحكمة لأنهم كانوا يروا في التحكيم خير وسيلة لإنهاء أي نزاع يرضي الطرفين وعلى أساس هذا الاعتقاد قال أرسطو (أن إطراف النزاع يستطيعون تفضيل التحكيم عن القضاء ، وذلك لأن المحكم يرى العدالة بينما لا يعتدّ القاضي الا بالتشريع] ٠

وقد ساعدت هذه المعاهدة أيضا الدول الإغريقية الصغيرة أن تنقذ حضاراتها من غزوات الفرس - وذلك لأنه عندما قام دارا الأول ملك

الفـــرس بأول حملة بحرية كبرى في عام ٤٩٠ ق٠م ونزلت قواته منطقة ماراثون بشمال أثينا لكي يحتل بلاد الإغريق ، قام الجيش الاثيني بمواجهة هـــذه الحملة دفاعا عن أرضه وفي نفس اللحظة الحرجة أرسل حاكم أثينا رســـولا مـــن أسرع العدائيين إلى حاكم أسبارطه ليطلب منه النجدة على أســـاس مـــا بينهما من تحالف ، وقطع هذا العداء (**وهو النموذج المثالي لنظرائه من عدائي ماراثون**) أكثر من مائة ميل بأرض وعرة في أقل من يوميـــن – وعـــندما تسلم حاكم أسبارطه هذه الرسالة هب بجيوشه لنصره حلفاءه في سرعة وكرم نفس ، ولكن عندما وصل بقواته إلى أثينا بعد ثلاثة أيـــــــام لم يجد شيئا يفعله إلا أن يشاهد هو وجنوده الساحة التي دارت فيها المعركـــة وبها حثيث القتلى من جنود الفرس لأن الجيش الاثيني كان قد انتصر عليهم ودحر قوات **دارا لأول** قبل أن يصل جيش أسبارطة بيوم واحد [١] .

وحيـــث أن آثـــار هذه الهزيمة قد تسببت في موت **دارا الأول** بعد دمـــرت قواته في **ماراثون** – فقام ابنه [**اكسيركيس**] الذي خلفه في الحكم بتجهيز جيش قوي لمدة أربع سنوات ليسحق به الإغريق – وحيث أن حكام المـــدن الإغريقية كان لديهم اعتقاد بذلك ، وكانوا يرغبون بشدة في معرفة موعد هذا الهجوم لكي يستعدوا له حتى لا يفاجئوا بقوات الفرس أمامهم – فقـــد اتفقوا فيما بينهم على دفع بعض عناصر من الأشخاص المدربة على

---

(1) H. G. weils – A short History of the world – op . cit – pp . 106 – 107 .

الـــتخفي وتـــبادل المعلومات السرية إلى داخل إقليم الفرس من أجل جلب معـــلومات عن جيوش الفرس ومخطط تحركهم لغزو بلادهم – وبالفعل قد نجحت هذه الوسيلة بنتيجة تلقيهم رسالة تعتبر من أهم الرسائل الشفرية في تاريخ الحضارة الغربية كلها (وفقا لما قرره هيرودوت) ، لأنها تضمنت معلومات هامة جدا تشير بأن الفرس قاموا بتجهيز قواتهم ومعداتهم الحربية وعـــزموا الهجـــوم عـــليهم بـــرا وبحرا ، وبأن القوات البرية سوف تعبر الدردنيل بجسر من الزوارق ، وكل ما تتقدم يتحرك معها بمحازاة الساحل الأســـطول الـــبحري الضخم الذي يحمل معه المؤن ، وقد تم إرسال هذه الرســـالة عـــن طريق شخص إغريقي يدعى [ديماراتوس] أقام بطريقه مستتره في قلب بلاد فارس وكان يتجسس لصالح بلاده ، حتى تمكن أثناء تواجـــدة فـــي مدينة سوسا من الحصول على هذه المعلومات – فقام على الفور بإرسالها كاملة إلى حاكم اسبارطة بأسلوب الشفرة حتى لا يتم كشفها وذلـــك بـــأن أحضـــر ألواحا من الخشب صغيرة الحجم وكتب عليها هذه المعلومات ثم جمع هذه الألواح فوق بعضها وغطاها بطبقة من الشمع حتى أصبحت قطعة واحدة من الخشب ولا تظهر عليها أي معلومات أو رموز ، وأرســـلها مع مندوب إلى بلاده عبر أراضي فارس – وعندما وصلت هذه الرســـالة إلى حاكم اسبارطه وعلم ما بها من معلومات بعد أن أزال طبقة الشـــمع مـــن عليها – قام بإبلاغ جميع حكام المدن الإغريقية بها وبموعد هجـــوم الفـــرس عليهم حتى يستعدوا تماما بقواتهم وأسلحتهم لمواجهة هذا الهجـــوم البري والبحري الكاسح طبقا للتحالف الدفاعي والهجومي المبرم بينهم ... وبالفعل قامت قوات الفرس بالهجوم على بلاد الإغريـــــق في

نفـس الموعـد الذي كان محدد بالرساله في عام ٤٨٠ ق٠ م ، وشابكت قـوات الطـرفين ودار قـتال شـرس بينهما في معارك [ثرمو بيلاي ، وسـلاميس ، وبلاتيا] وكانت معارك طاحنة ، إلا أن الإغريق استطاعوا بفضـل اسـتعدادهم السابق وقوتهم الموحدة أن ينتصروا بعد عام من هذا القتال الشرس ، ويقضوا تماما على قوات الفرس في عام ٤٧٩ ق٠م (١) – ويـنقذوا بلادهـم مـن هذا الغزو المدمر الذي أعده الفرس [الذين كانوا يمثـلون أكـبر قـوة فـي الشرق في ذلك الوقت] من أجل إطفاء شعلة حضارتهم التي أخذت تظهر وتنازعهم في زعامة العالم القديم (٢) .

** في عام ٤٢١ ق٠م أبرمت معاهدة نيكياس بين أثينا واسبارطه مـن أجل أن يدوم سلام شامل بينهما مدته خمسين عام – وترجع ظروف إبـرام هـذا التعاهد – إلى أنه بعد تمكن الإغريق من سحق قوات الفرس وزال بالتالي الخطر الفارسي الذي كان يهددهم بين الحين والآخر – حدث خـلاف شـديد بيـن أثينا التي كانت تأخذ بنظام الحكم الديمقراطي وبين اسبارطة التي كانت قائمة على نظام حكم الالجركية (حكم الأقلية) وكانت كـل واحدة منها تحاول تدعيم قوتها بضم جيرانها إليها كحلفاء لها ، الأمر

---

(1) David kahn – scientists of code …. Op . cit – pp 150 – 151.

- مشـار إلى هـذه المعـاهدة ومـا نتج عنها في مؤلفا – البعد الاخلاقي لقانون العلاقـات الدوليـة – مـرجع سابق ص ٤١١ وما بعدها – وأيضا في مؤلفنا – العلاقات الدولية في العصور القديمة – مرجع سابق ص ١١٤ – ١١٩ .

(٢) بطـرس بطـرس غالي – التنظيم الدولي – مكتبة الأنجلو المصرية – طبعة ١٩٥٧ – ص ٢١ .

الذي أدى إلى انقسام العالم الإغريقي إلى قوتين متعادلتين – وإمام ازدياد حـــدة هذا الخلاف واتساع مداه بين الحين والآخر ، حدث صدام وحروب طاحنة ومدمرة بينهما ، ضاع فيها روابط التعاون والتحالف الذي كان قائما مـــن قـــبل بيـــن المدن الإغريقية ، وهي ما تسمى بالحروب البيلوبونيزية وكانت أثينا في بداية هذه الحروب تملك أسطول قوي حقق لها انتصارات عديدة على جيش اسبارطة ، إلا أن تفشى مرض الطاعون بين جنودها فتك بالكثيرين منهم في الفترة من عام ٤٣٠ ق٠ م – ٤٢٩ ق٠ م ، وكان هذا الســـبب فـــي عـــدم انتصارهم الساحق على الاسبارطيين في الحرب التي اســـتمرت بينهم عشر سنوات خلال الفترة من عام ٤٣١ – ٤٢١ ق٠ م – وانـــتهت بعقـــد معاهدة صلح تعتبر من قبيل المعاهدات الدولية للسلام في العصر الإغريقي وهي التي سميت بمعاهدة [نيكياس] في عام ٤٢١ ق٠م – حيـــث تـــم الاتفاق فيها بين الطرفين على وقف القتال وعلى أن يستمر الصلح والسلام الدائم بينهما لمدة خمسين عاما ٠

وحيث أن النفوس كانت غير صافية من الجانبين والكراهية الشديدة بيـــنهما كانت طاغية على كل شيء ، فإن هذه المعاهدة لم تستمر أكثر من خمـــس ســـنوات فقط لأن الصلح الذي حققته لم يكن سوى صلحا شائكا ، وبالـــتالي اندلعت الحرب بينهما مرة أخرى وكانت أشد ضراوة ، وانتهت بهـــزيمة ساحقة منى بها أسطول أثنيا وجيشها في معركة سرقـــه في عام ٣١٤ ق٠م ٠

وبانــتهاء هــذه الحــروب ســاد الهدوء بلاد اليونان ونعم الشعب الإغــريقي في أول عصوره القديمة بفترة سلام وترابط حتى قام الاسكندر الأكبر بعد تعيينه قائدا عاما للجيوش الإغريقية بتحقيق أحلامهم في تكوين إمبراطورية إغريقية من الغرب للشرق [١] .

- وكمــا أبرمت المدن الإغريقية المستقلة تعاهدات فيما بينها ، فقد أبــرمت أيضا تعاهدات أخرى عديدة ومتنوعة في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث مع معظم المجتمعات الشرقية التي كانت متألقة حضاريا فــي عصــورها القديمــة ، ومــع الكريتيين قبل انهيار حضارتهم ، ومع الفيــنيقين الذيــن قام بدور الوسيط في نقل حضارة الشرق إليها - وقــد كشــفت الآثار التي تم العثور عليها في مصر وبلاد ما بين النهريــــن وفــي ســواحل سوريا ولبنان وفي جزيرة كريت وفي أسيا الصغرى عن وجــود هــذه الــتعاهدات الــتي كــانت تعبر عن روح التعاون والتبادل الاقتصــادي والاجــتماعي بين المجتمع الاغريقي ومعظم شعوب الشرق القديم [٢] .

---

(١) جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ١٧٤ .
مشار إلي هذه المعاهدة في مؤلفنا - البعد الأخلاقي لقانونْ العلاقات الدولية - مــرجع سابق ص ٤١٢ - وأيضا مؤلفنا العلاقات الدولية في العصور القديمة - مرجع سابق ص ٩٣ ، ٩٤ .

(2) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – p. 99.

** فقد ثبت من سجلات التاريخ بأنه نتيجة زيادة العلاقات والتعاهدات بين مصر والمدن الإغريقية وما ترتب على ذلك من إزياد الترابط وروح المحبة بين الشعبين - قد تم إنشاء مدينة **نقراطيس** [Nouchatis] كمدينة حرة للإغريق في مصر عام ٦٥٠ ق٠م [وهي تقع حاليا بالقرب من مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة] وذلك بعد زاد عدد التجار الإغريق في مصر ، وزاد بالمثل عدد التجار المصريين في المدن الإغريقية وعلى الأخص مدينة أثينا - فتم إنشاء هذه المدينة تعبيرا عن روح الود والمحبة والتعاون التجاري بين الشعبيين (١) ،وليس من قبيل فرض نفوذ الإغريق على مصر ، لأن هذا الإنشاء كان في عام ٦٥٠ ق٠ م ، وكانت مصر في تلك الفترة في عز زهوتها الحضارية وتتمتع بسيادة كاملة تحت حكم الملك الفرعوني **ابسمايتك** في حين كان الإغريق مازالوا في النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث ولم تكن لهم أي سطوه أو نفوذ في أي مكان خارج أقاليمهم ٠

ولذلك فإنشاء هذه المدينة لم يتم إلا بناء على اتفاق بين مصر وبعض المدن الإغريقية المستقلة ، ولذا نرى أن هذا الاتفاق يأخذ الطابع الدولي لوجود مصالح حيوية مشتركة بين مصر والإغريق مع الرغبة في زيادة الترابط وتطوير العلاقات والتعاهدات القائمة بينهما ، وعلى أثر ذلك أسست للإغريق مدن حرة أخرى في مصر مثل **ممفيس وعيدوس** تعبيرا

---

(١) د ٠ صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ٥٢٥ وما بعدها ٠

عــن الصــلات القويــة التي كانت تربطهما ويقول بعض المؤرخين بأن الــتعاهد عــلى إنشــاء هذه المدن الحرة ، كأن قد سبقه تحالف بين مصر والإغــريق فــي عــام ٦٦٤ ق٠ م مــن أجــل أن يساند جنود الإغريق الموجودين في أسيا الصغرى الجيش المصري بقيادة الملك ابسمايتك لطرد الآشــوريين مــن أرض مصــر – وأنه بعد أن تحقق هذا النصر واعتلى ابســماتيك عرش مصر وأسس الأسرة السادسة والعشرين عام ٦٦٣ ق٠م قــد تعاهد مع الإغريق بعد أن تحالفوا معهم عسكريا وسياسيا على إنشاء هذه المدن الحرة ليقيموا فيها داخل أرض مصر [١] .

** وفــي بــلاد مــا بين النهرين وجدت آثار عديدة تؤكد وجود علاقــات وتعــاهدات عديــدة ومتنوعة في النواحي الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والثقافية بين المدن الإغريقية المستقلة وهي في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث وبين ملوك أشور وملوك الأسرة البابلية الثانية ، وذلــك بالرغم ما كان يسود بينهما من خلافات ومنازعات حادة في فترات معيــنة بســبب اطمــاع كل منها في السيطرة على تجاره البحر الأبيض المتوســط – وعلى أساس هذه العلاقات والتعاهدات التي تمت يقول معظم المؤرخيــن بأن المدن الإغريقية قد استفادت تماما منها وتطورت حضاريا

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 284 –
- j. BAIKIE – A History of EGYPT – op . cit – pp 211 ets .
– د ٠ عــبد المنعم شميس – اليونان أرض الفكر والفن – مرجع سابــــق – ص ٨٨

مــن خلالها في نواحي عديدة [١] ، وفي ذلك يقول رالف لنتون في مؤلفة شــجرة الحضارة بأن [العلاقات والتعاهدات التي أقامتها المدن اليونانية المستقلة في مهد حياتها الأولى مع ملوك أشور وبابل قد حققت للإغريق فوائد لا حصر لها لأنهم قد وجدوا العلوم التي استطاعوا تقديرها في بلاد مــا بيــن النهرين بالإضافة إلى نظرية الكون التي كانت تتفق تماما مع نظــرتهم التشــككية فيما يختص بمدى وطبيعة التدخل الإلهي في أعمال الإنســان ، ورجعــوا مــن علاقاتهم وتعاهداتهم من بلاد ما بين النهرين بمعــلومات مــتقدمة كثيرا في علم الفلك والعلوم الرياضية ، وقد كان كل مــنها محررا من قيود الكهنة وسيطرتهم – وأدت هذه العلوم إلى اتساع كبير في آفاق الفكر الإغريقي ، وعندما اقترنت بميل الإغريق العظيم إلى الظواهــر الطــبيعية والســلوك الحيــوي أمكنهم أن يقدموا لنا الفلسفة الإغريقية بما فيها من تشكك ضروري في خضوع الكون لرغبة الإلهة ، ومــا فيها من المبالغة في فضل الإغريق على العلوم فيما تلا من عصور .....] [٢] .

ورغــم التنافس الشديد بين الإغريق والفينيقيون في بعض مناطق البحر الأبيض المتوسط بعد أن ظهرت المدن الإغريقية وبدأت في النصف

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp 82 ets.

– د . عبد المنعم شميس – اليونان أرض الفكر والفن – مرجع سابق – ص ٢٣ وما بعدها .

– جورج سارتون – تاريخ العلم – مرجع سابق – ص ١٧٥ وما بعدها .

(2) Ralph linton – TREE of culture – op. cit – p 286 .

الـــثاني من عصرها الحجري الحديث تدخل البحر لتمارس أعمال التجارة البحرية - إلا أن سجلات التاريخ تحفظ الكثير من الوثائق التي تثبت وجود علاقات وتعاهدات عديدة بين المدن الإغريقية المستقلة وبين المدن الفينيقية التي كانت مستقلة أيضا وكانت من أجل تدعيم التعاون بينهما في النواحي الاقتصادية والاجتماعية الثقافية - وأنه من خلال هذه العلاقات والتعاهدات قـــد قام الفينيقيون بدور الوسيط بين الشرق والغرب حيث نقلوا كثيرا من دعـــائم وأصـــول الحضـــارات الشـــرقية إلى المدن الإغريقية - كما أن الفينيقيون قد ادخلوا اختراعهم السامي للحروف الابجدية إلى الإغريق حيث اقتبســـوها بعـــد أن وجدوا فيها وسطا ملائما جدا لتطوير لغاتهم وتحرير أنفســـهم مـــن الكـــتابة المعقدة التي كانوا يستخدموها وتجهض مصالحهم ونشاطهم في أمور الحياة المختلفة [١] .

** وإلى جـــانب ذلـــك أبـــرمت أيضـــا المدن الإغريقية علاقات وتعـــاهدات أخرى عديدة مع الفرس قبل أن يحتدم بشدة الصراع بينهما بما يـــزيد عن مائتين عام - كما أبرموا أيضا تعاهدات مع الحيثين قبل اندثار حضـــارتهم [٢] - وفـــي عصـــورهم القديمـــة وعلى الأخص بعد أن فتح

---

(1) G. contenau – la civilisation phenicienne – op. cit – pp 385 ets.
- R. weill – la phenicie et l'asie occidentaie – op . cit – pp 213 ets .
(2) M. Croiset – la civilisation de la Gréce antique – paris – 1932 – pp 228 ets .

الإسكندر الأكبر العديد من بلاد الشرق قد أبرموا علاقات وتعاهدات كثيرة مـــع الهند والصين • كما أرسلوا سفراء لهم في هذه البلاد لكي يزيدوا من دعـــائم الـــتعاون والـــترابط معهـــا في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافيـــة [١] •

وعـــلى هـــذا الأســـاس قد ساهم الإغريق بدور هام وبارز خلال النصف الثاني من عصرهم الحجري الحديث في إبرام العديد من التعاهدات الـــتي كـــان لهـــا أثـــر كبير في تطوير العلاقات الدولية بين المجتمعات الحضارية التي انتشرت في شرق وغرب العالم القديم •

---

(١) حســـن محمد جوهر ، محمد مرسي أبو الليل – شعوب العالم – طبعة ١٩٦٥ – دار المعارف المصرية – ص ٢٠ وما بعدها •

المبحث الثاني
الجماعات الرومانية في العصر
الحجري الحديث

****

في الأزمان الأخيرة للقرن الأول قبل الميلاد ظهرت مرحلة جديدة فـــي تاريخ البشرية ، حيث لم تعد منطقة الشرق الأوسط والساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مركز القوة الوحيد في العالم القديم بل شاركها في ذلـــك قوة أخرى جاءت من الغرب هي الإمبراطورية الرومانية التي آلت السـيادة إليها بعد ذلك على معظم المجتمعات الحضارية التي ظهرت قبلها بما يزيد عن ثلاثة ألف عام .. وذلك لأنها مدت سلطانها على كل المدن الإغـــريقية وعلى قرطاجنة وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط ثم على مصـــر وشمال إفريقيا ثم مدن الشام وبلاد ما بين النهرين ومناطق أخرى وراء نهر الفرات (١) .

أنشأ مدينة روما له روايتان – الرواية الأولى تقليدية قديمة والثانية حديـــثة " ... فالرواية التقليدية التي وردت عن المؤرخين القدماء تشير بـــأن روما قد تأسست في ٢١ إبريل عام ٧٥٤ ق.م على الضفة اليسرى لنهر التيبر بواسطة شقيقين توأمين الأول يدعى رمولوس ، والثاني يدعى

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp 154 ets.
- R.H. BARROW – slavery in the Roman Empire – london 1928 – pp 4 ets .

ريمـوس ، وأن رمولـوس قـد أحاط منطقة المدينة بخطوط ليقيم عليها أسـوارها المقدسة وعندما عبر شقيقة ريموس هذه الخطوط بطريقه تعبر عـن الاستهتار والاستهزاء به قتله ليكون عبرة لمن يحاول الاعتداء على هـذه المديـنة – وبعد ذلك قام ببنائها ، فأنشأ أولا ملجأ للنزلاء وللأرقاء والفـارين من الأسر والمدينين المعسرين عند منقطة الكابيتول ، وبعد أن أصـبحت هذه المنطقة عامرة بالرجال فقط ، قاموا بخطف فتيات من قبيلة السـابيين التي كانت تقيم في رابية بلاتينو المجاورة لرابية الكابيتول وكان يحكمها تيتوس تاتيوس ، وهذا الأمر قد أدى إلى حدوث قتال بين السابين ورجال رمولوس – إلا أن المعركة توقفت بعد أن تدخلت النساء في القتال بجـانب رجال رمولوس ضد إقاربهن من السابيين ، فانتهت الحرب وعقد أهـل رومـا والسابيين تحالفا أصبحت فيه الرابيتان تحت حكم رمولوس وتيـتوس تاتيوس ، وفي خلال ٢٤٥ عاما من تأسيس روما حكمها سبع مـلوك أولهـم رمولوس وأخرهم طار كوين الثاني حيث ثار عليه الشعب وقـتله فـي عام ٥٠٩ ق٠م بسبب تعسفه واستبداده وقيام ابنه سكستوس باغتصـاب إحدى سيدات روما المتزوجات وقادها إلى الانتحار ٠٠ وبعد ذلـك حل نظام حكم جمهوري أرستقراطي النزعة بدلا من النظام الملكي السابق [١] ٠

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 320 – 322 .

– د ٠ عمـر ممدوح مصطفى – القانون الروماني – الطبعة الخامسة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ – دار المعارف – ص ٢٤ ٠

أما الرواية الحديثة : التي استخلصت من الكشوف الأثرية – تشـــير بأن روما قد تكونت على أثر قيام مدينة البا بأنشاء مستعمرة على رابيـــة بـــلا تينو في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد لمراقبة تحركات أعدائهـــا ثم قامت بإنشاء مستعمرات مماثلة على الروابي الأخرى ، وهذه المســـتعمرات كونت بما يشبه القرى ، وبمرور الزمن اتحدث هذه القرى وكونـــت اتحـــادا عـــرف باســـم اتحاد الروابي السبع – وفي عهد الملك طـــاركوين الأول تحول هذا الاتحاد إلى مدينة كاملة أطلق عليها اسم روما وذلك في عام ٦٥٠ ق٠م ، ثم أحيطت بالأسوار وأصبحت بعد ذلك مركزا تجاريـــا هامـــا في إقليم لا تيوم ، ومع مرور الزمن أصبحت لها الصدارة عـــلى المـــدن الأخرى المجاورة لها – وفي عام ٥٠٩ ق٠م تحول نظامها السياسي إلى الحكم الجمهوري بدلا من نظام الحكم الملكي [١] .

يقـــول بعض المؤرخين أن ظهور روما وتمكنها من السيطرة على العالم الغربي ومعظم المجتمعات الحضارية في الشرق لم يكن من المتوقع عـــلى الإطـــلاق ، وذلك لأن هذه المدينة كانت تضم أجناس مختلفة وغير متجانسة ، وكان منهم عدد كبير من الرعاع والعاطلين الذي يمكن شراءهم واستخدامهم بسهولة في توليد المشاكل والاضطرابات داخلها لهدم كيانها ،

---

(١) د ٠ عـــبد المـــنعم البدراوي – تاريخ القانون الروماني – طبعة ١٩٤٩ كلية الحقوق – جامعة القاهرة – ص ١٣ وما بعدها ٠

(٢) د ٠ عمـــر ممـــدوح مصطفى – القانون الروماني – مرجع سابق – ص ٢٥ وما بعدها ٠

ونسبه التعليم والرغبة في الحصول على المعرفة كانت قليلة للغاية بين أهل هـذه المديـنة الذيـن كانوا أغلبهم مزارعين استقروا فوق عدد من البلاد المنخفضة على الضفة اليسرى من نهر التيبر وعلى بعد خمسة عشر ميلا مـن مصـبه - كمـا أنـه فـي الوقت الذي كانت فيه معظم بلدان العالم المتحضرة تموج بعدد كبير من السكان والأراضي الخصبة كانت المنطقة الـتي ظهـرت فيها روما عبارة عن أراضي جبال وغابات قليلة السكان وليسـت ذات أهميـة عـلى الإطـلاق من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية عند الإغريق الذين كانوا مسيطرين على معظم أقاليم أيطاليا. بالإضـافة إلى ذلـك أن شـعب رومـا كان على العكس معظم الشعوب المتحضرة وعلى الأخص الإغريق ، حيث لم تجذبهم في بداية حياتهم أي عـلوم إنسـانية ولا الفلسفة ولا الفكر النافع ، وإنما كان يستهويهم مشاهدة الجلاديـن والمصـارعين حـتى الموت ، وضعاف الأجسام وهم ينازلون الوحـوش الضـارية بعـد تجويعهـا لكي تفترسهم وتسفك أوفر كمية من دمـائهـم [١] .. ولذلـك لم تكن روما مثل الإمبراطوريات السابقة التي قامت على ركائز حضارية مليئة بالعلم والرغبة الملحة في الحصول على المعـرفة واعتناق الفلسفة والفكر النافع وكافة العلوم الإنسانية الأخرى - وإنما تسلطت وظهرت بقوتها فجاءة أمام شعوب العالم القديم نتيجة عوامل أخرى أهمها ما يلي :

---

(1) Ralph linton – TREE – of culture – op . cit – pp 293 ets .

- د . عبد المنعم شمس - اليونان أرض الفكر والفن - مرجع سابق - ص ١٠١ وما بعدها .

١ - مركــزها كــان يقــع في الغرب وعلى بعد كبير من مراكز الإمــبراطوريات الأقدم منها عهدا - وبفضل هذا الموقع تمكنت أن تتقوقع فيه وتزيد من قوتها دون أن تلفت انتباه القوى السياسية التي كان لها شأن في العالم القديم وعلى الأخص الإغريق ٠

٢ - استطاعت بموقعها البعيد أن تدخل في حظيرتها عدد كبير من أفــراد الشــعوب المتحضرة مثل الإغريق وسكان البحر الأبيض المتوسط وهــؤلاء الأفــراد قد ساندوها تماما بعد أن انصهروا في بوتقتهـــــا في تدعيــم قوتها الحربية بدلا ما كانت تعتمد فقط على بعض المزارعين في الدفــاع عــن كيانهــا من غارات القبائل التي كانت تقطن مواقع مجاورة لحدودهــا ٠

٣ - عدم تمسك شعب روما بالسوابق التاريخية والتقاليد الجامدة قد ساعده على التحرر من كل القيود والانطلاق نحو التجارب الإدارية والنظم السياســية المختــلفة ، وإن كان هذا الانطلاق من غير وعي وبدون خطط مسبقة ٠

٤ - القوانيــن التي تم فرضها منذ إنشاء مدينة روما قد التزم بها شــعبها وحافظ عليها ، وعلى أساس أن نصوص هذه القوانين قد وضعت بعد أن أمليت من طبيعتهم الخاصة كمجتمع زراعي ٠

٥ - الظروف السياسية التي كانت سائدة في المجتمع الدولي القديم في عهد إنشاء روما كانت مضطربة ومتردويــــــة ، واستمرارها قـــد

ساعد الرومان على تكوين قوة حربية هائلة فاجئوا بها الإمبراطوريات الكبرى في شرق وغرب العالم القديم ٠

٦ - صمود الرومان وعدم يأسهم من الكوارث التي ألحقت بهم أثناء تطورهم وبناء كيانهم السياسي مثل الغارة المدمرة التي شنتها عليهم قبائل الغال في عام ٣٩٠ ق٠م ، واستطاعوا بكفاحهم وتضامنهم وقوة عزيمتهم وإرادتهم أن يجموا قواهم مرة أخرى ويعودوا أقوى ما كانوا عليه من قبل ٠

٧ - مهارة وبراعة حكام روما في عقد تعاهدات وتحالفات عديدة مع حكام المدن التي كانت تجاور حدودهم أو القريبة من أراضيهم - قد ساعد بقدر كبير جدا على حماية الرومان من الحروب المدمرة وجعلتهم يعيشون فترات طويلة في أمن وسلام بنوا فيه قوتهم وتطوروا في نواحي عديدة وذلك كما سنري فيما بعد [١] ٠

هذه هي أهم العوامل التي جعلت الرومان يصنعون من خلالها أقوى إمبراطورية كبرى امتدت من روما حتى المناطق التي تقع خلف نهر الفرات - وهذه الإمبراطورية قد دامت أطول فترة في تاريخ العالم القديم،

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit – pp . 144 ets .
- j. CARCOPINO – Daily life in Ancient Roma – New york – 1940 – pp 22 ets .

ويســقوط عاصمتها في الغرب عام ٤٧٦ ق٠م على يد قبائل الجرمان قد أنهى ملاحم وأحداث العصور القديمة ٠

وحيــث أن الحديــث عن الحضارة الرومانية ومدى تأثيرها القوى على المجتمعات القديمة وخاصة المجتمعات الأوروبية قد تناولته بالتفصيل مؤلفات ومراجع عديدة دونتها أقلام أشهر العلماء والمؤرخين ، والخوض فيها بأكثر مما ذكرناه سيجعلنا نعيد ما سبق أن تردد ، ويبعد تركيزنا عن موضــوع هذه الدراسة – لذا سنكتفي بما سبق أن طرحناه ، ونركز على الــتعاهدات التي أبرمتها روما مع المدن المستقلة وهي في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث لأن هذه التعاهدات وأن كانت من ضمن العوامل الرئيسية التي ساعدت على نموها وتطورها إلا أنها كانت خلال هذه الفترة مــن أهــم الأســانيد التي ارتكزت عليها في بناء قوتها وحماية كيانها من التصــدع فــي اســتكانة تامــة حــتى خرجت في أول عصورها القديمة كإمبراطورية كبرى لا يكفيها ابتلاع المدن والدول الصغيرة وإنما تريد أن تبتــلع كــل المجتمعات الحضارية الكبرى لتكون لها السيادة العظمى على جميع أقطار العالم القديم ٠

ونظرا لانتشار الكتابة والأساليب الفنية لتدوين الوقائع والأحداث في الســجلات المختــلفة قبل ظهور روما على مسرح التاريخ بزمن بعيد جدا يــزيد عــن ألــف عام فإن هذا قد جعل الرومان يأخذون نصيب أوفر في تسجيل أحداثهم السياسية ومراحل تطورهم من أي حضارة أخرى سبقتهــم

ولذلـــك فقد دونوا في سجلاتهم التاريخيه كل التعاهدات التي أبرموها منذ إنشـــاء روما في عام ٧٥٤ ق٠م حتى سقوطها على يد قبائل الجرمان في عام ٤٧٦ ق٠م [١] ٠

وحيـــث مـــا يهمنا من هذه التعاهدات هي التي أبرمت في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث ٠ فإن أهم هذه التعاهدات التي كانت لها تأثيـــر فعـــال على نمو حضارتهم وبناء قوتهم وحمايتها كما هو مدون في سجلاتهم يتلخص في الآتي ٠

** الصـــلح الـــذي تم بين رمولوس ملك روما وتيتوس تايتوس حـــاكم قبيـــلة الســـابيين فـــي عـــام ٧٥٤ ق٠م طبقا للرواية التي أوردها المؤرخيـــن القدمـــاء – أو الاتحاد الذي تم بين المستعمرات وعرف باسم اتحاد الروابي السبع في عام ٧٥٤ ق٠م وتحول هذا إلى مدينة كاملة أطلق عـــليها روما في عام ٦٥٠ ق٠م طبقا للرواية الحديثة التي استخلصت من الكشوف الأثرية التي أمكن العصور عليها – فإنه على فرض حدوث احدى الرويـــتان وعدم حدوث الأخرى فأن كل من هذا الصلح أو هذا الاتحاد لا يخـــرج عن كونه تعاهد ولا يختلف في طبيعته عن التعاهدات الدولية التي تـــبرم في عالم اليوم من أجل اتحاد دوليتين أو أكثر في كيان سياسي واحد – وعـــلى هذا الأساس يعتبر تأسيس روما وبداية وجودها في التاريخ كان بـــناء عـــلى تعـــاهد أبرم من أجل تكوين كيانها السياسي كمدينة أو كدولة

---

(1) T.H.Mommsen – Histoire Romaine – paris – 1924. pp. 171 ets.

مستقلة جديدة في الساحة الدولية للعالم القديم .

وذلــك عــام ٧٥٤ ق.م أي بعد تأسيس قرطاجنة المدينة الفينيقية العظيمــة بنصف قرن ، وبعد إقامة الإغريق لأول حفل للألعاب الأولمبية بثلاثة وعشرين عاما (١) .

** خــلال الفــترة من عام [٧٥٠ – ٦٥٠ ق.م] أبرمت روما علاقــات وتعاهدات عديدة مع المدن المستقلة التي كانت تجاورها والقريبة من إقليمها وهي المدن التي تكونت من القبائل الناطقة بالارية التي زحفت إلى شبه الجزيرة الإيطالية إلى جانب المدن الإغريقية المستقلة التي كانت تنتشر في الطرف الجنوبي للجزيرة مثل مدينة بايستم – وذلك من أجل أن يســود ســلام دائم بينهما وتعاون وثيق في النواحي الاقتصادية والتجارية والاجــتماعية – ويقــول معظــم المؤرخيــن بأنه من غير هذه العلاقات والــتعاهدات الــتي أبــرمت خلال هذه الفترة كان من المستحيل أن تنمو وتزدهر روما وتصبح قوة لها شأن في المنطقة الإيطالية ، لأنها كانت تفتقد تماما لمعظم العوامل التي تجعلها تتطور بالاكتفاء الذاتي (٢) .

في عام ٦٣٠ ق.م تقريبا أبرم تاليوس ملك روما تعاهد مع بعض حكام المدن المستقلة الواقعة في إقليم لاتيوم من أجل أن يتم تحالف دفاعي بيــنهم في صد أي هجوم أو غزو يقع على إقليم أحدهم من عدو أجنبي -

(1) R.H. BARROW – slavery in the Roman Empire – op . cit – pp 21 ets .
(2) J. CARCOPINO – Daliy life in Ancient Roma – op . cit – pp 34 ets .

وتفيد المصادر التاريخية بأن هذا التحالف قد ساعد بقدر كبير مدينة روما عـلى حماية أراضيها من الغارات والغزوات العديدة التي شنت عليها من القـبائل التي كانت تتجول للسلب والنهب في الجزيرة الإيطالية – كما مهد لهـا السـبل من أن تبسط تدريجيا نفوذها وسلطانها في المنطقة الإيطالية كدولة جديدة لها كيان سياسي قوي ، وهذا قد جعلها تستطيع أن تضم مدينة البا إلى إقليمها بعد فترة قصيرة من إبرام هذا التحالف [١] .

وفـي عـام ٤٨٠ ق٠م أبـرمت روما بعد أن أخذت بنظام الحكم الجمهـوري بـدلا مـن النظام الملكي – تعاهد مع بعض المدن الإغريقية المستقلة التي كانت تقطن في سيراكوز وبعض مناطق إيطاليا الجنوبية من أجـل أن يـتم تحـالف دفاعي وهجومي بينهما ضد الاتروسك الذين كانوا يوطـدون أقدامهـم مـنذ فترة طويلة في الجزء الأوسط من شبه الجزيرة الإيطاليـة وكانوا خلال هذه الفترة في نزاع وحروب دائمة مع الرومان ، وكـانت هـذه النزاعات والحروب تنتهي دائما لصالحهم – وقد ساعد هذا التحالف الرومان على التخلص نهائيا من الاتروسك – وذلك بعد أن اشترك معهم أسطول المدن الإغريقية في الحرب التي اندلعت بينهما في عام ٤٧٤ ق٠م ودمر تماما أسطول الاتروسك كما حطم كل قواهم العسكرية ، وعلى أثر هذا تمكن الرومان من فتح قلعة فيباي الاتروسكية التي لم يستطيعـوا مـن قـبل أن يقتربوا منها ، كما اسقطوا نهائيا دولة الاتروسك وجعلوها

---

(1) H. G. wells – A short History of the world – op . cit – p 134 .

تختفي نهائيا من التاريخ [١] .

** بعــد أن دمــرت قبائل الغال مدينة روما في عام ٣٩٠ ق٠م وكافح الرومان كفاح مرير من أجل أن ينقذوا **الكابيتول** حتى لا تسقط في أيديهــم ويدمروها هي الأخرى ، وانتهى الأمر بأن افتدى الرومان أنفسهم وحريتهم بالمال وتراجع الغال إلى شمال إيطاليا - عقدت روما تعاهدا آخر فــي عام ٣٨٠ ق٠م مع كل المدن المستقلة التي كانت تتواجد في المنطقة الجــنوبية من شبه الجزيرة الإيطالية من أجل أن يتم بينهما تحالف دفاعي وهجومــي قــوي ضد أي اعتداءات أو غارات تقع على أحدهما من قبائل الغال أو من أي قبائل أخرى تتجول في الأراضي الإيطالية من أجل السلب والنهب والدمار - ويقول بعض المؤرخين بأن هذا التحالف كان قوى جدا وجعــل رومــا تــنجح في عمل ما لم تستطع أن تقوم به أي حكومة من حكومات المدن الإغريقية التي كانت أقدم منها - حيث استطاعت من خلال هذا التحالف الذي أطلق عليه [**الحلف اللاتيني**] أن تجمع كل شبه الجزيرة الإيطاليــة فــي اتحاد واحد خضع لزعمتها وسيطرتها بعد ذلك ، وإن هذا الاتحاد قد ساعدها على حماية كيانها السياسي وجعلها أقوى ما كانت عليه قــبل غارة قبائل الغال ، كما أعطاها الفرصة في أن تمد سلطانها على كل إيطاليا الوسطى من نهر الأرنو إلى نابلي [٢] .

---

(1) MACIVER RANDAIL – the Etruscans – oxford – charendon press - 1927 – pp 345 ets .

(2) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p. 321 .

- J. CARCOPINO – daily life in ancient roma – op . cit – pp . 77 – 79 .

** فـي عـام ٢٧٨ ق٠ م أبـرمت روما معاهدة تحالف دفاعي وهجومـي مـع قرطاجنة - وترجع ظروف هذا التحالف إلى أنه بعد وفاة الإسـكندر الأكـبر وتمزيق امبراطوريته بين قواده ورفاقه ، كان من بين هولاء أمير من أقرباء الإسكندر يدعي [بيروس] وطد ملكه في ابيروس التي تقع وراء البحر الادرياتي قبالة كعب إيطاليا ، وهذا الأمير قد راودته أحلامـه وإطماعـه فـي أن يـلعب مـن [الماجنا جريكا] وهي المدن والمسـتعمرات الإغريقية التي كانت منتشرة في إيطاليا كما سبق أن أشرنا ٠ نفس الدور الذي لعبه فيليب المقدوني وابنه الاسكندر الأكبر ليؤسس بهما امـبراطورية عظـمى ويصبح ملكا عليها وسيدا عاما لمدن روما وتارنتم وسـيركوزا وباقي ذلك الجزء من شبه الجزيرة الإيطالية ٠٠٠ وكان لـه جيش قوي جدا ويعتبر في ذلك الوقت جيشا عصريا عظيم الكفاية - فغزا إيطاليـا وشـتت شـمل الـرومان في موقعتين عظيمتين أحداهما معركة [هراقليا] في عام ٢٨٠ ق٠م والثانية معركة [اوسكولم] في عام ٢٧٩ ق٠م واضطر الرومان إلى الهروب والتقهقر نحو الشمال - وحيث أن هذا الأميـر قـد وجـه اهتمامه بعد ذلك لاخضاع صقلية ، وصقلية قريبة من القرطاجـبين قـربا لا يستطيعون معه أن يرحبوا بقدوم اسكندر آخر جديد إليهـا ، وخاصـة إنهم كانوا لا يزالون يذكرون المصير الذي حل بأمها صور قبل ذلك بنصف قرن ، فقد عقدوا هذا التحالف مع الرومان ممن أجل أن يساندوهم في القتال ضد قوات هذا الأمير وأرسلوا لهم أسطولا ضخما لكـي يواصلوا الكفاح ، وبالفعل تمكن الرومان من خلال هذا التحالف أن يتصدوا لجيش بيروس ويحطموه بعنف ساحق في الهجوم الذي شنـه على

معسكرهم في منطقة [بنفنتم] التي تقع بين نابلي وروما- وتخلص الرومان تماما من هذا الخطر الذي كان سيجعلهم يذبون في بوتقه إمبراطورية إغريقية مرة أخرى جديدة ويمحو ذاكراهم من سجلات التاريخ[1] .

وبناء على ما تقدم فإن ما عرضناه ليس سوى أمثله من صور التعاهدات التي أبرمتها روما منذ تأسيها عام ٧٥٤ ق٠م مع المدن المستقلة التي كانت تقطن شبه الجزيرة الإيطالية وبعض الجزر الواقعة أمامها في البحر الأبيض المتوسط لأن سجلات تاريخها القديم تحوي العديد منها وخاصة التي أبرمتها في عصورها القديمة بعد أن سيطرت على كل أجزاء الجزيرة الإيطالية وعلى صقلية وسردينيا ثم على قرطاجنة بعد أن نقضت تحالفها معها في عام ٢٠١ ق٠م وأخذت تمد بصرها بعد ذلك على المجتمعات الحضارية في العالم الشرقي حتى تمكنت في نهاية القرن الأول قبل الميلاد من إخضاع معظمها تحت سيطرتها لتصبح بعد ذلك أكبر وأقوى إمبراطورية في العالم القديم

---

(1) H.G. wells – A short History of the world – op . cit pp 135 – 136 .
-R. H . BARROW – slavery in the Roman empire – op . cit p . 74 .

الخاتمـــــــة

أن وجـود الحياة الإنسانية واستمرار تطورها عبر عصور التاريخ في كافة إرجاء هذا العالم الحي – قد برهن بصدق وموضوعية من خلال مـا عرضـناه في هذه الدراسة بأن النظم التي ساعدت على تدعيم روابط الـود والتقارب والتآخي بين الشعوب المختلفة لها أصول كانت كامنة في الطبيعة الإنسانية وخرجت إلى حيز الوجود الفعلي الملموس في هيئة بذور تم غرسها في تربة الماضي البعيد ، وهذه البذور قد مثلت الجذور الأولية لهـذه النظم بعد أن نمت وظهرت لها أغصان واضحة الرؤية والبيان على مر العصور المختلفة .

لقد ترجمت جذور فكرة التعاهد حركة الحياة الإنسانية في عصور مـا قـبل التاريخ ، وحددت معالم الطريق الذي كانت تسير فيه الجماعات الإنسانية المستقلة خلال أزمان العصر الحجري الحديث كما جعلت المفهوم الكـلي لحـتمية الوجود البشري يعبر بصدق وإقناع عن مدى ما كان بين الجماعات من ترابط وتعاون وود وثقة خلال هذا العصر رغم أن المعيشة فيـه كانت محدودة النطاق ، وفي أول مراحل التطور بعد أن هجر الأفراد حياة جمع القوت والتنقل من مكان لمكان واتجهوا نحو انتاج القوت بالرعي والزراعة وذاقوا البشائر الأولية لطعم الاستقرار في مناطق ومواقع عديدة في شرق وغرب العالم القديم .

إن الحقـائق الـتي كشـفت بعض أسرار الحياة داخل الجماعات الإنسانية التي تألقت حضاريا في العصر الحجري الحديث كانت بمثابـة

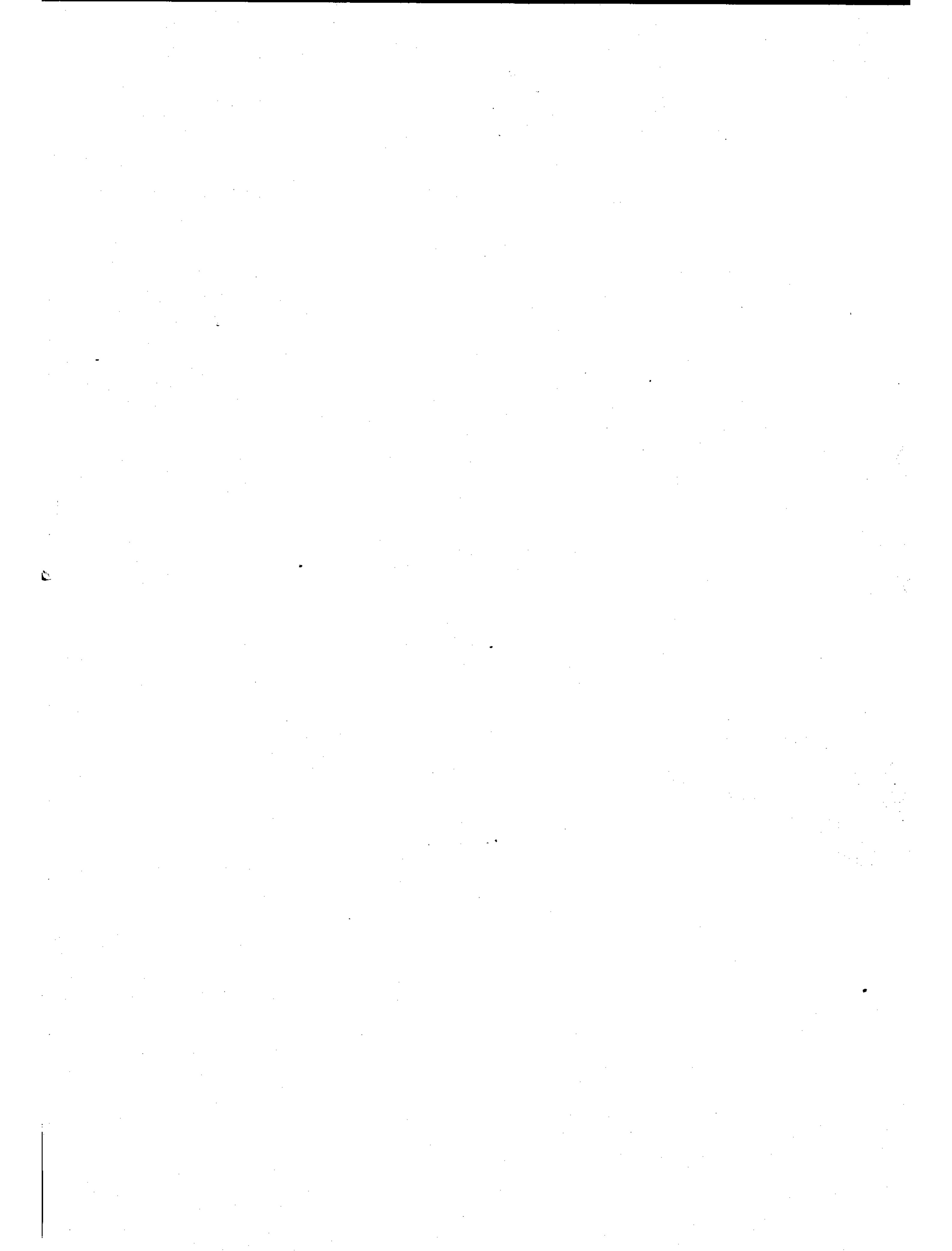
مصـــابيح أضاءت معالم الطريق للوصول إلى الدعائم التي ساهمت بقدر هـــائل عـــلى تحقيق التعاون والتقارب الأخوي بين الشعوب ، كما عبرت بمفـــاهيم واضـــحة عن مبدأ وحدة الإنسانية المنحدر إلينا عبر القرون في أساســيات جوهرية مرتكزة على الود والمحبة والروح الواحدة وتحمل في طياتها نسق من الخير والحق والعدالة .

فقــد أثبــتت صور التعاهدات التي أبرمتها الجماعات الإنسانية في العصر الحجري الحديث أن الحياة الإنسانية منذ أن بدأت وحتى عالم اليوم وإلى أن تنــتهي ، هـــي عـــبارة عن حلقات متصلة تعبر عن مدى ترابط الشـــعوب وتعاونهم في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والـــثقافية على مر عصور التاريخ – وأن الآراء التي أنكرت وجود فكرة الـــتعاهد في أي عصر غير العصور الحديثة هي عبارة عن أراء سطحية وبعيـــدة تمامـــا عن جوهر الحقائق وأصولها . لأنهما تحجم نظم علاقات الشعوب في النطاق الزمني الخاص بالعصور الحديثة فقط ، دون العصور الأخرى التي صعدت فيها البشرية درجات التطور كما أنها تنفي كل روابط الود والتعاون والتقارب التي نمت بين الشعوب في كل العصور التي سبقت العصور الحديثة ، وهذا بالطبع يتعارض تماما مع كل المفاهيم التي تصدق عـــلى أن الإنسانية جسدا واحدا وروح واحدة منذ أن بدأت الحياة وإلى أن تنتهي أي لابد أن يكون قد حدث تعاون وتقارب وود بين الشعوب على مر كل العصور وإلا ما تطورت الحياة وظلت على ما كانت عليه في المراحل الأولى لظهور البشرية .

وإذا كانت الحياة الإنسانية في العصر الحجري الحديث قد تعكرت مـرات عديـدة مـن أثـر الصراعات والحروب التي اندلعت بين بعض الجماعـات المستقلة التي انتشرت في شرق وغرب العالم القديم ، فإن ذلك لا يعـني أن فكـرة الـتعاهد كانت منعدمة أو مفقودة ، بل بالعكس كانت موجـودة بعد أن تأسست جذورها ، وظهرت في ثوب يتناسب مع ظروف ومقتضيات الحياة في هذا العصر ، وساهمت بفاعلية في تهدئة الأوضاع ، وإضـاءة طريق السلام والتعاون والتقارب أمام الجماعات لكي تخطوا فيه وتهتدي إلى سبل الأمان والود والتآخي .

أن مـا قدمناه في هذه الدراسة في ضوء ما أتيح لنا من معلومات مسـجلة فـي تاريخ البشرية ، ليس سوى محاولة اجتهادية لكشف الجذور الأصـولية لفكرة التعاهد التي لعبت دورا هاما في حياة الشعوب منذ بداية العهـود الأولى للعصر الحجري الحديث – وذلك لكي نشهد جميعا بأن ما يظهـر في عالم اليوم هو عبارة عن أصول متطورة تأسست في الماضي الـبعيد ، وبـلورة مفاهيم أفراد كل مجتمع نحو ضرورة العمل الجاد لبناء عالم واحد يعبر بصدق عن ضميرهم الحي ، ويقودهم جميعا في مسارات واضحة نحو الحق والعدالة والخير .

فهرس
(كشـــاف أبجـــدي)



- أ -

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

-ز-

-س-

- ش -

- ص -

- ط -

- ق -

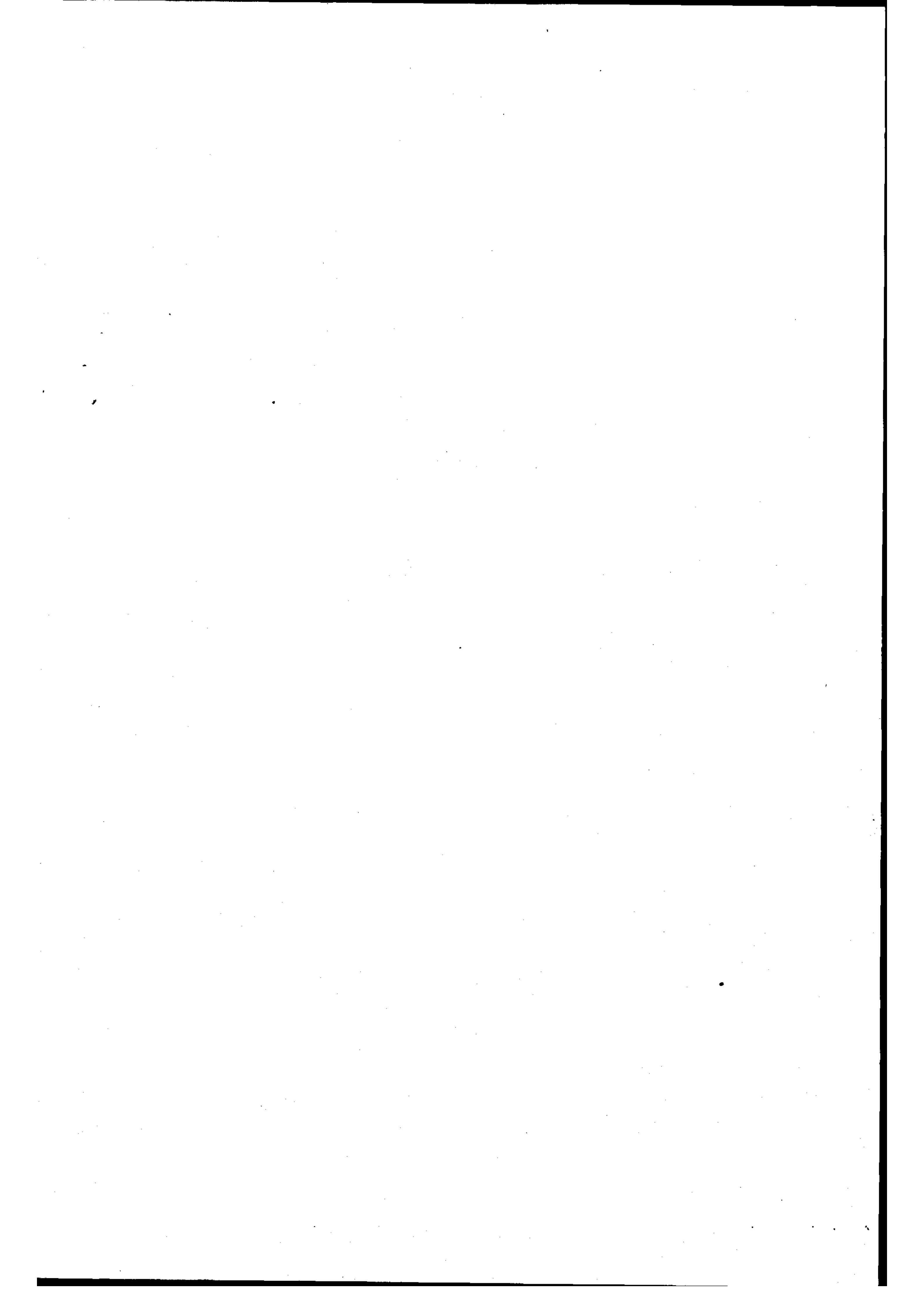
- ك -

- ل -

- م -

- ن -

قائمـــة المراجـــع



أولا : المراجع العربيـــة :

١ - د . إبراهيم أبو الغــــار :

* علم الاجتماع القانوني - طبعـــــة ١٩٨٧ - دار المعارف بالقاهرة .

٢- د . إبراهيم محمد العناني :

* القانون الدولي العام - طبعة ١٩٩٠ - المطبعـــة التجارية الحديثة - كلية الحقوق - جامعـــــــــة عين شمس .

٣ - د . أحمـــــد الخشـــاب :

* دراسات في النظم الاجتماعية - طبعـــة ١٩٥٨م مكتبة القاهرة الحديثة .

٤ - د . أحمد كمال ، د . كرم حبيب :

* علم الاجتماع الحضري- طبعة ١٩٧٣، دار الجيل للطباعة بالقاهرة .

٥ - الشيخ عبد الجواد رجب :

* مع الله [نظرات في الكون والحياة] تقديم الشيخ محمد الغزالي - الطبعة الثانيـــة ١٩٧٤ م - دار الاعتصام بالقاهرة .

٦ - د ٠ بطرس بطرس غالي :

* التنظيم الدولي- ١٩٥٧- مكتبة الأنجلو المصرية

٧ - د ٠ بطرس بطرس غالي ، د ٠ خيري عيسى :

* المدخل في علم السياسة - طبعة ١٩٥٩ - مكتبة الانجلو المصرية ٠

٨ - د ٠ ثروت أنيس الأسيوطي :

* مبادئ القانون - طبعة ١٩٦٥ - كلية الحقوق جامعة القاهرة ٠

* نظام الأسرة [بين الاقتصاد والدين - الجماعات البدائية] طبعة ١٩٦٦ - القاهرة ٠

٩ - د ٠ حسن محمد جوهر ، د ٠ محمد مرسي أبو الليل :

* شعوب العالم ٠ طبعة ١٩٦٥ - دار المعارف المصرية ٠

١٠ - د حسني محمد جابر :

* القانون الدولي العام - القاهرة ١٩٧٧ - دار النهضة العربية ٠

١١ - د ٠ سمير عبد المنعم :

* التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة - طبعة ٢٠٠٠م - القاهرة - دار النهضة المصرية ٠

* - التفسيرات الأولية لدوافع السلوك الإجرامي في العصور القديمة – طبعة ٢٠٠١ – القاهرة ص ٧٩ وما بعدها .

* - أصول الأخلاق الدولية- طبعة ١٩٩١- مكتبة الانجلو المصرية .

* - البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية – طبعة ١٩٨٨ (رسالة دكتوراه) – كلية الحقوق جامعة عين شمس دار النهضة المصرية .

* - مفهوم التعاقد في العصر الحجري القديم والحديث طبعة ٢٠٠٢ القاهرة – دار النهضة المصرية .

* - العلاقات الدولية في العصور القديمة- طبعة ١٩٩٠ دار النهضة المصرية.

١٢ – د . صوفي حسن أبو طالب :

* مبادئ تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٧ – القاهرة دار النهضة العربية .

١٣ – د . صلاح الدين عامر :

* مقدمة لدراسة القانون الدولي العام- طبعة ٩٧٤ دار النهضة العربية بالقاهرة .

١٤ – د . عادل بسيوني :

* التاريخ العام للنظم والشرائع – طبعة ١٩٩١م كلية الحقوق – جامعة القاهرة .

١٥ - د . عبد الحميد أحمد زايد، د . محمد جمال الدين مختار:

* الحضارة المصرية من العصر الفرعوني -
مطبعة محمد عاطف بالقاهرة - ١٩٥٧م .

١٦ - د . عبد الحميد متولي :

أصل نشأة الدولة - مجلة القانون والاقتصاد
١٩٤٨ .

١٧ - د . عبد السلام الترمانيني :

* محاضرات في تاريخ القانون - كلية الحقوق -
جامعة حلب - سوريا - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .

١٨ - د . عبد العزيز سرحان :

* القانون الدولي العام- طبعة ١٩٧٣- كلية الحقوق
جامعة عين شمس .

١٩ - د . عبد المنعم البدراوي :

* تاريخ القانون الروماني - طبعة ١٩٤٩ - كلية
الحقوق - جامعة القاهرة .

٢٠ - د . عبد المنعم شميس :

اليونان . أرض الفكر والفن - مطابع الدار القومية
القاهرة ١٩٦٠ .

٢١ - د . على صادق أبو هيف :

* القانون الدولي العام - طبعة ١٩٧٥ - كلية
الحقوق - جامعة الإسكندرية .

٢٢ - د . عمر ممدوح مصطفى :

* القانون الروماني - الطبعة الخامسة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ - دار المعارف .

٢٣ - د . فاروق العادلي ، د . سعد جمعة :

* الانثروبولوجيا مدخل اجتماعي وثقافي - طبعة ٢٠٠٠م - كلية الآداب - جامعة القاهرة .

٢٤ - د . فؤاد محمد شبل :

* حكمة الصين - الجزء الثالث - طبعة ١٩٦٨ - دار المعارف بالقاهرة .

٢٥ - د . محمد أبو زهرة :

* مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥ - دار الفكر العربي - بالقاهرة .

٢٦ - د . محمد بيصار :

* العقيدة والأخلاق . وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية ١٩٧٢ - مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

٢٧ - د . محمد سامي عبد الحميد :

* أصول القانون الدولي العام - القاعدة الدولية - الطبعة الخامسة ١٩٨٠ - مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية .

٢٨ - د . محمد طلعت الغنيمي :

* الأحكام العامة في قانون الأمم ١٩٧٠ - منشأة المعارف بالإسكندرية .

٢٩ - د . محمد عبد الهادي الشقنقيري :

* محاضرات في تاريخ النظم القانونية والاجتماعية كلية الحقوق - جامعة عين شمس ١٩٩٤م .

٣٠ - د . محمود سلام زناتي :

* تاريخ القانون المصري - طبعة ١٩٧٣ - كلية الحقوق - جامعة عين شمس .

٣١ - د . محمود عز العرب السقا :

* تاريخ النظم القانونية والاجتماعية- الطبعة الأولى ١٩٧٠م - مكتبة القاهرة الحديثة .

٣٢ - د . مصطفى الخشاب :

* دعائم علم الاجتماع وحقائقه - مطبعة لجنة البيان العربي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٨ .
المعارف بالقاهرة .

٣٣ - د . نجيب مخائيل إبراهيم :

* مصر والشرق الأدنى القديم-الجزء الأول- مصر الكتاب الأول - الطبعة الثانية - يناير ١٩٥٧ - مؤسسة المطبوعات الحديثة بالإسكندرية .

ثانيا : المراجع المترجمة :

١ - الصين :

* حقائق وأرقام-تاريخ أربعة آلاف سنة-دار النشر بالغات أجنبية - بكين - الصين ١٩٨٨م .

٢ - تاريخ الصين - الجزء الأول -

* أعداد مجموعة من علماء التاريخ في الصين - الطبعة الأولى - ١٩٨٦ - مطبعة اللغات الأجنبية ببكين - قامت بنشره مجلة بناء الصين - وتم توزيعه من خلال الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب [كوزي شوديان] ببكين .

٣ - جاك . سي . ر يسلر :

* الحضارة العربية - ترجمة الأستاذ غنيم عبدون- مراجعة د . أحمد فؤاد الأهواني - (غير محدد سنة الطبع) الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة .

٤ - جورج سارتون :

* تاريخ العلم- ترجمة كل من د . إبراهيم مذكور . د . محمد كامل حسنين ، د . قسطنطين رزيق . د . محمد مصطفى زيادة - الطبعة الثالثة ١٩٧٨م دار المعارف بالقاهرة .

٥ – روصــــن :

* وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – ترجمة د . محمد جلال عباس – القاهرة ١٩٨٩م .

٦ – جيـان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا :

* موجز تاريخ الصين – مطبعة اللغات الأجنبية – ببكين – توزيع الشركة الصينية العالمية للتجـارة الكتب [كوزي شوديان] بكين – الصين – الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

٧ – فوستيل دي كو لانج :

* المدينة العتيقة – ترجمة د . عباس بيومـــي – الطبعة الثالثة – ١٩٥٤ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

٨ – ول ديورانـــت :

* قصة الحضارة – الجزء الرابع – الكتاب الثالث الشرق الأقصى – الصين – ترجمة محمد بدران – اختارته واتفقت على ترجمتة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – وقامت بنفقات طبعة ونشرة لجنـة التأليف والترجمة والنشر – طبعــة ١٩٦٤ – القاهرة .

* قصة الحضارة – الجزء الأول – نشأة الحضارة الفصل الثالث – القانون – ترجمة د ٠ زكي نجيب محمود – طبعة ١٩٤٦ – القاهرة ٠

* قصة الحضارة – المجلد الأول– جـــ – ترجمة د ٠ زكي نجيب محمود – القاهرة – ١٩٤٦ ٠

٩ – وليام لانجــــــر :

* موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – طبعــة ١٩٥٦ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بنيويورك ترجمة د ٠ مصطفى زيادة – القاهـــرة ١٩٦٢ – دار النهضة المصرية ٠

ثالثا : المراجع الأجنبيـــة :

- – **André AYMRD et j eannine Auboyer** :
histoire GENERALE des civilisations – tomel – l' orient et la GRECE Antique – paris – 1962 .

- **Arnold Toynbee** :
Civilization on Triol – london – 1048 .

- **A. MoRET** :
L' EGYPTE pharaonique – dans hanotaux Histoire de la Nation Egyptienne – paris – 1932 .

- **A. G. Daimand** :
l'evolution de loi et de l'ordre – paris – 1954 .

- **B. Karloren** :
prehistory of the chiness – Bull af the museum of for Eastern N 15 – stock Holm – 1943 .

- **C. winck** :
dicticonary of anthropolagy – paterson (U.S.A) – 1961 .

- **D. Lerner** :
the passing of traditional soceity – the Free press – New york – 1958 .

- **David kahn** :
scientists of cods analysis civilized study – New york – 1966.

- **Du méne** :
les religions chinioses – publ. musee cuimet bibL – de diffusion T. Lv 111 – paris – 1950 .

- **E. H. G. Dobby** :
southeast Asia – New york – 1950.

- **Eduin partt** :
christianizing china – london – 1913 .

- **Edmason hoebel** :
man in the primitive world – london – 1963 .

- **E. pritchard** :
cultural An thropology – oxford – 1940

- **E. MACOAY** :
la civilisation de l'iadus – paris – 1936.

- **Francis fukuyama** :
the END of History and the last man – New york – 1993 .

- **F. Keesing** :
cultural Anthropology – New york – 1958 .

- **F. Martens** :
le droit international contemporain des peuples civilises – tome 1 – 1887 – paris – U.N . university .

- **F. E . wil liams** :
papuans of the jrans – Fly – oxford – charendon press – 1936 .

- **G. Burdeau** :
traté de science politique – tom. 2 – paris – 1949.

- **G. E. cotlin** :
thomas Hobbes As philosopher publicist man af letters – oxford – 1922.

- **G. Homans** :
contemporary theory in sociology – chicoga – 1964 .

- **Gohn Mouler**:
Reteed from the obsolescence of Maior war – Basic Books – new york – 1908 .

- **Gaston may** :
introduction a la science du droit – paris – 1932 .

- **G. contenau** :
la civilisation phenicienne – paris – 1922 .

- **H. Hogbin** :
law and order in polynesia – New york – 1934 .

- **Henry thomas** :
the great philosophers – New york – 1962 .

- **H. G . wells :**
  A short History of the world – 1932 – london .

- **H. L. Movius** :
  Early man and pleistocene in southern and Eastrern Asia – Harvard university – 1944.

- **J. Gras** :
  An thropology and economics – in the social sciences and their inter Relations – New york – 1927 .

- **J.D. E . Norgan** :
  Recherches sur les origines de l'Egypte – paris – 1896 .

- **J. Dalton** :
  Economic theory and primitive society – new york – 1961 .

- **J. H. BREASTED :**
  A History of the Ancient Egyptians – london – 1915 .

- **J. Baikie** :
  A history of Egypt – 2 vols – london – 1929 .

- **J. wilson** :

the burden of Egypt – chicago – 1951 .

- **J. CARCOPINO** :

daily life in ancient roma – New york – 1940.

- **J. D. Mrtgan** :

ptehistorie man – new york – 1927 .

- **K. M. panikkar** :

Asia and western dominance – london – 1951 .

- **Leslie white** :

an anti evolutionist fallacy – london – 1945 .

- **Lewis morgan** :

ancient society – New york – 1978.

- **Lucy mair** :

An introduction to social anthropology – oxford – 1968 .

- **Lefur et chklover** :

Recveile et textes de droit international publice – paris – 1928 .

- **L. Delapaporte :**
  la mesopotomie, les civilisations babyloniens et assyrienne – paris – A. Michel.1923

- **L. Bach hofer :**
  Eerly idian sculpture – 2. vol – paris – 1929 .

- **M. A. MuRRAy :**
  the splendour that was Egypt . london – 1950 .

- **M. Korowies :**
  some present aspects of sovereignty in international law – RCADI – 1961 .

- **M . Groiset :**
  la civilisation de la Gréce antique – paris – 1932 .

- **M. Granet :**
  la civilisation chinoise – paris – 1929 .

- **MACIVER RANDAIL :**
  the Etruscans – oxford – clarendon press – 1927 .

- **P. Mammond :**
  cultural and social antropalogy- new york – 1964 .

- **R. Redslab** :
traite de droit des gens – paris – 1950 .

- **R. G. Gettell** :
politcal science – New york – 1947 .

- **R. G . collingwood** :
the idea of history – oxford 1939 .

- **Ralph linton** :
TREE of culture – part 0 – 1955 – New york .

- **R. G. Gettell** :
political science – New york – 1947 .

- **R.Brown** :
structure and function in primitive society – london – 1952 .

- **R. H. BARROW** :
slavery in the roman Empire – london – 1928 .

- **R. Grousset** :
la chine et son art – paris – 1951 .

- **R. weill** :
la phenicie et l'Asie occidentaie – paris – 1911 .

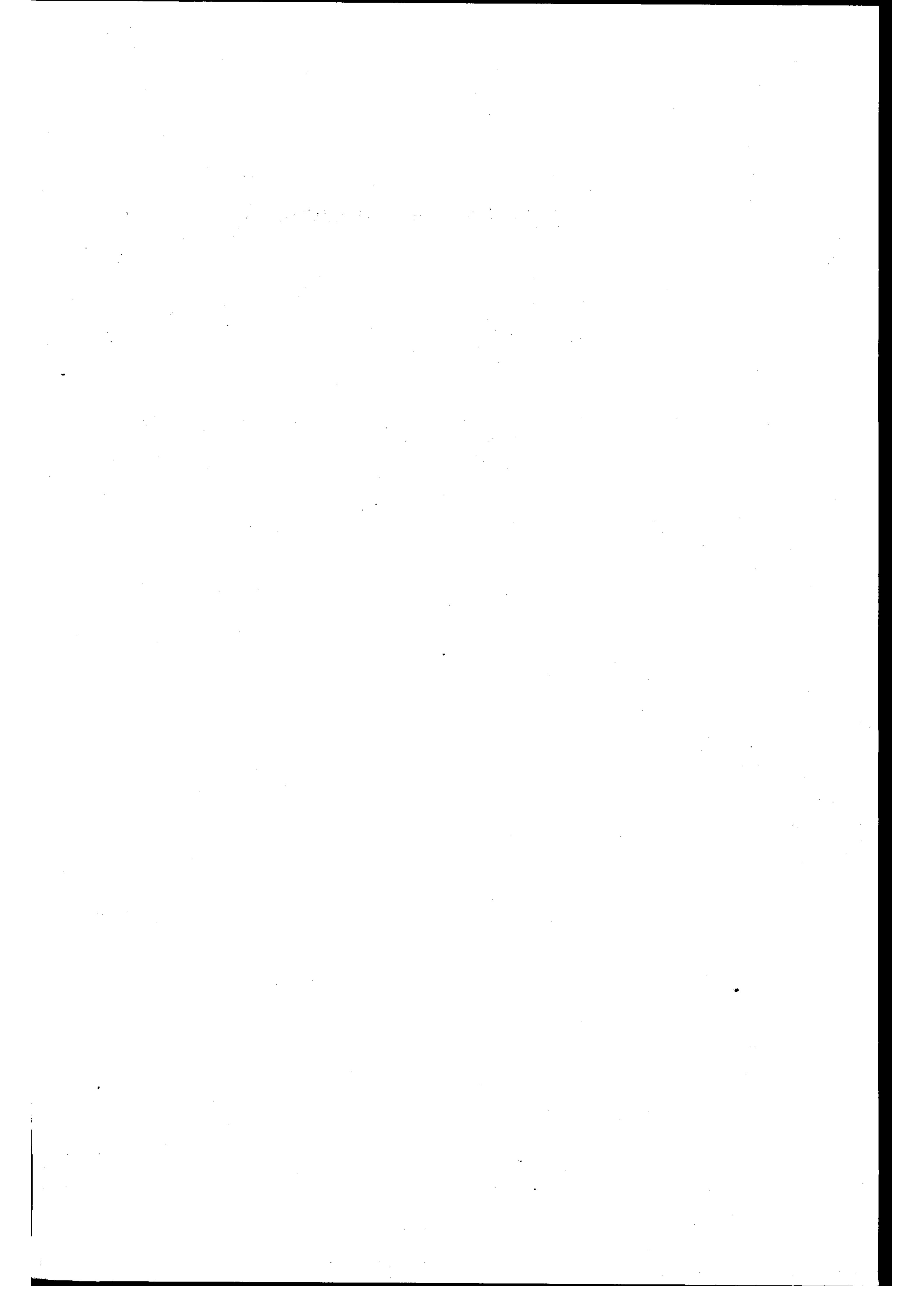
- **Stefan Glaser** :
droit international pénal – paris – 1970 .

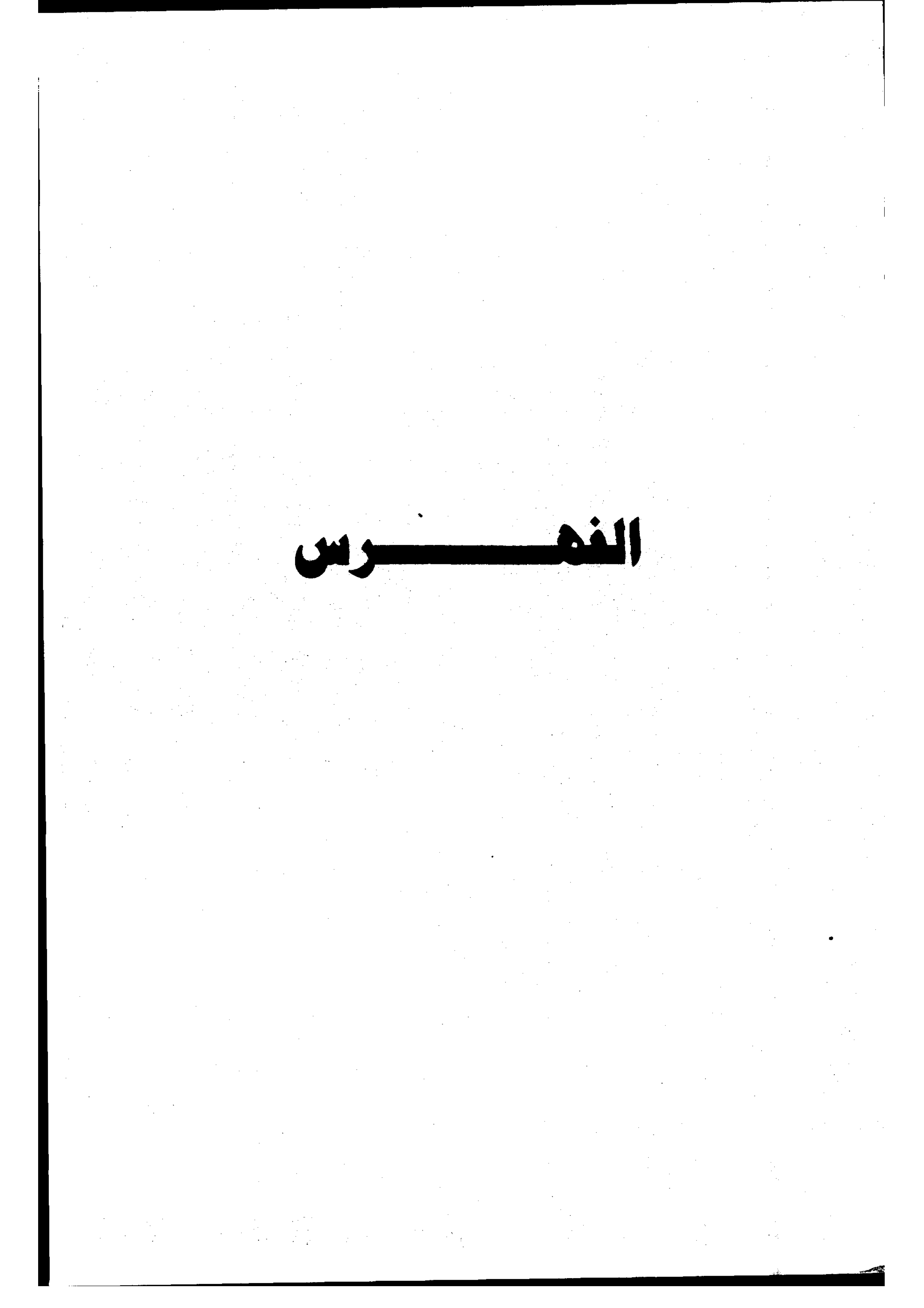
- **SIR. A. EVANS** :
the palace of Minos of knossos – landon – 1921 .

- **Thomas hobbes** :
leviathan – partl and 11 Bobbs merrill – indianpolis – 1958 .

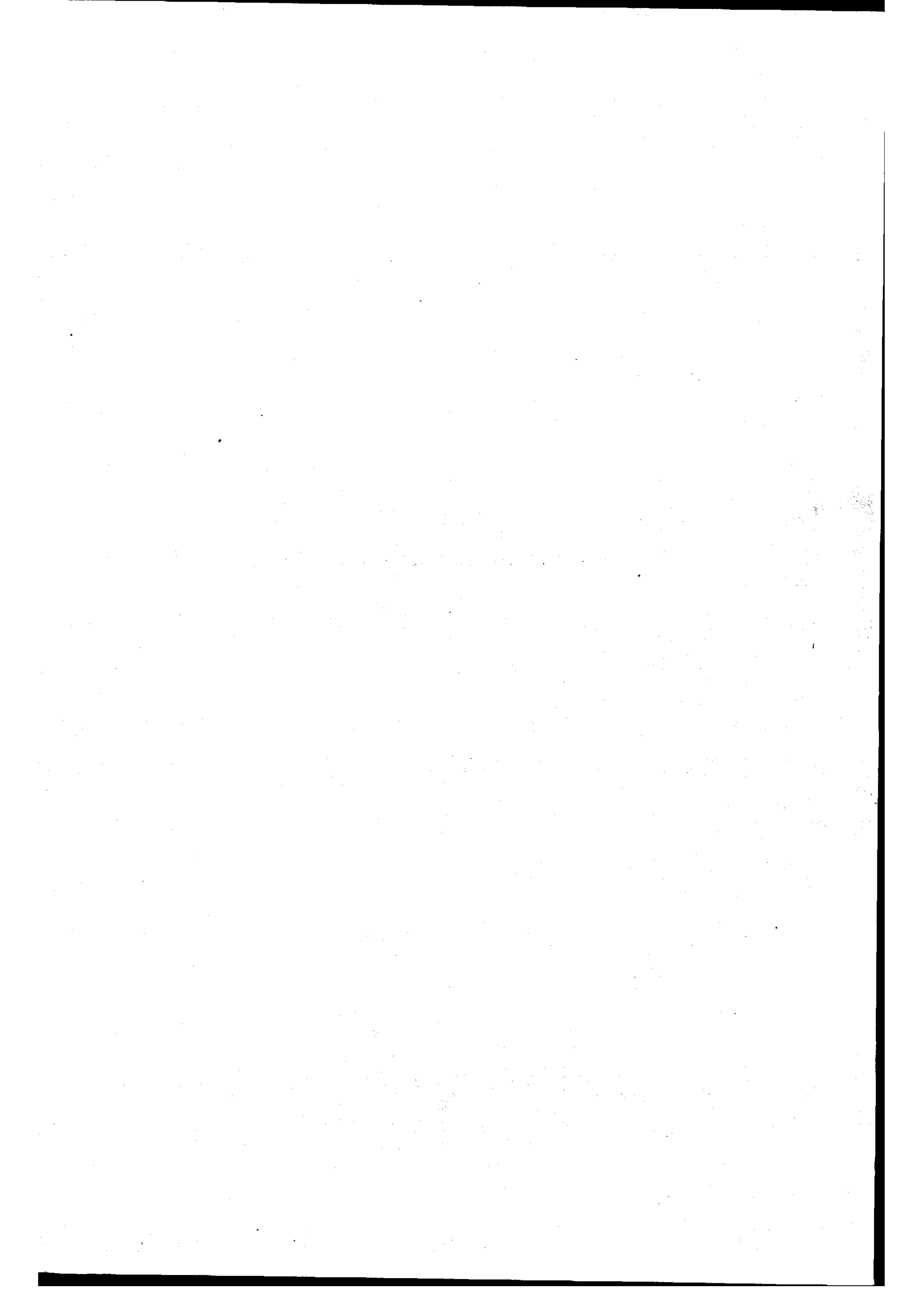
- **T. H. Mammsen** :
Histoire Romaine – paris – 1924 .

- **Walter A. fairservis** :
the origins of oriental civilization – the new American library – New york – 1959 .





الفهـــــرس



الموضـــــوع	الصفحة